الجريمة الجنسية للجيش العراقي

توثيق وتحليل

هاي للنشر

١٩٩٤

اهداءات ٢٠٠٢
المجلس الوطني للثقافة و الفنون
و الأدب - الكويت

الجريمة الجنسية للجيش العراقي

الجريمة الجنسية للجيش العراقي

توثيق وتحليل

تأليف
د. فوزية الدريع

هالي للنشر
١٩٩٤

الإهداء

إلى

الوزير سعود ناصر الصباح

هذه الوثيقة لك... من أمل يصل للقناعة بقدرتك على خلق أعلام كويتي أفضل.

الكاتبة

د. فوزية الدريع

بكالوريوس علم النفس ـ جامعة الكويت

ماجستر علم النفس في الثقافة الجنسية ـ أمريكا

دكتوراه علم النفس في السلوك الجنسي وعلاج المشاكل الجنسية ـ بريطانيا

عملت معالجة نفسية للمشاكل الجنسية في مستشفى الطب النفسي في الكويت 1978-1991

كاتبة ومستشارة في كل من جريدة الوطن ومجلة اليقظة

صدر للكاتبة:

١. برود النساء   هاني للنشر

٢. الحب في زمن الاحتلال

الفهرس:

هذه الوثيقة:

كانت هناك دعوة شعبية، حكومية، عالمية لتوثيق حدث احتلال الكويت بكل حيثياته.

وكانت هناك استجابة على المستوى الفردي والحكومي والعالمي لتحقيق هذه الدعوة. كانت هناك استجابة تلقائية عند البعض مندفعة عند البعض بتوثيق الحدث من وجهة نظر التجربة الشخصية. وكان هناك توثيق موضوعي مدروس قائم على أسس منطق التوثيق العالمي المتعارف عليه.

لقد كان حدث إحتلال الكويت في هذا العصر جديداً من حيث النوع، من حيث الشمولية، ومن حيث الدرجة.

وإذا جاز لي الإجتهاد في تفسير النقاط الثلاث السالفة الذكر يمكنني القول أن هذا الحدث:

1 ـ يعتبر جديداً من حيث النوع

لأن حكاية ابتلاع دولة بكاملها، حكاية قديمة ما عادت تحدث في هذا العصر. ولعل ما تفرزه الأحداث هو اقتطاع دولة جزء من دولة، أو التنازع على جزء. أما هذا الإلتهام الكامل المفاجيء بين يوم وليلة فقد كان جديداً على المستوى العالمي. ولعل العنصر الزمني بشأن سرعة الإحتلال لا يختلف من حيث جده ونوعه عن عنصر توقيت الإحتلال في زمن انتهت فيه موضة أخذ دولة من قبل دولة أخرى. لقد تمّ احتلال الكويت كاملة في ساعات قليلة، ساعات لا تعد على أصابع اليد الواحدة.

إن الإقتطاع الجزئي الذي تمارسه دولة على أخرى يكون له في الغالب

تاريخ طويل، وغالباً متواصل. هذا التاريخ يحسب في الميزان الزمني، غالباً، بالسنوات أو بالقرون. وهذا الزمن الجاري بين نقطة النزاع ونقطة الإنتزاع قد يبلغ أحياناً ذروته وقد يهفت. لكنه حتى في لحظات البرود يكون في حساب الزمن عداد يسجل الوقت ويجعل الحكومة والشعب في حالة توقع. أما في حكاية احتلال الكويت، فلا أعتقد أن فترة إثارة القضية بشأن مشكلة الحدود التي أخذت فقط أسبوع وبين واقع الاحتلال الذي حدث يعتبر فترة زمنية كفيلة بتأهيل الحكومية والشعب لإستيعاب الأمر. وحتى لم تكن هذه الفترة الوجيزة كفيلة بتأهيل العالم لها. وأعتقد أنه حتى تلك التوقعات السياسية التي كانت تطرح احتمال احتلال العراق للكويت ما كانت قادرة على طرح التوقيت السريع المفاجيء هذا. بل إنه أقصى احتمال كان متوقع هو حدوث مناورات تأخذ قدراً من الوقت وخطوات داخل الحدود.

قد يقول البعض أن هذا التصور الزمني خاطيء. فالكويت تعايش هاجس الإحتلال من قبل العراق منذ زمن بعيد جدا. ولعل واقعة عبد الكريم قاسم (أول رئيس للعراق بعد إلغاء الحكم الملكي في العراق عام 1958) التي مضى عليها أكثر من ربع قرن ما زال من عايشها حي يرزق. إنها ذات النزعة لإلتهام الكويت كاملة. فكيف ننكر هذا المدى الزمني. على الأقل من حيث التأهل النفسي عند الحكومة والشعب الكويتي.

إن سنوات الصفاء، إن جاز أن نسميها كذلك، كانت كفيلة بإطغاء فكرة طمع العراق بالكويت. ولعل الكويت حكومة وشعباً قد أيقن إلى العظم بأن هذا الطمع قد مات وذهب بلا عودة بعد وقفة الكويت مع العراق في حرب الثمان سنوات مع ايران. هذا الإحساس الذي كان ينبض في العروق الكويتية متمثلاً بهاجس من خوف الإلتهام قد تلاشى حين نبض بدلاً منه حباً وصل إلى العشق. وثقة وصلت إلى حد العمى

بأن الطمع كان تاريخ وانتهى. وأن الموجود حالياً هو ذلك الإحساس القومي الجميل الواقف كالعظم في بلعوم الجارة التي تريد أن تصدر لنا ثورة نحن في غنى عنها. إن معايشة بعض تلك الأفئدة التي بدأت تنبض نحو هذه الثورة وذلك الصراع الذي بدأ يسخن بشكل ملموس. وبدأ ظهور روح عرقية وميل وجداني عند أقلية نحو هذه الثورة افرز بالتالي اختلافات في داخل الأسرة الواحدة. وهو أمر جديد في الأسرة الكويتية وفي المجتمع الكويتي. فلقد ولدنا في مجتمع تسير فيه الأمور حسب تقاليد متوارثة تقوم العلاقات فيها على أساس الطاعة والقناعة الواحدة وتبعية الكبير بالذات.

إن رعب رياح التغيير واختلال هدوء النظام العلائقي الموجود أوجد فئة، أعتقد أنها الأغلبية الغالبة، ترفض هذا الأمر القادم بل وتلوم تلك الجهة على مظاهر الإختلال الحادث. ضف إلى ذلك بعض حالات العنف التي تجعلنا بالفطرة نربطها بهذا التغيير كله. هذه الأمور مجتمعة ولدت وبشكل قهري الإحساس الجماعي نحو إنقاذ قدري هو مجابهة العراق مع ايران.

على المستوى النفسي كان الأمر في بدايته أشبه بالمثل القائل «حط حيلهم بينهم». لكن الإعلام العراقي، كما اكتشفه كثيرون بعد فوات الأوان، لديه ألعاب كثيرة رغم بساطتها وسذاجتها إلا أنها تنجح في كثير من الأحيان. لقد كان الدق على عامل القومية، ووضع حماية الكويت كسبب رئيسي في هذه الحرب الدائرة، عاملان كافيان لحسم المشاعر نحو العراق حكومياً وشعبياً. وإن كان هناك اعتقاد منطقي بأن الحكومة لها حسابتها السياسية الأخرى بشأن هذا التغيير لكن الأغلبية كانت مدفوعة بفيض من الإحساس القومي والأمني إلى تقدير دور العراق في هذه الحرب الدائرة. وهكذا تم تحول نفسي مفاجىء نحو العراق أشبه بالإنقلاب من أقصى إلى أقصى. فهذا التخوف منه أصبح تخوف عليه وكانت هناك

مشاعر امتنان وعرفان للدور الذي يؤديه وإحساس بالدين نحوه تمثل بسخاء معنوي ومادي.

هكذا جاء الإحتلال مفاجىء. ولعل اسبوع قبل الاحتلال واثارة موضوع الحدود خلق مرحلة نفسية عند الكويتيين أشبه بصدمة عدم تصديق. فهذا الود القائم لا يجب مواجهة واقع طمع العراق بعد سنوات الود أمراً يحتاج مجهود نفسي كبير.

فالتجاهل كان أرحم من الدخول في صراع نفسي بأن ذلك الصفاء والود كل تلك السنوات كان وهماً. وبالتالي فحين تم الاحتلال بعد اسبوع من إثارة القضية أصيب الناس بصدمة مفاجئة أشبه بمن أصبح على أمراً ما كان في الحسبان. وذلك الأسبوع التسخيني قبل الإحتلال ما كان له وجود فعّال في التأهيل النفسي لدى الجميع.

وإذا كان إبتلاع دولة كاملة من قبل أخرى نوعاً جديداً في هذا الزمن، وإذا كانت السرعة الزمنية في الحدث نوعاً جديداً، فإن إحتلال دولة عربية لدولة عربية أخرى هو أيضاً نوعاً جديداً لم يسبق له إن حدث حيث أن تقاليد الاحتلال في التاريخ العربي بالذات تكون من قبل دولة أجنبية على دولة عربية.

2 ـ كان الإحتلال جديداً من حيث الشمولية

ونقصد بالشمولية هنا في شمولية الاحتلال والسيطرة. فتاريخ الإحتلال في العالم قد يحمل شيء من شمولية فعل الإحتلال ولكن ليس بما تميزت به شمولية الإحتلال العراقي على الكويت من حيث الكم ولا من حيث السرعة ولا من حيث النوعية. لقد قام الإحتلال العراقي وبفترة وجيزة بعمل مسح شامل للهوية الكويتية. فالإنسان الكويتي وجد نفسه ينادى من اليوم الثاني على إنه عراقي وليس كويتي. ويسأل في الشارع وفي مقرات التحقيق

عن هويته الجديدة. وهذا أمراً ما تطلبته كثيراً من الدول التي إحتلت دولاً غيرها. وإن حدث فلقد كان ذو صيغة مختلفة. كأن يكون الإنسان تابع للدولة التي إحتلته ويحمل لقب التبعية ولا يكون ذو هوية البلد المحتل رأساً. وإن حدث ذلك الإستبدال للهوية فيحدث مع الزمن وبوجود فترة طويلة تحتم الإنتماء. أو بفعل إستسلام البعض طواعية من اليأس، من القناعة، أو من باب حيلة المقاومة. لكن في الكويت كان تغيير الهوية أمراً قصرياً وسريعاً. تغيير العملة، تغيير الأوراق الرسمية، تغيير أسماء المناطق والشوارع ومسميات الدوائر الرسمية والإجبار على التعامل معها، هذا الأمر كذلك لم يحدث بهذا الشمول والسرعة في تاريخ الإحتلال في العالم.

ثم نأتي أيضاً إلى أمر التفاعل البشري بين المحتل العراقي والإنسان الكويتي فالتقليد العام هو استخدام عنصر الإستمالة بإظهار مزايا الإحتلال ومحاولة جرجرة مَن قام عليهم الإحتلال باستخدام أسلوب ترغيبي للرؤوس القيادية وللشعب عامة. في الإحتلال العراقي كان الإرهاب المتمثل بالتهديد والتعذيب هو أسلوب التفاعل البشري الوحيد أو العام. حتى غدا الأمر أشبه بخطة خلق عداء مع الشعب المحتل وهو تقليد في الإحتلال أيضاً جديد.

ومع شمولية التعذيب كانت هناك شمولية التخريب. وهو إمتداد للتعذيب البشري فالإنسان يرتبط نفسياً بأشياءه، بمدنه، وبمعالم دولته. لقد وجد الإنسان الكويتي نفسه مع إحتلال يتلف كل حيثيات وجوده. أقول يتلف وليس فقط يسرق. فلقد كان إحساس سرقة الأشياء بصحتها وسلامتها أهون على نفسية الكويتي من تخريبها وتدميرها أمام عينه. فسيكولوجية قبول أخذ الشيء سليماً أرحم من سيكولوجية تدميره أمام عينك. فالإنسان قد يتحمل ألم فراق الأشياء سليمة بإعتبار أنه سيستفاد منها، أو لربما تعود إليه. لكن رؤية الأشياء تدمر أشبه بواقع التعامل مع جثة محروقة. إن حرق البيوت والمؤسسات كان حرقاً للقلب الكويتي وإعلان رسمي أنَّ هذا الإحتلال جاء

ليدمر تدمير شامل للإنسان الكويتي. كما أن التدمير تميز بشمولية التدمير للمعالم العلمية، المعمارية، الثروات، الخ.

3 ـ كان الإحتلال جديداً من حيث الدرجة

أما عامل الدرجة فيتمثل بالمبالغة والحدة في كل أمر سبق ذكره في عنصر الشمولية. فالمحتل قد يسعى إلى تغيير الهوية شكلياً لكن المطالبة قهراً بتغيير الإحساس هذه درجة شديدة. الإحتلال قد يغير الصيغة الرسمية للبلد لكن إرغام التعامل وعقاب الرفض الفوري، فعلى سبيل المثال نجد أن سلوك تمزيق النقود الكويتية علناً يعتبر في إعتقادي درجة شديدة العمق.

الإحتلال قد يسعى للتعذيب كأسلوب إرضاخ إذا كانت هناك مقاومة. لكن الإحتلال العراقي سعى إلى التعذيب حتى لمن لم يقم بحركة مقاومة. والتعذيب لم يكن خفيف أو استجوابي للأبرياء، بل كان قاسياً وشرهاً ببهيمية تعذيب خلقت صدمة عامة. فقد تؤخذ من الشارع بلا ذنب ويمارس عليك فقاء العين وحرق الأعضاء التناسلية والضرب لدرجة الإغماء. ثم تسأل لماذا أنت هنا.

الإحتلال قد يخرب معالم تخص رمز الدولة السابقة، مع الإبقاء على المعالم الأساسية كأمراً معمارياً أو حتى من باب الإستفادة منها. لكن الإحتلال العراقي كان ذو نزعة تدميرية إلى أقصى درجة للتدمير وهو الحرق. وفعل الحرق درجة تأتي بعد فعل التوسيخ والإهمال والهدم. إن فعل الحرق كنزعة تخريب يمثل درجة حقد شديدة العمق في سلم التحليل النفسي هذا بالنسبة للفاعل. أما بالنسبة للمشاهد أو المالك فاثر الفعل أيضاً شديد. إنه يترك كتلة من الغضب والحقد ورغبة الإنتقام غائرة في النفس



إن هذا الحدث الجديد المتميز يدفع إلى ضرورة التوثيق والذي يعتبر ضرورياً لإعتبارات عديدة: -

1) الإعتبار التاريخي: لأن ما حدث يُعتبر تاريخ للكويت وللعالم وأمر تدوينه حتمية يطلبها التاريخ.

2) الإعتبار الإنساني: فعل الغزو العراقي هو فعل بشري يرصد توصيف للإنسان في قمة طمعه وشراهته وقسوته وتدميره. وما ترتب على هذا الفعل من إضطرابات نفسية على الشعب الكويتي هو كذلك أمراً جديراً بالتوثيق.

3) الإعتبار العملي: ما قام به العراقيون من تدمير وتخريب مادي ومعنوي يفرز مادة علمية دسمة جديرة بالرصد والدراسة. ولعله وعلى سبيل المثال لا الحصر الكارثة البيئية من تفجير آبار النفط إحدى تلك الآثار المادية الجديرة بالدراسة.

4) الإعتبار القانوني: الجاني والمجني عليه فرداً أم دولة في هذا الموضوع الدولي المتحضر لهما محاكمة حقوق. وهذا الرصد والتوثيق يساعد كثيراً في تحديد العقوبة وتحديد الحقوق.

(5ا لإعتبار الجغرافي: ما فعله العراق معناً كدولة جارة وما فعله من قبل في أيام الرئيس عبد الكريم قاسم يدل على أن الطمع بابتلاع الكويت أمراً موروث ويطفح بين الحين والآخر. إن حتمية هذه الجيرة تدفعنا إلى ضرورة استجداد قانون جغرافي معه يتم تحديد الحدود في محفل دولي يوقف هذه الأطماع بخط دولي وإتفاقيات واضحة. كما يحتم علينا ضرورة فهم الإنسان العراقي بدراسة السيكولوجية

العراقية. فما رأيناه منهم حكومة وشعب يدفع قهراً إلى ضرورة معرفة هذا الجار الجغرافي.



وكما قلنا في البداية كانت هناك استجابة للتوثيق لكل الإعتبارات السابقة الذكر. وإذا كان التوثيق المادي قد تمّ أسرع إلا أن التوثيق المعنوي والمتمثل بشكل أساسي برصد الآثار النفسية المترتبة من جراء معايشة الغزو أو من جراء التعرض للتعذيب النفسي والجسدي قد تلى التوثيق المادي وما زال مستمراً.

لقد كانت هناك جرأة وشجاعة في طرح الآثار النفسية العامة للغزو على الإنسان الكويتي من باب التوثيق والأمانة التاريخية. بالطبع كانت هناك جهود فردية وجماعية أثناء الإحتلال تقوم بعملية توثيق لكل الإنفعالات العامة والإنفعالات الفردية لسلوك الإنسان الكويتي وسلوك الإنسان العراقي المحتل. ومن باب المثال لا الحصر فإن جزءاً من هذا التوثيق قامت به صاحبة الكتاب من معايشة حالات الإضطرابات النفسية ومن معايشة الإغتصاب التي تعاملت معها أثناء الإحتلال.

بعد التحرير هبت أقلام كثيرة لطرح الآثار النفسية من وجهة نظر أصحابها سواءً كانوا متخصصين أو ذوي خبرة وتجربة. أما الخطوة الرائدة للتعامل مع آثار الغزو النفسية بشكل علمي فلقد إنطلقت من «الجمعية الكويتية للدفاع عن ضحايا الحرب». وهي أول جمعية منظمة تعني بتوثيق حدث احتلال الكويت من جانبه الإنساني بتوثيق تجربة الأسرى والمعذبين ورصد المفقودين والأسرى. وهذه الجمعية لم يكن تميزها فقط بكونها أخذت صدارة التواجد ولكن في إعتقادي أنها كانت الأكثر تنظيماً والأكثر شعبيةً والأكثر عطاءً لأجل العطاء في بدايتها. «لجنة مناهضة التعذيب» إحدى

اللجان الرئيسية في الجمعية الكويتية للدفاع عن ضحايا الحرب. من هذه اللجنة إشتق فريق أطلق عليه «الفريق النفسي الإجتماعي الطبي» ويتمثل دور الفريق بإجراء مقابلات مع الأسرى والمعذبين ومَن يعاني من اضطراب نفسي جراء وجوده تحت ظل الإحتلال، وتوثيق المعاناة وإقتراح جلسات إرشاد نفسي للفئة التي تتطلب حالتها العلاج النفسي والتعامل مع الجهة الرسمية المتمثلة بالطب النفسي لإدخال بعض الحالات التي يستوجب وجودها تحت الرقابة النفسية مثل بعض الحالات ذات الميل الإنتحاري أو التي تحتاج علاج دوائي من ضمن إختصاص الطب النفسي. كما إن إحدى مهام الفريق إجراء فحوص طبية للأسرى لرصد التعذيب والإعاقة الجسدية للأسرى أو المعذبين والمتضررين من الإحتلال. وإعطاء علاج بحدود إمكان الطبيب الموجود أو القيام بتحويل الحالة إلى الجهة العلاجية المختصة حين تتطلب حالته كذلك، كأن يكون المعذب يعاني من كسور في العظام أو تشوهات جسدية تحتم الذهاب إلى مستشفى تخصصي. أما الجانب الإجتماعي فيتم القيام به عن طريق دراسة الظروف الإجتماعية للحالة ومحاولة خلق تكيف إجتماعي للأسرى من قبل تأهيل أسرهم للحالة التي هو بها.

أو برصد العائلة كعامل مساعد على الإضطراب أو مساعد على العلاج. وعلى الرغم من الجهود التي كان يقوم بها هذا الفريق إلا أنها جهود فردية وليس لها خبرة سابقة بالتعامل مع حالات ضحايا حرب. إلا أن وجود نزعة العطاء بشيء من الخبرة الشخصية العامة جعل هذا الجهد بكل ثغراته جيد، أو على الأقل يمثل خطوة رائدة لرصد الآثار النفسية.

بعد ذلك استجدت جهات تقوم بدور علاجي ولكنها كانت أكثر حظ من حيث كونها مدعومة حكومياً مما يسهل كثيراً من مهماتها. ومن تلك الجهات مكتب الشهيد، لجنة الأسرى وأخيراً مركز الرقعي وهذا الأخير أُسس بإعتبار أن يكون الجهة الرسمية المتخصصة لعلاج ضحايا الحرب.

ومن باب التوثيق أيضاً ومن منطلق تجربتي الشخصية يمكنني القول بأن كل الجهات السابقة الذكر كانت لها جميعاً وبلا استثناء ثغرات علمية في إداءها العلاجي. وهذه الثغرات في الأساس من كون الحدث جديد ومن كون الجهات المتعددة تعمل متفرقة وتعزف كل واحدة عزفاً منفرداً. والحديث عن هذه الثغرات قد يطول ولكن رصد الأخطاء بحد ذاته يُعتبر ضرورة علمية تستوجب التوثيق أيضاً.

من كل تلك الجهود وغيرها من جهات رسمية مثل وزارة التربية ووزارة الشؤون الإجتماعية والعمل ومؤسسات علمية خرجت أعمال توثيق الإضطرابات النفسية الناجمة من الغزو. لقد كان هناك عون حكومي وشراهة إعلامية في طرح الآثار النفسية للشعب الكويتي بفعل الغزو العراقي. وهذا الطرح النفسي العلمي كان يتطرق للآثار النفسية العامة. أما لماذا أسميها آثار نفسية عامة فذلك يعود إلى التوصيف لأعراض الخروج من الأزمة والذي يُعرب بـ Psychological Post Traumatic Symptoms (PPTS)والتي أطلقت عليه الكاتبة إصطلاح «احتلال ما بعد الإحتلال» في كتابها الدرس الأول «رؤية نفسية لأزمة الثاني من أغسطس». من منطلق التوصيف العلمي المتفق عليه ومن منطلق التوصيف الخاص للكاتبة فإن إعراض الخروج من الأزمات فيها تقارب وتشابه.

إلا أنَّ هناك بعض الأزمات الخاصة تحوي كل الأعراض العامة مع شيئاً من العمق والحدة فيها ومع وجود بعض الأعراض الخاصة بها كأزمة مثل أزمة التعذيب الجنسي.

إن الإعتداءات الجنسية بكل صورها تمثل أزمة ذات طابع خاص وتأثير خاص على الإنسان مقارنة بأي اعتداء وأزمة أخرى فيها. وذلك لأن الجانب الجنسي في حياة الإنسان يملك خصوصية. إن الجانب الجنسي يمثل مركز إنسانية الإنسان وأخلاقه وقيمه ومحرماته وحتى بؤرة عقده. وهذا لأمر

لا يخصنا فقط كشرقيين أو كمسلمين أو كعرب بل هو سمة عامة في كل المجتمعات وإن اختلفت الدرجة. إن المساس والإعتداء على الجانب الجنسي في الإنسان قد يؤدي إلى خلل نفسي وإجتماعي ما لا يؤدي إليه أي مساس من نوع آخر. فالإنسان وبالذات في مجتمعاتنا قد يحتمل صدمة حرق بيته أو حتى حرق جسده لكنه لا يحتمل صدمة إعتداء جنسي عليه حتى لو كان إعتداء لفظي. ولقد بلغت حساسية هذا الأمر عندنا وعند أغلب المجتمعات إن كلمة شرق باتت وبتلقائية تعني الشرف الجنسي.

من تجربتي مع بعض حالات الإغتصاب أثناء الإحتلال ومن رصد حالات التعذيب الجنسي في الجمعية الكويتية للدفاع عن حضايا الحرب وجدت أن مساحة الجريمة الجنسية التي ارتكبها الجيش العراقي أمراً جديراً بالإهتمام والرصد. وإن توثيق هذه الجريمة ضرورة لا تختلف عن ضرورة حركة التوثيق كلها. وإن كان يجب أن تكون تابعة للتوثيق النفسي.

إن الإعلام العالمي كان قد استعلم وجود حالات إغتصاب فترة الإحتلال. لكن هذه المعلومة ما كانت لتؤكد إلا بعد التحرير وبدخول حشود الصحفيين في أول أيام التحرير. كان السؤال الأكثر إلحاح والذي يعتبر التطرق له مادة صحفية شهية للقارىء العالمي هو السؤال عن الجرائم الجنسية. كان الصحفيون قد جاءوا ولديهم قصص مهولة وأرقام لا تقل هولاً عن عدد ضحايا الإغتصاب. وكان هناك تلهف لطرح قصة مثيرة أكثر من طرح واقع أو وثيقة وهكذا تفاجأنا بقصص مطروحة على ألستنا في الصحف العالمية بما لم نقل وليس واقعياً. وللأسف أن البعض مدفوعاً بنار الغضب والغيظ قد أعطى معلومات خاطئة للصحافة العالمية شوهت أكثر مما أعطتنا عطف العالم.

شخصياً كنت أصر ومن البداية على أن هذا لأمر الذي بدأ يفقدنا أكثر مما يعطينا يحتاج تصريح رسمي. وهذه القناعة أعلنت بها لأكثر من جهة

مسؤولة. فما حدث من جرائم جنسية في المجتمع الكويتي ليست مادة صحفية يثرى بها الخيال الصحفي. هناك وقفة رسمية يجب أن تحد من كل ما هو جاري. وكان الرد هو وجوب غظ النظر فنحن مجتمع محافظ. وصرخت نحن لسنا بصدد الطرح ثقافة جنسية. هذه جرائم يجب أن توثق وبقى هناك صمت لأشهر حتى بلغ السيل الزبى، من وجهة نظر الحكومة، وجاءني الدكتور ابراهيم العبد الهادي الذي كان آنذاك مدير مستشفى الولادة وأخبرني على لسان وزير الصحة، الدكتور عبد الوهاب الفوزان بأن بعض الصحف قد بالغت لحد التشويه بأمور تخص جرائم الإغتصاب والحمل الغير شرعي الذي تم عند بعض ضحايا الإغتصاب. وكان خلاصة النقاش هو قناعتي بضرورة الرد على هذه القضية من قبل متحدث رسمي. وكان ذلك، حيث قمت والدكتور ابراهيم العبد الهادي بإعداد ورقة تمثل البيان الخاص بالجرائم الجنسية بشكل ملخص ألقاه السيد وزير الصحة في مؤتمر صحفي. والبيان مرفق في آخر الكتاب.

لكن إعلان تصريح رسمي يبقى ناقص بدون عملية التوثيق. ولأننا لا نريد أن نمارس تخبط علمي كان هناك طرح فكرة التوثيق على بعض الجهات الرسمية وبالأخص وزارة الصحة ومؤسسة التقدم العلمي. والنتيجة أن وزارة الصحة مارست صمت طويل وبعده جاءت حكمة عدم ضرورة التوثيق. أما مؤسسة التقدم العلمي والتي رصدت ميزانية ضخمة لدراسة آثار الإحتلال على الإنسان الكويتي فقد فرحت بالفكرة. ثم ردت الفرحة باعتذار. أما سبب الإعتذر فقد رفض الرد عليه واكتفى برد شفهي بأن الأمر حساس. وهكذا كان خجل الإنسان والتجاهل أقوى من الحاجة العلمية في توثيق ما حدث. وعرض الدراسة مرفق في آخر الكتاب.

إن قناعتي العلمية كمعالجة للمشاكل الجنسية وتجربتي مع ضحايا الجنسية للجيش العراقي. وإحساس كمواطنة كويتية يدفعني إلى توثيق هذا الجزء

الذي يرفض الكل توثيقه. إن التوثيق الناقص يؤدي إلى تاريخ ناقص، علاج ناقص، ورؤية ناقصة.

ويبقى عذري في الهفوة والنقصان أني طرقت الأبواب المسؤولة عن إعطاء الصورة الأكمل فكانت لا تُرد، لأن خجل التقاليد كان أقوى من حق التاريخ.

د. فوزية الدريع

اكتوبر 1992م

الفصل الأول

التعذيب

سكيون ضرباً من المبالغة إن قلنا أن الإحتلال العراقي هو الإحتلال الوحيد الذي مارس التعذيب على مواطني الدولة التي إحتلها. ولكن ستكون أكثر واقعية حين نقول أن الإحتلال العراقي كان الأشرس قياساً بما طرحه التاريخ الإحتلالي للدول. وهذا التقييم نتاج مقارنة عوامل عديدة سبق الإشارة إليها في مقدمة الكتاب. منها:

★ العامل الزمني:

حيث أن الفترة الوجيزة للإحتلال والمتمثلة بسبعة أشهر هي فترة قصيرة في عمر الإحتلال ومساحة التعذيب التي جرت خلالها كبيرة قياساً للزمن القصير.

★ العامل التفاعلي:

لم يكن هناك برنامج ترغيب قد أخذ مداه في إستمالة الشعب الكويتي للإحتلال. بل إن إستخدام العنف كان هو الأسلوب الأول المباشر. وإن كان من باب الحق القول بأن الشعب الكويتي لم يبدي من اللحظة الأولى أي إستعداد للتجاوب. مما شجع سرعة العدوان الذي يتفق مع الشخصية الإندفاعية التهورية العدوانية السياسية العراقية.

★ العامل العلائقي:

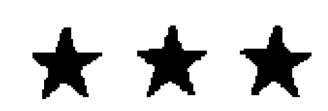
حيث أن شراسة أي احتلال في التاريخ تأتي في العادة من قبل شعب أجنبي على شعب آخر لا تربطه به صلة. والكويت مع العراق تربطهم علاقة

دين، علاقة جواز، علاقة قومية، علاقة ود خاصة في فترة ما قبل الإحتلال، علاقة مواثيق دولية مدونة، وعلاقة تزاوج حيث أن نسبة التزاوج بين أفراد الشعبين كبيرة. ولعل هذا كان أحد عوامل الصدمة للإنسان الكويتي الذي يرى خاله أو ابن عمه يحمل في وجهه سلاح. وهو ذات الإحساس بإزدواجية الطاعة والرفض التي عايشها بعض الجنود العراقيين.

من منطلق فكرة السيطرة، العنف قد يكون ضرورة لتحقيق الهدف. إن تاريخ الإحتلال في العالم قد مارس العنف بصورته اللفظية، بصورته الجسدية، أو بكلاهما حسب سياسة الدولة القائمة بالإحتلال أو حسب الضرورة التي يقتضيها ظروف الإحتلال. ومبدئياً يمكننا القول بأن كل إحتلال حدث في التاريخ لا بدَّ وأن يكون مصاحباً بعنف على الأقل من مبدأ ضبط الرفض الذي يظهره شعب الأرض المحتلة.

إن كل التوثيق التاريخي المدون لصور الإحتلال التي تمت في العالم ومن عمر الدنيا يؤكد أن العنف كان دائماً موجود بصورته النفسية والجسدية.

إن الخوض في صفحات والإطلاع على صور التعذيب التي مورست أمراً قد يطول به الحديث. وإن كان يؤسفنا القول بأن البعث العراقي يمثل خلاصة كل تلك الأساليب التي استخدمتها كل احتلال حدث في العالم. مضيفاً إلى تاريخ التعذيب أسلوب تقني أبرع متمثلاً بجعل التعذيب علم له طلبة تبعث إلى مراكز إرهاب للتشرب تقاليد الإرهاب القديمة والحديثة.



لا يمكننا الخوض في التعذيب الجنسي كتعذيب منفصلاً بحد ذاته ودونما التطرق إلى التوصيف العام المتعارف عليه للتعذيب وهو التعذيب اللفظي والتعذيب الجسدي Verbal Torture and Physical Torture ذلك لأن التعذيب الجنسي قد يكون تعذيباً لفظياً وقد يكون تعذيباً جسدياً وقد يكون

الإثنان معاً بالطبع. ومع هذان التوصيفان المتعارف عليهما هناك توصيف إضافي نريد أن ندرجه من ضمن أساليب التعذيب وهو «التعذيب الدرامي» وهو إصطلاح إستجددناه هنا. وهو تعذيب مورس وتتم ممارسته في كثير من صور الإرهاب كما في الإختطاف أو في الإحتلال لكن لم يمر علينا توصيفه. وكان يدرج من باب التصنيف السابق فيكون من ضمن التعذيب النفسي. ونحن هنا نؤمن بأن كل أنواع التعذيب الجسدي والنفسي هي تعذيب نفسي. وسوف نتطرق لهذا التعذيب بتفصيل بعد التطرق إلى التوصيف الكلاسيكي للتعذيب اللفظي والجسدي.

إن التعذيب بصورته اللفظية والجسدية يؤدي بشكل عام إلى إحداث اضطراب أو خلل أو حتى يؤدي إلى إحداث تلف رئيسي في الشخصية أو في القدرة العقلية. إن التعرض للتعذيب بشقيه اللفظي والجسدي، مهما كان هذا التعذيب بسيطاً ومهما كانت مدته قصيرة، فإنه لا بدَّ أن يترك أثر في نفسية المتعرض للتعذيب. إن حجم هذا الأثر يعتمد على عوامل عديدة. من هذه العوامل:

1) عامل الإستعداد

نحن نختلف كبشر باستعدادنا الفطري الذي ولدنا به، أو الذي كسبناه من الحياة في التفاعل مع أي أزمة أو تجربة نمر بها. والإستعداد قد يكون معنوي وقد يكون جسدي. فهناك فئة قوية البنية النفسية. وهناك فئة ضعيفة البنية النفسية. هناك فئة قوية البنية الجسدية وهناك كذلك فئة ضعيفة البنية الجسدية. وبناءً على هذا الإستعداد يتحدد مدى أثر التعذيب على الإنسان.

هناك فئة هشة قد يؤدي التعذيب بكلمة جارحة أو حتى بإهمالها إلى تحطيمها. وهناك فئة قادرة على إمتصاص كل سبل التعذيب النفسي. وبالطبع هناك فئة وسط قادرة على أن تمتص جزءاً من التعذيب ويبقى جزء

يأكل من نفسيتها وقدراتها. بالنسبة للإستعداد الجسدي كذلك نجد البعض يملك بنية تحتمل الصمود أمام ضرب الوجه وحرق اليد ونتف الشعر. وفئة قد تسلم روحها من أول صفعة.

2) عامل العمر

العمر له أثر كبير في تحديد حجم الأثر السلبي للتعذيب بشقيه اللفظي والجسدي. إن الأطفال أكثر قابلية للخدش النفسي والتلف الجسدي من الكبار في حالة تعرضهم للتعذيب. إن الإنسان الناضج قادر بحكم تجربته الحياتية ونضوج عقله ونمو مقدرة التعلم لديه على أن يمارس منطقة الأمور وتفسيرها بقدر، بالطبع يتفاوت من ناضج إلى آخر. ولكنه بشكل عام فإن الناضج قد يصل إلى تصور ما وتفسير معين للأمور التي تجري حوله أو عليه مما يخفف المعاناة. تفسير وحالة الجهل بالسبب هذه تؤدي إلى إحداث تلف بالغ الأثر. وأحدث عوامل إحداث التلف على نفسية الطفل إنه في العادة مَن يقوم بفعل التعذيب على الطفل هو إنسان ناضج كبير. والطفل يولد مخلوق بفطرة الثقة بالكبار والإعتماد عليهم. إنهم يمثلون العالم الذي يوفر له الأمن والعطاء والتعرض للتعذيب من قبل كبار يخلق شرخ ثقة وإنعدام منطق وخلل توفق في الطفل قد يبقى كالندب الدائم في نفسيته. ضف إلى ذلك أن الطفل ببنيته الهشة أقل تحمل للتعذيب الجسدي من الإنسان الكبير.

3) هوية القائم بالتعذيب

إن هوية القائم بالتعذيب لها دورها في تحديد حجم الآثار السلبية في نفسية ضحية التعذيب. وحقيقة هناك فروق في تقييم هوية القائم بالتعذيب. ففي حين يكون أثر التعذيب شديد التدمير على نفسية البعض حين يأتي من إنسان قريب. فإن البعض الآخر يهون على نفسيته التعذيب الصادر من القريب، على أن يكون التعذيب صادر من إنسان غريب. فبعض الأطفال قد

يمتصون تعذيب الأم والأب ولكنهم لا يحتملون تعذيب إنسان غريب. في ظروف إحتلال الكويت وممارسة التعذيب البعض كان يتصور إن هذا التعذيب لو جاء من غير جار عربي مسلم أرحم من كونه يأتي لك من إنسان لك به صلة اللغة والدين والجيرة والدم.

4) عامل الظرف الزمني

ونقصد هنا بعامل الظرف الزمني هو مجموعة من الظروف التي تحيط بالفرد في فترة زمنية واحدة. ونجعل منه مؤهلاً أما لأن يكون صلب أو ضعيف لأي أزمة يمر بها. فذات الشخص قد تلعب ظروف ما في جعله قوياً أمام أي صدمة. وبإختلاف الظروف في فترة أخرى من الزمن قد يكون غير قادر على إمتصاص أي صدمة مهما كانت صغيرة قياسياً إلى ما كان قد مر به سابقاً. ومن تلك الظروف التي قد تلعب دورها مجتمعة أو متظافر بعضها مع بعض الظروف الإجتماعية، الظرف الوظيفي، الظرف العاطفي، الظرف الصحي، الظرف الإقتصادي، وغيرها. وكما قلنا بعضها أو كلها مجتمعة قد تحدد أثر التعذيب على نفسية صاحبها.

وكما بدأنا القول بأن التعذيب بشكل عام وبشقّيه اللفظي والجسدي يحدث اضطراب، خلل، أو تلف نفسي لدى الإنسان. وحياة الإنسان الجنسية هي حياته النفسية فهما إمتداد واحد. وبقدر ما تكون حياة الإنسان النفسية سليمة متوازنة عايشت كماضي وتعايش كحاضر استقرار تكون حياته الجنسية انعكاس لتجربة الماضي ومسيرة الحاضر. إن التعرض لأي صورة من صور التعذيب اللفظي تؤثر على حياة الإنسان الجنسية. وإن أي تعرض لتعذيب جسدي يؤثر على حياة الإنسان الجنسية. أما إذا كان التعذيب مباشر ليمس حياة الإنسان الجنسية بصوتية، التعذيب اللفظي الجنسي والتعذيب الجسدي الجنسي، فساعتها يكون الألم السلبي للتعذيب

أكثر تلفاً وتكون جذوره السلبية على حياة الإنسان الجنسية غائرة. إن الإنسان روحاً وجسداً ملتحمان. أي ضرر يتسرب للروح يؤثر على الجسد وأي تلف يصيب الجسد يمس الروح. إن الإنسان بكله أشبه بالأواني المستطرقة كلها تسرب على بعضها البعض.

خلاصة كل ما سبق تدفعنا إلى ضرورة طرح التعذيب اللفظي والتعذيب الجسدي العام وأثرهما على الأداء الجنسي للإنسان. ثم نتطرق إلى التعذيب الجنسي بشقيه اللفظي والجسدي. وعلى الرغم من تشابه عناصر التعذيب النفسي والجسدي في العالم وحسب ما تطرحه كثيراً من الدراسات إلا أنه تستوجب الإشارة إلى أن التصنيفات التالية والتي سيتم ذكرها هي استخلاص من تجربة التعذيب الذي جرى على الإنسان الكويتي من قبل الجيش والمخابرات العراقية.

إن هذه المعلومات التي سيتم طرحها مستقاة من تجربة الكاتبة الشخصية مع ضحايا الحرب أثناء الإحتلال وبعده. ومن ملفات المسجلين كضحايا تعذيب في الجمعية الكويتية للدفاع عن ضحايا الحرب ومن حالات التعذيب التي تراجع في الطب النفسي أو الحالات التي عولجت من قبل الكاتبة بشكل شخصي.

أولاً: التعذيب اللفظي Verbal Torture

يقصد بالتعذيب اللفظي التعذيب المتمثل بإصدار كلمة أو جملة أو حديث متواصل مكرر فيه تهديد، تحقير إيحاء بأذى. ويكون موجه بقصد إحداث إضطراب في شخصية الملقى عليه التعذيب أو غسل دماغه أو إضعاف روحه المعنوية. والتعذيب اللفظي قد يمارسه الإنسان بشكل عام في حياته اليومية. وقد يكون مدركاً بأنه يقوم بذلك أو يفعله من منطلق نفسي لا شعوري. فيحدث إضطراب في شخصية الإنسان التي يلقى عليها التعذيب اللفظي. فعلى سبيل المثال قد تمارس الأم التي تحقر طفلها وتهبط معنوياته وتصغر إنجازاته شيئاً من التعذيب اللفظي. وقد يلعب الرئيس بالعمل ذات الأمر مع مرؤسيه.

يمكن تصنيف التعذيب اللفظي الذي كان يمارسه الجيش والمخابرات العراقية كالتالي:

1- التحقير:

وهناك عدة صور للتحقير الذي كان يمارس.

أ) التحقير بإنسانية المعذب:

حيث يطلق عليه مجموعة «ألفاظ تحط من إنسانيته. ومثال لتلك الألفاظ «أنت حيوان»، «أنت بهيمة»، «أنت لا شيء»، «أنا حشرة»، «تبرز في مكانك فأنت والبقرة واحد»، الخ.

ب) التحقير بخصائص هوية المعذب:

إن الإنسان لديه خصائص في هويته. كل خاصية تشكل جزء من هذه الهوية يمس ذاته. والتحقير بأي جزء من الهوية هي مساس بالشخص. من خصائص هوية الإنسان:

الجنس: جنس الإنسان ذكراً أو أنثى كان عرضة للتحقير. فكان القائم بالتعذيب يمارس تحقير لفظي بشأن جنس الإنسان. مثل «أنت لست رجل»، «أنتِ مجرد إمرأة حقيرة ضعيفة».

الجنسية: وهي الصفة الشرعية لإنتماء الإنسان لوطن. ومن صور التحقير بالجنسية التي دوناها «أنت كويتي لا تسوي شيء»، «هل تعتقد بأنك كفوء لأنك كويتي»، «أنتم مجرد كويتيين أغبياء وحيوانات لا تفهم»، «إحمد ربك أنك الآن عراقي فالكويتي لا شيء».

المهنة: تمثل المهنة عنصر من عناصر الهوية والتحقير بالعمل كان يرد كأسلوب تعذيب لفظي «أنت ضابط، أنت حيوان لا شيء، وظيفتك ستجعلك تدفع ثمنها»، «مدرسة، معلمة لا تسوين شيء عقلك كالنعال لا يفيد»، «ماذا يعني طبيب، مهنة إنسانية سأجعلك تدفع ثمنها بأن أغرس الإبر في صدرك».

الوضع الزواجي: الحالة الزواجية للإنسان إستُخدمت كجزء منن إهانة هوية الإنسان «الأخت عازبة، بدون رجل، ضعيفة حقيرة»، «حضرتك متزوج، ولديك أسرة، يعني تريد إقناعي بأنك كفوء، أنت لا تستحق أن تتزوج وسأجعلك عاجز عن ممارسة الجنس مع زوجتك».

العائلة: الإستهزاء بالعائلة أمراً وارداً في التعذيب كذلك ويكون ذلك إما بشتم إسم العائلة وتصغير لفظها أو إذا كانت عائلة معروفة لديهم يتم تحقيرها وإطلاق أسماء وأحاديث تمس تاريخها.

ج) التحقير بالشكل:

يتعرض شكل ضحية التعذيب إلى التحقير اللفظي وعادةً يمسك القائم بالتعذيب عيب واضح في شكل الضحية ويتم

الضحك والإستهزاء به «أنظر إلى أنفك يشبه أنف الخنزير»، «أنظر إلى لونك، هذا لون الفحم مثل العنزة». وإذا كانت هناك إعاقة يتم التركيز عليها «أرجلك هذه المشلولة الحقيرة عديمة الفائدة سوف نحرقها حتى تتخلص منها».

2- الإستفراز:

يعتمد الأسلوب الإستفرزازي على خلق حالة اندفاعية لدى الضحية كي يتهور ويقوم بأي ردة فعل تجاه القائم بالتعذيب. والألفاظ الإستفزازية تسير بشكل تدفعه لأن يعطي ردة فعل إما بسبه وتحقيره بكل الأساليب السابقة الذكر. وإطلاق الفظ التحقير في بعض الأمور الحساسة مثل شرفه ورجولته وشرف نساءه أو بناته وإصدار تهديداً لفظياً لإعتداء سوف يحدث له. وبخاصة الإعتداء عليه جنسياً. والقصد من وراء الإستفزاز هو دفع الضحية إلى ردة فعل لفظية أو جسدية بإتجاه القائم بالتعذيب لممارسة تعذيب أكبر عليه. أو جعله يعايش الإستفزاز اللفظي «هيا دافع عن نفسك، أرني إن كنت رجل»، «سوف أغتصب طفلك هذا أمام كالآن، ما رأيك»، «هذه كتبك وهذا علم بلدك سوف أحرقه أمامك، ماذا ستفعل».

3- التهديد:

يُمارس التهديد كإحدى طرق التعذيب اللفظي بأهداف عدة. منها زعزعة الروح المعنوية للضحية وجعله يتأهب للموقف القادم ويتخيل هوله فيخر ويعترف إن كان لديه أمر يجب أن يعترف به. وهي وسيلة إضعاف تجعله يستقبل وسيلة التعذيب المهدد بها، إن حدثت، بروح أكثر ضعف. والتهديد قد يكون لأذية ذات المعذب مثل تهديد بإعدامه، بحرقه، باغتصابه. أو بفعل ذات الأمور بأهله أو بأصدقائه. والتهديد اللفظي يكون مبالغ فيه ومهول حتى يؤدي الغرض الذهني المراد منه. مثل «سوف نطحن زجاج ناعم ونضعه

فوق ظهرك ثم ندوس فوق ظهرك فيدخل الزجاج ويسيل الدم ونرش عليك ملح». هذا التهديد اللفظي يؤهل الضحية إلى صورة من الألم شديدة.

4- الصمت:

الصمت هو إمتداد للحديث وإن كان يأخذ الطرف الآخر في المحور. إن التعذيب اللفظي على قدر ما به من أذى وتعذيب على الشخص المعذب إلا أنه يمثل تواصل بين إنسان وإنسان، حتى لو كان أحدهما قائم بالتعذيب والثاني مستقبل للتعذيب. إن التواصل اللفظي نزعة إنسانية بحتة. وهذه النزعة تسعى إلى إشباع. ويمثل الحرمان منها تعذيب كبير. والإرهاب بشكل عام يدرك ذلك. كانت إحدى أساليب التعذيب اللفظي هو تعذيب الصمت الذي كان يمارسه العراقيون على الكويتيين. وكان يحدث ذلك بصور عدة. منها جعل الأسرى أو المتعلقين يجلسون معاً مع عقاب شديد لمَن يتواصل لفظياً. ومنها وضع الضحية في غرفة مع معذبيه وتركه مهمل متجاهل وعدم التحدث معه. وحتى إذا سأل يتم تجاهله أو كأنه غير موجود أو يعاقب إذا تكلم. وهناك الحبس الإنفرادي لأيام، لأشهر بدون التحدث معه. إن الصمت والعزلة عن الحديث يحدث إضطراب عقلي وهلاوس شديدة حين يجد المعتقل نفسه يحدث نفسه يسألها ويجادلها. إن مساندة كل الظروف الأخرى الغامضة بشأن الإعتقال تجعل سؤال الذات وإجابتها أمراً مبهم، مجهول مما يزيد إحتمال الخلل العقلي عند الضحية المعذبة.

ثانياً: التعذيب الجسدي Physical Turture

التعذيب الجسدي هو التعذيب الذي يمارس على جسد الإنسان بقصد إحداث الألم، الإضعاف، التشويه، الإعاقة من أجل إضعاف الروح المعنوية لمتلقي التعذيب، الإنتقام منه، أو إجباره على إعطاء معلومات.

أ) طرق التعذيب الجسدي

من المعلومات التي قمنا برصدها للطرق التي تمّ تعذب الكويتيين بها من قبل الجيش والمخابرات العراقية يمكننا أن نصنف طرق التعذيب الجسدي إلى:

1- الضرب:

يُعتبر الضرب الطريقة الأكثر شيوعاً في التعذيب الجسدي. والضرب رغم أنه قد يكون أقل وسيلة تعذيب جسدي قد تسبب أذى. إلا أنه قد يمثل سبب رئيسي للأذى إذا كانت هناك مبالغة في الضرب من حيث الكم أو كانت وسيلة الضرب قوية. وهناك حالات قد توفيت، تخلفت، تشوهت، وتعقدت بسبب الضرب. والصفعة كأبسط وسيلة ضرب كافية بإحداث ضرر نفسي وضرر جسدي بليغ. ومن وسائل الضرب ما يلي:

اليد: يتم استخدام اليد بالصفع على الوجه وعلى باقي أجزاء الجسم أو الضرب بقبضة اليد (البوكس). وتستخدم اليد للدفع حيث يقوم القائم بالتعذيب بدفع جسم الضحية وهذا الدفع بقوة يُعتبر نوع من الضرب بالإضافة إلى ما قد يؤدي إليه الدفع من أذى حين يرتطم جسم الإنسان بشيء صلب أو حاد.

العصا: العصاة هي وسيلة مساعدة في الضرب وتقوم بدورين. دور يريح ويخفف جهد القائم بالتعذيب ويزيد قسوة الضرب على الضحية. ذلك لأن الضرب باليد قد يؤلم القائم بالتعذيب لأنه يستخدم يده وبالتالي

فهناك تعب وألم وأذى قد يصيبه من جراء الضرب. في حين أن العصا تخفف عنه ذلك وهي في العادة أقوى من اليد في تسبب الألم. وهناك أنواع مختلفة من العصا منها «الخيزرانة» و«العجرة» وهي خيزرانة برأس مدور. وهناك بعض أنواع «العصا الغليضة»، «العصا المسمرة» والتي يحوي رأسها أو كلها مجموعة مسامير أو دبابيس. «العصا المجلدة» وهي عصا ملفوف عليها جلد أو بلاستك وهي لا تقل ألماً عنها خالية بل على العكس أن الجلد يسخن مع استمرار الضرب ويسبب وجع أكبر. هناك أيضاً تمّ إستخدام الأسلاك الكهربائية (الويرات) والكيبلات للضرب. ولعل ميزة هذا الإستخدام هو أنه مسبب أكبر للألم نتيجة وجود السلك الحديدي المغلف بالبلاستك. كما تمّ إستخدام خراطيم المياه (الهوز)، خالية أو مملوءة بالرمل حتى تصبح أقوى في إحداث الألم. ومن الأدوات المستخدمة في الضرب هي النوابض الحديدية. هذه النوابض القوية عندما تُستخدم بالضرب على جسم عاري حيث تؤدي إلى ألم مبرح إضافةً إلى أنها تسحب معها جزءاً من جلد المضروب مما تؤدي إلى ألم يصعب تحمله.

القدم: تستخدم القدم في الضرب وذلك بطريقة الرفس الموجع جداً. وقد تستخدم مع لبس الحذاء العسكري الثقيل (البسطال).

أدوات أخرى: منها الأدوات الخاصة بالعسكري هي الأخرى كانت إحدى وسائل الضرب. مثل إستخدام حزام العسكري (النطاق). أو إستخدام أخمس البندقية (القطعة الخشبية أو الحديدية في نهاية السلاح). وكذلك إستخدام الحربة في الضرب. وكذلك المطارق والفؤوس وما إلى ذلك من وسائل.

ولقد تفنن العراقيون في جعل الضرب ووسائل الضرب السابقة الذكر أكثر فاعلية. ومن الطرق الني أبدعوا بها هو تنقيع العصا بالماء والملح، دهن

العصا بالزيت، ودهن العصا بمواد حارقة أخرى. وكل تلك المواد تساعد على زيادة الألم حيث يزيد الملح في حرقة الجروح التي تسببها الضرب مما يضاعف الألم على الضحية كما إن الزيت يعطي صوت أثناء ضرب الجلد مما يساعد في الأذى النفسي بالإضافة إلى الأذى الجسدي القائم على الضحية. وكذلك يؤدي هذا الصوت إلى إضعاف الروح المعنوية لضحايا آخرين يشاهدون التعذيب أو يستمعون له. ومن طرق التفنن في وسائل الضرب تجميع أكثر من عصا معاً وربطهم. إستخدام المقبض الحديدي في الأصابع. والضحية قد يُضرب وهو واقف وهو مربوط على كرسي وهو معلق في باب أو أي شيئاً آخر. وفي الغالب معلقاً من رجليه في المروحة أو السقف.

2- الكهرباء

الإنسان يدرك الجانب السلبي في الكهرباء رغم عدم إستغنائه عن الجانب الإيجابي لها كوسيلة مفيدة لتسيير حياته. لكن الكهرباء رغم ضرورتها تمثل وسيلة شديدة الخطورة. لذا فإن هناك إحتياطات سلامة كثيرة نعملها في حياتنا بما يخص إستخدام الكهرباء. والفكر الإرهابي يدرك هذا الجانب السلبي من أثره الجسدي. والكهرباء قد تُعطي تدرج شديد في الأذى ابتداءً من التخدير وإنتهاءً بالنتلة أو الهزة الكهربائية لجسم الإنسان ومروراً بإحداث حروق أو في إحداث الوفاة نتيجة إمرار شحنة كهربائية تؤدي إلى إتلاف الخلايا الحية في الجسم. ومن طرق العراقيون في استخدام الكهرباء في التعذيب ما يلي:

الأسلاك الموصلة:

السلك المعدني الكهربائي الغير مغلف بمادة عازلة للكهرباء يوصل إلى جسم الإنسان المراد تعذيبه وذلك بتوصيله إلى مصدر كهربائي. عندما

تسري الشحنة الكهربائية في السلك الموصل وتصل إلى الجسم تؤدي إلى صدمة مصحوبة بألم وتخدير وحروق وقد تؤدي إلى الوفاة. كل هذا يعتمد على شدة التيار المار بالسلك والفترة الزمنية التي يتعرض فيها الجسم للشحنة الكهربائية.

الأدوات الكهربائية:

تُستخدم الأدوات الكهربائية لإحداث صدمة كهربائية حرق مثل الموقد الكهربائي أو المكواة وغيرها.

الصورة المكهربة:

تمَّ إستخدام صورة الرئيس صدام حسين مكهربة وإجبار الضحايا على تقبيلها والتسبب في الصدمة بإيعاز أنها صورة مقدسة.

المصحف المكهرب:

تمَّ توصيل كهرباء في المصحف الشريف ودعوة الضحايا لوضع يدهم للقسم عليه والإدعاء بأنهم يكذبون حين يتم صدمه كهربائياً بإعتبار أن هذه لعنة المصحف عليهم.

الخوذة الكهربائية:

تمديد أسلاك في خوذة عسكرية وتلبيسها للضحية وتوصيلها بالكهرباء مما تسبب صعقة كهربائية على جلدة الرأس أو تسبب حرق جلدة الرأس أو حتى تؤدي إلى الوفاة حين توصيلها لفترة زمنية طويلة أو لشحنة كهربائية عالية.

الحذاء المكهرب:

يلبس الضحية حذاء فيه قاعدة حديدية موصلة كهربائياً والأذى الناتج يكون بحجم الشحنة الكهربائية الموصلة.

العصا المكهربة:

وهي عصاة تكون مشحونة بالكهرباء وعند ملامستها للجسم تعمل صدمة كهربائية. وأثرها يكون بقدر الشحنة الموجودة فيها.

ولقد كانت هناك أيضاً طرق استبدعت حتى تزيد فعالية الأذى بالكهرباء مثل رش جسم الضحية بالماء لكي يكون التوصيل الكهربائي أكبر وبالتالي يزيد الأذى. كذلك إستخدم كرسي قاعدته موصلة للكهرباء وموصل بمصدر كهربائي لتعريض الضحية للصدمة الكهربائية. كذلك وضع حلقات معدنية موصلة في أذن الضحية وعلى الأجهزة التناسلية وتوصيل الكهرباء لها. وقد وصلت الكهرباء كثير من أعضاء الجسم التي تبدي حساسية عالية للكهرباء لغرض زيادة الأذى على الضحية. فمثلاً وُصلت الكهرباء بالأذنين، تحت الإبط، الفم، الثديين، الخصيتين. وقد تعرض كثير من الضحايا إلى الصدمة الكهربائية في الجهاز التناسلي للمرأة والرجل حيث كان القائمون بالتعذيب يكثفون تعذيبهم الكهربائي في هذا الجهاز الحساس جدا.

3-الحرق

الحرق من وسائل التعذيب الشائعة. وهو مع كونه مصدر ألم شديد إلا أنه يمثل مصدر تشويه كذلك. وعلاقة الإنسان بالنار علاقة أولية وأشد من علاقته بالكهرباء. إن النار في عقلية ونفسية الإنسان تمثل مصدر أكثر عذاب وألم. ذلك لأن الكهرباء تبقى مجهولة غير مرئية والخيال يبقى فيها مجهول أما النار فإن العلاقة بها عينية مباشرة. ويستطيع الإنسان أن يدرك معناها بمجرد التهديد بها. ولقد استخدم العراقيون طرق عديدة لتعذيب الكويتيين بالحرق. ومن أساليب التعذيب بالحرق ما يلي:

الحرق بالسجائر
الحرق بالكهرباء المباشرة عن طريق الأسلاك.
الحرق بالكي - استخدام المكواة أو المدفأة الكهربائية
الحرق باستخام معدن ساخن جدا
الحرق بالمواد السريعة لإشتعال مثل البنزين والكازولين
الحرق باستخدام المواد الحمضية
الحرق باستخدام ماء مغلي

والحرق كان يتم على كل أجزاء بلا استثناء من إطفاء السجائر في الوجه والجهاز التناسلي إلى حرق الإقدام واليدين والفم والرأس. ومن الملفات المتوفرة ذكر سكب الماء المغلي في الفم وعلى الرأس وإطفاء السجائر في العين وسكب المواد الحمضية القوية، مثل حامض الكبريتيك (التيزاب) على جسم الضحية. والحرق يتعمد إحداثه في الأماكن التي يستخدمها الإنسان حتى يعاني أكثر مثلاً حرق اليد واللسان أكثر من حرق الصدر. ويتم الحرق لإحداث الأذى أو لإحداث الوفاة. كذلك يتم حرق الأحياء والفئة التي ماتت بعد التعذيب.

4- التقطيع

التقطيع أسلوب تعذيب كفيل بإحداث الألم والتشويه معاً في الإنسان. إن التقطيع أسلوب قديم قد إستخدمه الإنسان في التاريخ. إن قطع قدم العبد الآبق أو جدع أنف الإنسان المخل بالشرف أمور مدونة في صفحات التاريخ.

يُعتبر التعذيب بالتقطيع إحدى الطرق التي قام بها الجيش والمخابرات العراقية. لقد تمَّ التعذيب بالتقطيع بعدة طرق. فكان هناك حفر الجسم بخطوط أو بحفر بواسطة آلة حادة لإحداث قطع غزير أو سطحي بالجلد قد تمَّت بواسطة السكاكين أو أمواس الحلاقة أو أي حادة قادرة على فعل القطع. كان هناك أيضاً قطع تام للأجزاء الجسدية التي يمكننا إعتبارها ثانوية

أو رئيسية في الجسم مثل جدع الأنف، قطع الأذن، بتر القضيب، قص الثدي، الخ. ورد كذلك قطع للأطراف مثل بتر اليد والرجل. وهناك أيضاً كان تقطيع الإغتراف وذلك بكحت قطعة لحم من جسم الإنسان مثل غرف هبرة الفخذ، الساق، الزند، الأرداف، والخ.

وقد تمّ هذا النوع من التقطيع بواسطة آلة حادة أو آلة تقطيع كهربائية. هناك أيضاً قطع الإعدام مثل نشر الإنسان وهو حي من رقبته أو قطعة من النصف وصلتين. ولقد ورد في التاريخ الإجرامي لنظام البعث العراقي الدموي نشر الإنسان حيا وهو موضوع في تابوت أو تقطيعه أو الساطور. وحكاية «أبو طبر» من الحكايات الدموية في تاريخ البعث العراقي. وطالنا من ذلك التقطيع شيئاً كبيراً حين مورس علينا نحن الكويتون.

ادوات عملية وعلمية

كثيراً من الأدوات العملية المتوفرة حولنا لتأدية خدمة وتسهيل حياتنا اليومية مثل الكاوية الكهربائية، المدفأة الكهربائية، محمص الخبز (التوستر)، وغيرها استخدمت في التعذيب. كذلك هناك أجهزة علمية استخدمت للتعذيب كوسائل فعالة في إحداث الألم والضرر.

من التقارير التي رصدناها بهذه الأدوات والأجهزة المستخدمة ما يلي:

أدوات النجارة:

استخدمت المسامير لدقها في جسم الكويتيين. كذلك استخدمت المطرقة لكسر العظام مثل الجمجمة أو الركبة أثناء التعذيب. وأيضاً إستخدم المنشار لقطع أجزاء الجسم من يد أو رأس أو بطن. واستخدم الكلاب لقلع الأظافر والأسنان وقرص الجلد بها. والمثاقب أيضاً استخدمت في التعذيب لثقب الجسم في مواضع مختلفة من الجسم وخصوصاً في ثقب العضلات والأذن.

وأيضاً المثقاب الدوار (الدريل) كان له دور كبير كوسيلة أساسية لدى العراقيين في تثقيب أجساد الكويتيين.

أدوات الحيوان:

أطواق الحيوانات التي توضع في الرقبة بكل أنواعها الحديدية منها وغير الحديدية كانت توضع في رقاب الكويتيين من باب التعذيب الجسدي ومن باب الإذلال. أدوات ترقيم الحيوانات وخرامات أذنه كانت تستخدم بخرم آذان الكويتيين وإدخالها في أجهزتهم التناسلية وإحداث تشويه في أجسامهم بإستخدام الأدوات التي كانت يميز بها الحيوانات. كذلك المسالخ كأماكن تعليق الذبيحة كانت تُستخدم لتعليق الكويتيين.

أدوات فنية:

أدوات الحفر على الخشب التي تستخدم في المراسم كانت إحدى الوسائل الشائعة في إحدى حروق في أجساد ضحايا التعذيب. سكاكين القطع الفنية التي تستخدم في المراسم وفي الصحف استخدمت كذلك.

آلات علمية بحتة:

تمّ التعذيب بأدوات علمية بحتة تستخدم عادةً في الأبحاث والقضايا الطبية، غالباً بهدف العلاج. من هذه الأدوات جهاز لايزر العلاج بعض مشاكل العيون. كانت الجرعة الإشعاعية تزيد فيه فيؤدي إلى تلف الشبكية. جهاز الذبذبات لتحديد درجة السمع استخدم بزيادة الذبذبات على الأذن بغرض خرم طبلة الأذن والتسبب في فقدان السمع. المواد الطبية المفترض وجودها كمادة علاج كانت تُستخدم كمادة تعذيب وذلك بإعطاء جرعة كبيرة لإحداث الألم. من هذه المواد مواد التخدير، مواد مثيرة للألم، عقاقير الهلوسة، وغيرها.

إن بعض المتخصصين العلميين العراقيين كانوا عاملاً مساعداً في التعذيب.

فلقد ذكرت التقارير الواردة من توثيق تجارب مَن نجوا من الموت أنَّ بعض الأطباء كان يشرف على عمليات التعذيب بتوصية القائم بالتعذيب إلى كيفية إحداث الألم، كيفية إستخدام بعض الأجهزة، أو القيام بالتعذيب بإعطاء الإبر. ولقد شاهدنا في إحدى الأفلام التي صورت خفية أثناء الإحتلال طبيب يكمل قتل كويتيين بإطلاق آخر رصاصة على رأس كويتي كان قد تمَّ تنفيذ حكم الإعدام به رمياً بالرصاص.

ب) أنواع التعذيب الجسدي

ليس هناك تصنيف محدد للتعذيب الجسدي قد صادفناه في قراءة بعض ما كُتب عن التعذيب الجسدي. بل كان هناك ذكر عام عن أماكن التعذيب في الجسد وكيفيتها. ولكن من تلك المعلومات التي تمَّ جمعها من الملفات الخاصة بضحايا الحرب في الجمعية الكويتية للدفاع عن ضحايا الحرب ومن تلك المقابلات التي تمت أثناء الإحتلال وبعد التحرير مع المعذبين في مستشفى الطب النفسي وفي خارجه أمكننا عمل تصنيف معين لأنواع التعذيب الجسدي الذي تمَّ على الكويتيين من قبل الجيش والمخابرات العراقية:

1) تعذيب تشويه الشكل

يرمي تعذيب تشويه الشكل إلى إحداث قدراً من التشويه في شكل الإنسان وبخاصة الشكل الظاهري له. أو في الأجزاء التي تُعتبر عنصراً مهماً في تحديد هويته الجمالية كإنسان، رجل أو امرأة. ولعل التشويه الأكبر يتم في الوجه والرأس، الأطراف الظاهرة، اليدين والرجلين، والأجهزة التناسلية. ومن صور تعذيب وتشويه الشكل حلق الرأس أو تنتيف اللحية أو حرق جلدة الرأس. كذلك فقاء العين أو الضرب عليه لتشويها، حلق شعر الحاجب وقص أو تقطيع أو تشويه رموش العين. أيضاً قص الأذن أو خرمها أو حرقها. وتشويه الشفتين بحرقها أو قطعها. تشويه الخدود والوجنة بقطعها

بالموس أو إطفاء السجائر بها. حرق اليد، قطع أصابع اليد، قلع أظافر الأصابع. ثقب القدم أو قطع الأصابع أو تهشيم القدم. حرق الثدي، قطعه، تشويهه. حرق أو قطع كل أو أجزاء من الجهاز التناسلي للرجل والمرأة. حرق شارب الرجل وشعر صدره كمعالم رجولة. قلع الإنسان أيضاً من وسائل تشويه الشكل. والتشويه قد يكون بخلق إعاقة تامة مثل فقاء العين أو قطع الرجل. أو يكون مجرد تشويه شكلي لا يؤثر على وظيفة العضو.

2) تعذيب إحداث الألم

يكون هدف تعذيب إحداث الألم بالدرجة الأولى توجيه الألم وليس التشويه وإن كان بعض أساليب إحداث الألم قد يؤدي إلى تشويه. وإن كل صور التعذيب فيها ألم. إن إحداث الألم تعذيب قد يكون هدفه الرعب أو التخويف أو يكون تسخين لتعذيب أكبر وأقسى. ومن صور تعذيب إحداث الألم العض وقد وردت في التقارير أن بعض المعذبين تم عضهم بأسنان المعذب على الكتف والرقبة والفخذ والزند. القرص في كل أجزاء الجسم مثل الخدود ولزند والفخذ والقرص يتم بيد القائم بالتعذيب أو بإستخدام آلة مثل الكلام أو الكلبجة. شد الشعر أيضاً وسيلة إحداث ألم. وقد يكون شد الشعر مؤدي لنتفه. ومن الشعر الذي يتم شده أو نتفه شعر الرأس، شعر الصدر، شعر الحواجب، رموش العين، شعر الشارب واللحية، وشعر العانة. الوخز بواسطة إظفر القائم بالتعذيب أو بواسطة إبر أو مسامير على مختلف أجزاء الجلد الذي يُمارس عليه التعذيب.

3) تعذيب اضعاف الأجهزة الفسيولوجية

تتعرض الأجهزة الفسيولوجية والحشوية إلى تعذيب بغرض إحداث تلف وخلل بها. ومن الأجهزة التي يتم التركيز عليها الجهاز التنفسي. ويتم إتلاف الجهاز التنفسي بصور مختلفة منها كسر الأنف بالضرب. حشر مواد صلبة

في فتحتي الأنف. اللف بالسجاد من أجل إحداث الإختناق. رش الأنف بمواد مسببة للإختناق، الحبس في أماكن مسببة للإختناق مثل الحبس بسيارة رش فيها مواد قاتلة للحشرات. الحبس في أماكن رطبة لإيذاء الرئتين. الجهاز الهضمي يتم التعذيب له بطرق عديدة مثل حرقه بداية من الفم بمادة حارقة مثل الماء المغلي أو مادة كيماوية حارقة، أو الإجبار على تناول مواد مثيرة للمعدة أو مسببة للتقيء أو الإسهال. إتلاف فتحة الشرج ومخرج البول بالكهرباء أو بإدخال مادة صلبة فيها أو نتيجة الضرب أو بربط قضيب الرجل بخيط لمنع التبول من أجل إحداث حالة إنحصار. جهاز الدورة الدموية يتم إضعافه باستمرار إعطاء شحنات كهرباء أو باستمرار الضرب على جهة القلب أو حتى بالطعن الموجه للقلب. كما إن هناك عقاقير تُعطى لتضعف القلب. إن الضرب على المثانة، الكلى، المبايض، الخصيتين أو الطعن أو الضغط عليها بآلة من وسائل إضعاف الأحشاء الداخلية.

4) تعذيب إضعاف المفاصل والعضلات

تمثل العضلات عنصر مهم جداً في قوة الإنسان أما المفاصل فتمثل عنصر أكثر أهمية في تحديد قوة تماسك البنية الجسدية. وإذا كان إضعاف العضلات يؤدي إلى ضعف دائم. فإن إضعاف المفاصل قد يؤدي إلى تلف أساسي في الجسد وأقل قدر أنه يجعل الجهاز البشري كله غير قادر على الإقامة. ومن وسائل إضعاف العضلات الضرب عليها، لويها باليد أو بجهاز أو حرقها مما يسبب تلفها مباشرة أو من جراء تشوهات الحرق الذي يحدث بالجلد. أو غرس إبر مخدرة فيها. أما المفاصل فيتم الضرب عليها. ولقد وردت تقارير من ضحايا التعذيب تؤكد أن الجيش والمخابرات العراقية كانوا يركزون على مفصل كف اليد ومفاصل كل أصبع على حدة. وكانت هناك ضربات ولوي يركز على مفصل الكوع ومفصل القدم. ومن الوسائل المستخدمة لإضعاف المفاصل شد بحبال من الجهتين، التعليق من اليد، من

الرجل وإلقاء ثقل عليها. أو يقوم القائم بالتعذيب برمي جسده على أو بربط الضحية بسيارة وسحبه. أو بربط ثقل في جزء المفصل مثل ربط ثقل في الرقبة ويكون الثقل للخلف بحيث يجر الرقبة للخلف فتضعف. أو ربط اليد من الخلف والتعليق حتى يفتق الصدر ويضعف مفصل الكتف. إغلاق الباب على مفصل اليد والركبة الإجبار على جلوس القرفصاء على أطراف الأصابع.

5) تعذيب تلف الأعضاء

إن هذا النوع من التعذيب يتم بإحداث تلف في عضو من أعضاء الجسم بحيث يعجز عن إداء وظيفته أو يؤديها بضعف تام. من أساليب التعذيب الواردة في هذا المجال هو قطع اليد، قطع الرجل، قطع القضيب، وغيرها.

6) تعذيب إتلاف الحواس

سبق أن ذكرنا في الحديث عن تلف الأجهزة الفسيولوجية بعض الطرق التي يتم من خلالها تلف الحواس. حاسة الشم يتم إضعافها أو إعاقتها بالوسائل السابقة الذكر. ولقد وردت تقارير عن بعض الضحايا كانت فيها حاسة الشم ضعيفة أو معدومة. حاسة التذوق فقدت عند البعض أو ضعفت وعند البعض الآخر حملت مذاق واحد مثل المذاق المر أو الحامض من جراء نوع من أنواع التعذيب. حاسة البصر فقدت نتيجة الضرب أو فقأ العين أو تعريضها لأشعة ليزر التي تتلف شبكة العين. أو حتى من تكرار رش مواد حارقة يؤدي إلى تلف العين مثل الصابون. الحبس بسجن شديد الظلام فترة طويلة ثم تعريض مفاجىء للنور. إن الإحساس بالبرد والحر الذي يخص الجلد قد تمّ التعذيب به عن طريق التعريض لحرارة عالية أو التعريض لبرودة شديدة جداً. ومن أساليب التعريض لبرودة شديدة وضع المعذبين في حجرة مكيفة في الشتاء عراة أو وضعهم بما يسميه القائمون بالتعذيب ثلاجة الموت

وهي غرفة تشبه غرف حفظ اللحوم المثلجة. يوضع فيها المعذبين في عز الشتاء ومع برودتها كثلاجة يسقط من سقفها ماء مثلج فيكون الإحساس به كالإبر. حاسة السمع يتم إضعافها أو إتلافها من جراء صعقات الكهرباء أو الضرب الشديد على الأذن. أو إدخال مادة سائلة أو صلبة في الأذن. وكذلك إستخدام جهاز الذبذبات العالي. كل هذه الوسائل تؤدي إلى تلف الأذن والتسبب في الصمم التام.

7) تعذيب إضعاف الجسم عامة

يسعى تعذيب إضعاف الجسم إلى خلق حالة صحية ضعيفة بشكل عام. إن كل التعذيب بكل صورة وأشكاله يؤدي إلى حالة ضعف عام في الجسم وذلك لأن ضعف جزء يؤثر على أداء الأجزاء الاخرى. ولكن هناك تعذيب موجه حتى يؤدي الى ضعف عام. ومن هذا التعذيب الإرهاق البدني الذي يجري على الضحية بدفعه إلى أعمال مرهقة ولفترة طويلة كأن يحمل أثقال أو يجر شيء ثقيل. إن حرمان الضحية من النوم إحدى أساليب خلق ضعف جسدي عام. وقد تمّ الإخبار عن تعذيب بالضرب حين الغفوة والإجبار على صحوة تتعدى الثمانية وأربعين ساعة. التجويع والحرمان من الأكل أمراً يضعف الجسم. والمعروف أن كثيرين ممَن عادوا من الأسر أو من بعد فترة إعتقال كانوا يعانون من هزال شديد. ومع قلة الأكل هناك الإرغام على أكل غير صحي أو الإجبار على تناول مواد مضرة نظيف من الأمور التي إتفق عليها معظم الأسرى والمعذبين. كما ورد ذكر الإجبار على شرب ماء به دود وحشرات ميتة أو حية. أو الإجبار على شرب ماء المجاري والماء الطافح في الحمام. الإجبار على أكل أعقاب السجائر. الإجبار على بلع حبوب تؤدي إلى الشعور بالخمول والضعف العام. وضع الضحية في أماكن قذرة ويترك فيها دون الخروج منها وبذلك يجبر على النوم في نفس المكان الذي يبول ويتبرز فيه. قيام القائمون بالتعذيب بالتبول على الضحايا الكويتيين

والبصق في أفواههم من العوامل المسببة لضعف عام في الجسم. كذلك إمراض الضحية بأستخدام الفيروسات أو إكراههم على الإحتكاك بأشخاص فيهم مرض معدي.

8) تعذيب فقدان التوازن

يسعى تعذيب فقدان التوازن إلى جعل الإنسان غير قادر على صلب طوله أو الوقوف بشكل معتدل ثابت. وهذا التعذيب بقدر ما يؤدي حالة ضعف في الإنسان كان يُستخدم كوسيلة يتم فيها التسلية والضحك على الضحية. إن فقدان التوازن يؤدي إلى حالة إنهيار ورضوخ. يُعتبر الضرب على الأذن بقصد الإخلال بماء الأذن الوسطى فعال في خلق حالة عدم توازن. ولعل الطريقة الأكثر شيوعاً لدى العراقيين هو التعليق بالمروحة الكهربائية وتشغيلها ثم إلقاء الضحية فجأة على الأرض. وكذلك إلقاء الضحية من أعلى إلى أسفل بدحرجته على السلالم مما يؤدي إلى فقدان التوازن.

9) تعذيب الإعدام

يُعتبر الإعدام قياساً إلى كل آلام التعاذيب السابقة هو الأخف. لأن التعذيب هو مشوار من الألم والوجع في حين أن الإعدام رغم أنه قد يعين أسلوب تعذيب إلا أنه يعتبر في كثير من الأحيان نهاية التعذيب. ولكن الأسلوب العراقي في الإعدام لا يعني رصاصة رحمة والسلام. بل إن الإعدام على طريقة الجيش والمخابرات العراقية بالذات فيه شيئاً من الألم والبشاعة وقدراً مسبقاً من التعذيب النفسي والجسدي. ومن أساليب الإعدام التي ذُكرت الإعدام الجماعي ولكن بطريقة إعدام الواحد تلو الآخر. التدرج بالإعدام من رمي الرصاص على الرجل، اليد، الصدر، ومن ثم رصاصة في الرأس. الإعدام بالتجويع والعطش حتى الموت. الإعدام بالتعريض لكلاب

جائعة مسعورة تنهش في الجسد. الإعدام بالسم ومعاناة تقطع المعدة. الإعدام بصعقات كهربائية متوالية. الإعدام بسحب دم الجسم بواسطة إبرة أو بتشريط الجسم بشمرط أو أي آلة حادة وترك الضحية ينزف حتى الموت. الإعدام بجرثمة الإنسان وذلك بتعريضه لجراثيم تؤدي إلى موته. والإعدام لا يتم في الغالب بقرار سريع ولكن يتم تعريض الضحية لمعاناة مواجهة الإعدام أكثر من مرة ثم القيام الفعلي بالإعدام.

ثالثاً: التعذيب الدرامى Dramtic Torture

يميل البعض إلى تصنيف التعذيب إلى تعذيب لفظي، عاطفي، وجسدي. وفي هذا الكتاب لدينا قناعة أن التعذيب بكل صوره هو تعذيب عاطفي أو كما يحلو للبعض إعطاءه إسم أكثر عمومية وهو تعذيب نفسي. إن التصنيف الذي تميل إلى استجداده بهذا الكتاب منطلق، كما سبق القول، من الأسلوب الخاص للمخابرات والجيش العراقي الذي مارسوه على الكويتيين. والحقيقة وجدنا من التقارير ومن مقابلات حالات التعذيب نموذج تتميز به مدرسة التعذيب العراقية رأينا تسميته التعذيب الدرامي. وهو تعذيب يعتمد على وضع الضحية بظرف مدروس الحبكة وبسيناريو ويهدف إلى إذاءه بالدرجة الأولى نفسياً مع إحتمال وجود عنصر الأذى الجسدي. إن الأذى العاطفي هو إحدى نتائج التعذيب الدرامي الأولية. والحقيقة إن التعذيب الدرامى ظاهرة يستحق الخوض فيها أكثر لأنها تعطي مدلول جيد للشخصية العراقية.

إن التعذيب الدرامي هو ما يمكن أن نطلق عليه باللغة الإنكليزية Situational Tortureذلك لأن التعذيب يقوم على وضع الضحية في موقف تمثيلي معين يقصد من وراءه إسداء الأذى النفسي أو العاطفي بالدرجة الأولى. ولكن بالترجمة الحرفية قد يضيع المعنى أو يضل سبيله لذا وجدنا الأوفق هو اصطلاح «التعذيب الدرامي». ويقوم التعذيب الدرامي بإشباع نزعة السادية عند القائم بالتعذيب.

إن صور التعاذيب الدرامية العراقية التي استطعنا تصنيفها بما لدينا من وثائق ما يلي:

أ) الإعدام

يمثل إحساس مواجهة النهاية والموت أكثر الأحاسيس قسوة ورهبة عند

الإنسان إنها النقطة الأخيرة في حياته وبالتالي فمواجهة الموت، غالباً، لها رعباً وخوفاً متميزاً قد يؤدي إلى حالة إنهيار تام عند الإنسان العادي. دراما التعذيب تعاملت مع هذا الإحساس بصورة شديدة في الأذى. ومن طرق التعامل مع الإعدام هو إجبار الإنسان على أن يعترف بأمراً لم يقترفه يكون عقابه الإعدام. والتعرض إلى صور تعذيب شديدة من قوة ألمه يدفع بالإنسان على أن يوقع طواعية اعترافه وورقة إعدامه. وهذا ما فعله كثيراً من القائمين بالتعذيب مع الكويتيين حيث يتم تواصل التعذيب بكل الطرق حتى يجد الكويتي نفسه يواجه الموت كأرحم عذاب. وتوقيع ورقة الإعتراف تأتي بعد تعذيب درامي فيه قدراً من غسل الدماغ بإيهام الضحية بفعل قامت به. ومع استمرار التعذيب قد يصل الضحية بالفعل إلى قناعة بأنه قام بهذا الأمر وهنا يكون التلف العقلي قد تمَّ بما يعادل التلف النفسي.

«التخير» أو ترك خيار طريقة الإعدام للضحية وحواره دميقراطياً بكل أدب ليختار أسلوب إعدامه من الدراما الصعبة التي تترك أذى نفسي كبير بعد معايشة صراع عاطفي شديد. وهذه صورة لإحدى تلك الحوارات «الحقيقة إننا من باب الديمقراطية نريدك أن تختار طريقة موتك. فنحن لا نجبر أحد على شيء كلنا إخوان وهذا نظام ديمقراطي لك فيه حق الإختيار بأن نطلق الرصاص على رأسك فيتطاير مخك في كل مكان أو نعلقك من رقبتك فيندلع لسانك وتجحظ عينيك ونتركك تخيس في مكانك أو تريدنا أن نمرر الكهرباء في جسمك من خلال جهازك التناسلي فتموت حيث تسري الكهرباء أولاً في جهازك التناسلي ثم إلى صدرك وقلبك ومخك». وهذا الحوار قد يتم من قبل القائم بالتعذيب بصوت هادىء أو بصوت فيه تمثيل النبض الحنون الفياض. وقد يوجه أثناء هذا الحوار شخص آخر يؤيد ما يدور من حديد ويرفض ويتفاعل مع كلام القائم بالتعذيب كأن يقول «لا»، لا أعتقد أنه من الجيد تفجير مخه، مَن له قلب بعد ذلك بكنس مخه من الأرض».

وهناك أيضاً مواجهة الموت ثم مواجهة الحياة. وذلك بأن يجعل الضحية يتأهل بالفعل إلى الإعدام ويكون في موقع الإعدام وبعد ذلك يتم التوقف عن إعدامه بموقف درامي شديد الإنفعال. وقد يحدث تكرار لذلك الموقف الدرامي مما يؤدي إلى درجة إضطراب عاطفي وعقلي شديدة يجعل الإنسان الضحية يفقد الإحساس الطبيعي بالحياة أو الموت. ومن القصص الدرامية التي ذُكرت متكررة أخذ الضحية الكويتي مربوط اليدين مغطى الرأس بكيس الإعدام الأسود ودعوته لقول الشهادة على روحه ثم وضع حبل المشنقة حول رأسه. والعد لإسقاطه يحث يتعلق بالحبل. عند الرقم الأخير يقف الشخص الذي يعد ويأتي صوت آخر يصرخ قف، قف لقد جاء أمر بالعفو عنه. أو يأتي صوت يصرخ سيدي، سيدي توقف عن تنفيذ حكم الإعدام لقد أنجبت زوجتك ولدا. فيقومون برفع الغطاء وتقبيل الضحية وإحتضانه وإخباره بأنه وجه خير وسوف يُعفى عنه. وهكذا تعاد التجربة بدراما أخرى بعد فترة زمنية قصيرة قد تبلغ من القصر بمجرد تدخيله الزنزانة وإخراجه منها بعد دقيقة. أو قد يوضع الضحية في موقف إعدام بالرصاص بجانب حائط ويتم الرمي حوله دون تصويبه. والبعض من البضحايا تحت تأثير إحساس الرعب يغمى عليه فيعتقد بأنه ميت. ومن الروايات التي وردت بأن أحد الضحايا تمّ تعذيبه حتى فقد وعيه فلما أفاق وجد نفسه مكفن وموجود في تابوت أظلم. فلما بدأ يتحرك جاءه صوت من مبكر يخبره أنه الآن موجود في القبر وأنهم ملائكة الحساب. فإنهار المسكين وصدق ذلك فبدءاً حسب زعمهم بحسابه واستجوابه عن حياته الخاصة وأخذ يدلي باعترافات تخص حياته العاطفية والجنسية وهو يبكي من هول رهبة الموقف. فإذا به سمع ضحكات وإذا بهم يفتحون التابوت ليخرجوه ويقومون بتعذيبه واستمرار الضحك عليه.

ب) الإفراج

من ضمن الأساليب الدرامية التي ابتدعوها اسلوب نقل الضحية من حالة اليأس إلى الفرحة الشديدة بإيهامه في اقتراب الإفراج عنه. وعادة يسبق ذلك جرعة شديدة من التعذيب يتلوها هدوء واعتذار ربما شيئاً من الإبتزاز بطلب أمراً مادياً من أهل الضحية. وقد يصاحب ذلك دعوة الضحية المعتقل بأن يعدل هندامه وشكله للقاء أهله. وقد يؤخذ بسيارة إلى مكان آخر مدعين إنها رحلة العودة ويبدؤون بالتحدث معه على أساس أنه عائد وسؤاله عن أهله وأبناءه وكيف هو مشتاق إليهم وكيف يتصور اللقاء. ومن منطلق ضعف موقف الضحية وفرحته فإنه يبدأ يحكي لهم مشاعره وفرحة أهله. وقد يبدي القائم بالتعذيب أسفه الشديد بشأن ما حصل فهم كقائمين بالتعذيب مجبورين على القيام بهذا الدور ويكون هناك وعداً باللقاء والصفاء في ظروف أحسن وقد يصل الأمر إلى الإحتضان ويقوم القائم بالتعذيب كذلك بذكر أهله وأطفاله وحياته الخاصة. فيكون في لحظة صديق وبعد فترة زمنية بسيطة يكتشف الضحية بأنه عاد إلى السجن وإن الإفراج كان وهماً وهذا الذي كان منذ لحظات صديق عاد يعذب وبشراسة أكبر.

ج) التاهيل للأذى

تقوم هذه الطريقة في التعذيب الدرامي على ما يشبه قراءة النص والسيناريو على البطل الذي سيقوم بالدور. إن مقدار سادية القائم بالتعذيب متضافرة مع قدرته على الوصف كفيلان بجعل الأذى أكبر. والتأهيل للتعذيب قد يكون تأهيلاً للتعذيب الذاتي أو يكون تأهيلاً لتعذيب الغير. ومن القصص التي كانت تروى عن التعذيب الدرامي: «سوف نأخذك للغرفة الحمراء. لا تخف ليس فيها شيء بتاتاً ليس فيها إلا أنت والصمت. ستكون غرفة صغيرة متر في متر وفيها ضوء أحمر. سنتركك فيها فقط شهر واحد،

ثلاثين يوماً لا غير. للأسف سوف تضطر للتبرز في نفس المكان، صعب أخذك للحمام فقط عليك أن تتحمل القذارة تحتك لمدة شهر. آه المشكلة ليست في الرائحة فقط. عادة الدود الذي ينتج من البراز المتراكم هو الذي يؤذي مَن في الغرفة الحمراء. لا عليك فبعد شهر فقط سوف نأخذك إلى الغرفة البيضاء. آه إنها واسعة جداً وفيها ضوء عادي. هل تدري لماذا هي واسعة حتى تكفي كل تلك الأجهزة الموجودة فيها. هناك سوف نقلع أسنانك كل يوم سن واحد. وسوف نقلع أظافرك كل يوم أظفر واحد. وطبعاً لا بدَّ من جلدك وأمور أخرى». هذا الوصف التأهيلي كافي لأن يؤدي إلى حالة من الأذى النفسي الشديد في تصور العذاب مقدما. وفي الغالب يتم التطبيق للخطوة الأولى مما يجعل ضحية التعذيب يتأهل نفسياً للعذاب القادم ويتأكد بالفعل بأنه قائم لا مفر من ذلك.

رواية تعذيب درامي آخر على لسان ضحية تقول: «هل ترى هذا الزجاج المطحون (ويكون الضحية يشاهد شخص يدق زجاج في هاون حديد). نريد أن نجعله أكثر نعومة حتى إذا ما وضعته على ظهرك ودست على ظهرك بقدمي هذه ليس هناك مجال لأن يخرج من جسمك. هكذا سوف أفرك حذائي على ظهرك (ويريه كيفية ذلك). كل هذا الزجاج المطحون سوف يدخل في ظهرك. لا عليك لن تشعر بألم شديد سوف يدخل في عامودك الفقري. سوف تشعر بالتنميل عند دخول الزجاج في عامودك الفقري. بعدها سوف يسري في باقي جسدك. ثم سوف تشعر بتخدير في أطرافك ثم تبدأ حالات رجفة وخز شديد عندما يصل الزجاج إلى قلبك. آه هذا القلب لن يحتمل الزجاج المطحون، سوف ينقبض ويؤلمك. ولكن بعد أربع ساعات سوف ترتاح حيث سيتوقف قلبك. وإن لم يتوقف قلبك سأدخل به سيخ لأوقفه. لا عليك هذا أهون من أن يقف الزجاج فقط عند عامودك الفقري وتصبح مشلولا».

وكما نجد أن كثيراً من هذا الوصف الدرامي المبالغ فيه كتأهيل للتعذيب الحقيقي أو الوهمي بعيداً في أغلبه عن الحقائق الطبية ولكنه يؤدي الغرض الإرهابي التعذيبي بشكل جيد. ولقد أخبرني إحدى تلك الحالات بأنه كان يعلم بأن هذا الذي يُقال له مجرد تعذيب نفسي ولكنه لم يستطيع مقاومة شعور الخوف والرعب الذي بلغ بالفعل حد الألم الجسدي وتخيل استجابة جسده بالفعل لهذا العذاب الذي كان يُذكر. لقد أخبرني بأنه بمجرد ذكر خلع أسنانه بدأ يشعر بألم شديد في الفكين. وبدأت ركبتاه من تخيل الضرب عليهما ترتجفان. وبدأ يشعر بألم في أظافره حتى قبل قلعها. وهذه الحالة كان قد هُدد بقلع أظافره ورش الأصابع بعد ذلك بالملح. ولعل التجربة الطبيعية للإنسان في حياته تجعله يدرك معنى الملح في الجرح. وبذلك كان الشعور بهذا التعذيب مقدور على تخيله وتخيل مقدار الألم فيه.

ولعل ما يزيد الألم هو عدم قدرة التنفيس فالضحية يستشعر رغبة الصراخ وهذا الوصف الدرامي قائم عليه. إن رغبة الشتم، التكذيب، وغيرها من صور انفعال الإنسان يجد الضحية نفسه غير قادر على عملها لأن ردة فعل القائم بالتعذيب تعني عذاب مبكر. وأمام هذا الكبت الذي يمارسه على ذاته أو ذاك الحوار الذاتي الذي يجعله يصرخ فقط من داخله بصمت تترتب آثار سلبية على الضحية عاطفياً وعقلياً.

أما التأهيل لتعذيب الغير فقد لا يقل ألماً وتحطيماً من التأهيل الخاص بتعذيب الذات. وحسب درجة القرابة والعلاقة يكون حجم الأذى الواقع. الزوجة، الأبناء، الأهل من أخت وأخ وأم وأب، الأصدقاء، وغيرهم يتم تهديد التعذيب بهم. وعلى سبيل المثال «سوف نحضر والدك، أعتقد أنه بالستين من عمره ولديه مرض السكري أليس كذلك. سوف نجلسه على هذا الكرسي، ويشير لكرسي موصل بالكهرباء. أتدري ماذا سنفعل، سنجبره على لهم سكر حتى يرتفع السكري في دمه. ثم نشقق جسده بالموس وأنت

تعلم أن مرضى السكري لا تلتئم جروحهم بسرعة. آه لا تخف حين تراه قد اقترب من الموت، سوف نوصل هذه الكهرباء في جسده ولن يحتمل بحكم عمره وسوف يموت». «ابراهيم، صديقك قد استطعنا القبض عليه وسوف نحضره أمامك وبإصبعي هذا سأفقأ عيونه. وأدخل هذا البطل الزجاجي (يريه البطل) في شرجه. سوف نستمتع معاً ونحن نراه يصرخ من الألم».

والتأهيل التعذيبي قد يكون الهدف منه فقط الوصول بالضحية إلى درجة من الألم النفسي وخلق حالة اضطراب عقلي. وقد يكون بالفعل تهديد يعقبه تطبيق فعلي. وقد يكون الغرض توصيل الضحية لحالة من الخوف والرعب بحيث يفعل ما يريدون كالإعتراف على أصدقائهم أو الإلاء أو قبول القيام بدور يخدم النظام العراقي.

د) الأرجوز ـ التهريج

إحدى أساليب التعذيب الدرامي هو تطبيق تعذيب تهريجي يؤدي إلى تضحيك القائمين بالتعذيب. وإن كانت التقارير تؤكد أنه حتى في القيام بالتعذيب العادي كثيراً ما يحدث أن يضحك القائم بالتعذيب على الضحية. إن الضحك هو الهدف المباشر في أسلوب الأرجوز كتعذيب درامي شائع عند القائمين بالتعذيب في الجيش والمخابرات العراقية.

ومن ضمن القصص التي رُويت إجبار الضحية على الرقص أو الغناء. ولا يكون هذا مباشرةً أي لا يكون الطلب بعد الإعتقال مباشرة بل في الغالب يكون الضحية قد مر بمراحل تعذيب شديدة ويكون خائر القوى، رث الملابس مما يجعل جرعة التعذيب السادية أكثر إشباعاً لديهم في امتصاص الموقف التهريجي. وإذا كان هناك رفض من قبل الضحية يكون هناك جرعة قوية من التعذيب. قد يجد الضحية نفسه بدون مفر وينصاع لأوامرهم

فيغني أو يرقص. ويبدأ الضحك عليه والإستهزاء بشكله وجسده وصوته. ومن روايا التعذيب بدراما التهريج أمر الضحية بالقيام بالمرور خلف ستارة بدون تحريكها. وأي حركة تحدث للستارة بسبب مروره معناها ضربه المبرح وهو خلف الستارة وتكرار ذلك بتصفيق وتشجيع بأنه أخذ يجيد الحركة. إحدى الأساليب التي ذُكرت دعوة الضحية بأن يكون حيوان مثل جعل الضحية كلب ودعوته أن يسير على يديه ورجليه وربط عنقه بطوق كلب وسحبه ودعوته للنباح ومصمصة العظام بعد أن يأكل القائم بالتعذيب اللحم. وحذف كرة له ثم الطلب منه إحضارها بفمه كالكلب. ودعوته لفعل ما يفعل الكلب من إخراج اللسان وطريقة التبول برفع رجل واحدة ويديه ورجله الثانية على الأرض.

هـ) الشاهد الضعيف

ليس أصعب ألماً من التعذيب الفعلي على الذات إلا كون الإنسان يرى تعذيب مَن يعزهم أمام عينه وهو جالس لا حول له ولا قوة في منع الأذى الجاري عليهم. والإرهاب العراقي يدرك هذا الجانب الإنساني الحساس، وبالذات للإنسان الشرقي. وبالطبع الألم يزداد كلما كان التعذيب لإنسان شديد القرابة. إن إجبار كويتيين على رؤية آخرين يُعدمون أو يعذبون بتفاصيل التعذيب الدقيقة أمراً قد مر به كثيرون. وهناك روايات تؤكد أن البعض كانوا يأخذونهم بجولة تشبه جولة المتاحف ليمروا على صور التعذيب الجارية على غيرهم من كويتيين مع شرح دقيق لما يُفعل بهم. والبعض الآخر كانوا يمرروا على جماعات كانت قد عُذبت وهي آن ذاك ميتة أو تنازع الموت. وقد ذكر أحدهم أنه أُجبر على رؤية كويتيين معلقين وقد فقأت أعينهم. وأُجبر على رؤية أكوام من جثث الكويتيين، البعض ميت والبعض يأن في حالة إغماء أو ينازع الموت. وطلب منه أن ينصت للأنين الذي سيخفت تدريجياً لأحد

الكويتيين المدفون تحت الأكوام الميتة غير ميت ولكنه سيموت من ثقل الجثث والإختناق.

رؤية شباب كويتيين معتقلين لفتاة كويتية تعمل خادمة للجنود العراقيين بتفاصيل الخدمة المعروفة كان أيضاً من ضمن دراما التعذيب خاصة أنها كانت تُضرب لعدم حسن الخدمة.

إن العذاب الأكبر حين يحضر للتعذيب الأقرباء. أحد المعذبين بدراما الشاهد الضعيف كان قد ربطت يداه وفمه ورآهم يأخذون ابنه ذو الخامسة من عمره ويعلقونه كالبندول من رجليه ويضحكون. حالة أخرى تركه يشاهد حرق منزله ومكتبه ورش أثاثه بالرصاص ومن ثم تطفئة دخان البندقية بقاع رجل طفله المعوق.

و) دراما فعلية

الدراما الفعلية هو الوضع التمثيلي الفعلي الذي يدفع الضحية لأن يلعب فيه دور سواء كان الضحية يعلم بأن الجاري تمثيلية مجبر على القيام بها أو يكون جاهلاً بأن ما يحدث تمثيلية. ولعل الدراما الفعلية التي يقوم بها الضحية وهو يعلم بأنه مجبر على التمثيل فيها أخف وأهون من كونه جاهلاً بأن ما يحدث تمثيل، ثم يكتشف بأنه جزءاً من تمثيلية خُدع فيها. من أجل زيادة تعذيبه النفسي، من أجل سحب معلومات منه، أو من أجل جعله في تمثيلية تهريج تضحك القائمين بالتعذيب.

يقول أحد المعذبين بأنه قد أحضر يوماً إلى إحدى المستشفيات في العراق. وكان قد تمّ إختياره من بين مجموعة الزنزانة المتواجد معهم وصحب إلى ذلك المستشفى. فاستقبله مسؤول هناك ليخبره بأن حقوق الإنسان تحتم معالجة الأسرى وإن كانوا أسرى حرب أو معتقلين. ولكن العلاج سيكون الأولوية من لديهم مشاكل صحية. وإنه حسب تقديرات معينة سوف يتم

العناية الخاصة بوضع كل ممَن يعانون من مرض صحي قديم أو لديهم موقع في جسدهم أكثر ألماً من جراء التعذيب الذي تلقوه. وبعد هذا الحديث تمَّ أخذه إلى غرفة كُتب عليها طبيب مستشار. وهناك استقبل بالترحاب والإعتذار وبدأ الطبيب بإخراج قائمة بدا شكلها رسمية ومطبوعة. وبدأ الضحية بالإدلاء بصدق وبقدر استطاعته بكل الأمراض التي يعاني منها مَن يعرفهم. هذا عنده الكلي، وفلان يده اليسرى فيها نقطة ضعف من جراء كسر سابق وآخر لديه روماتزم في أرجله. وهكذا أُخذت كل المعلومات الصحية المطلوبة باعتقاد أن الإجراء الذي سيتم هو العلاج أو التسريح من المعتقل أو على الأقل تقدير تخفيف جرعة التعذيب.

وبعد يوم أو اثنين يتم الحضور إلى الزنزانة وإعلام الموجودين بمدى فاعلية التقرير الصحي الذي تقدم به فلان. وأنهم سوف يعملون اللازم كل حسب علته الصحية. وقد ينفعل البعض ويدلي بشكوى إضافية ثم تبدأ الحقيقة في الظهور حين يؤخذ كل ضحية ليعذب من نقطة ضعفه. فيدوس القائم بالتعذيب بحذائه العسكري على موقع كلية مَن لديه آلام في كليته وينقع مَن لديه روماتزم إلى النصف في برميل فيه ماء مثلج. ويتم الضرب بتركيز على يد الشخص ذو الكسر السابق.

إحدى أساليب الدراما الفعلية هي إفتعال خطة مساعدة للهروب. حيث يتم إيهام معتقل بأن السجان صديقه وسوف يساعده على الهروب. أو يُقام بدس معذب عراقي معهم لديه خطة هروب بمساعدة أصدقائه ومعارفه. ويحدث ذلك بعد مشوار من الثقة والإلفة بينهما. وترتب الأمور بحيث يبدو الفرار سهلاً. ويترك الضحية يمر ببعض خطوات الإنتصار بعبور بعض الحواجز. ثم يتم إطلاق كلاب خلفه توقفه بالنهش والنباح أو يتم اصطياده بواسطة جنود آخرين ويتم الضحك عليه وكيف صدق أنه بالفعل يستطيع أن يهرب.

ز) دراما التكفير

علاقة الإنسان بقيمة الإجتماعية وعلاقته بالأمور الروحية والعقائدية تمثل عنصر أساسي في وجوده. النهج البعثي العراقي يسعى إلى تحطيم هذه الأسس في الإنسان بصورة درامية تكون كالحفر في عقله وروحه. إن كل صور التعذيب التي مورست على الكويتيين كان فيها تحطيم لقيم الجيرة والأخوة والعروبة وغيرها. وكان هناك توكيد مدروس بشكل درامي لتحطيم هذه المفاهيم. وإحدى الأمثلة لذلك هي لعبة الدور المزدوج التي كان يلعبها القائم بالتعذيب مع ضحيته. فبعد مشوار من التعذيب البشع يجلس معه ويشرب معه الشاي وربما يدعو الضحية إلى مشاركته باللقمة من وجبته الخاصة. ويكون هناك الحديث الودي «نحن كلنا عرب وأخوة وجيران بل إننا العراقيين لنا معكم ككويتيين صلة نسب. فأنا ابن عمتي كويتي وعمتي كويتية. وبصراحة نحن مثلكم لدينا أخوات وبنات وشرف. وأنا مثلك إنسان أعرف الإهانة التي تُعاني منها...» إلى آخر تلك السلسلة الإنسانية من حديث جيد قد تتخلله نكتة وحكاية لطيفة. وبعد دقائق يعود نفس الشخص لممارسة التعذيب وربما بشكل أكثر قسوة وجلافة. وبعد جولة التعذيب يعود ليمارس الدور الودي.

إن دراما الدور المزدوج فعلها في نفس الإنسان كفعل الإنتقال السريع من الفرن إلى الفريزر على كأس زجاجي عادي. إن التصدع إلى درجة الإنكسار هو الحتمية الوارد حصولها على قيم هذا الإنسان الذي يتلقى تقلب الأدوار.

ومع التكفير بالقيم يمارس نظام البعث تكفير بالوجود الإلهي. إن ضرب المعتقلين الكويتيين في خالة قيامهم للصلاة ومنعهم منها أو التعليق بعدم وجود الله وإلا أنقذهم من التعذيب. وحكاية المصاحف المكهربة كصور استهزاء بقدرة الله على حماية كتابه المقدس صور أريد منها توصيل الضحية إلى نقطة الكفر بالله. أحد الأسرى تمّ جلده وحين تمت عودته إلى الزنزانة

أراد إحدى كبار السن أن يخفف عنه الألم بأن قال «أترك أمرك لله». فما كان من القائم بالتعذيب إلا جر هذا الكبير بالسن وجلده أمام الآخرين معلقاً «أنا أريد أن أرى كيف سيعاقبني الله. هيا أدعو الله ليعاقبني ولأرى مَن أقوى أنا أم الله».

إن وضع الإنسان في موقف عجز من تحقيق الإنقاذ الإلهي من عذاب وظلم قائم كان مدروس لتوصيل الضحية إلى نقطة اليأس من الله. ومحو البذرة الروحية من قلب ضحايا التعذيب.

رابعاً: التعذيب الجنسي

التعذيب الجنسي لماذا ؟

هناك اعتبارات عديدة تدفعنا إلى طرح التعذيب الجنسي منفرداً عن التعذيب اللفظي والجسدي والدرامي. أولى هذه الإعتبارات هو خصوصية هذا التعذيب وعموميته. أي خصوصيته كحدث وعموميته باحتوائه كل صور التعذيب سابقة الذكر. فمن حيث خصوصيته نجد أن الحياة الجنسية للإنسان تمثل العنصر الأهم في حياته وكثيراً من القيم قد تصبح من السهل هدرها أو التمادي في تحليلها حتى تلك القيم الروحية العالية مثل القيم المتعلقة بمعصية الله والخروج عن طاعته بكسر حاجز الشريعة الدينية. لكن الإنسان في الغالب قد يكون قادر على كسر كثيراً من الصور المحرمة إلا أنه في القضية الجنسية يكون له موقف ثابت وخاص بحرمته وحرمة الآخرين. إن الوصول إلى استباحة الأعراض هو الوصول إلى نقطة فيها انكسار شديد بل الإنكسار الأشد في قيم الإنسان. هذا بشكل عام، أي بما يخص الإنسان في كل مجتمع، ولكننا حينما نضيق الدائرة قليلاً فندخل في دائرتنا كشرقيين وكعرب وكمسلمين، وحين نرى حدث هتك هذه الحرمات من عيون تلك التقاليد فإننا نجد أن الوصول إل نقطة هدر الشرف هو الوصول إلى درجة من البهيمية والشراسة وانكسار تام للإنسان الفاعل والمفعول به جرس خطر بتساقط كل القيم الأخرى ودلالة اختلال في المجتمع.

وإذا كانت الضرورة العلمية تقتضي توثيق ما حدث باعتبار أنه ظاهرة نفسية في السادية الجنسية عند الإنسان فإن الأمر كذلك له أسباب أخرى غير مجرد التوثيق. إنه ومن خلال هذا التوثيق سوف ترسم صورة لشخصية الفاعل وأثر ذلك على متلقي هذا الفعل. وهما الفئة القائمة بالتعذيب من جيش ومخابرات وضحايا التعذيب الجنسي الكويتيين. وهاتان الفئتان

سنجزي فيهما الحديث في الفصلين القادمين. وإن كان أساس ما سيأتي قائم على تحديد ما حدث وتصنيفه.

إن شمولية التعذيب الجنسي من تعذيب لفظي، تعذيب جسدي، وتعذيب درامي، هي التي دعتنا إلى فرده كتعذيب قائم بذاته والذي سنقوم بتفاصيل عرضه.

أ) التعذيب الجنسي اللفظي

هي أغلب القوانين السماوية والوضعية هناك عقاب تختلف درجاته حتى تصل إلى الجلد أو الموت لمن يوجه كلمة أو حديث يمس شرف إنسان. وفي الغالب فإن عقاب أي صفة سلبية يكون أخف من إطلاق كلمة تمس ما يتعلق بالحياة الجنسية للإنسان.

الكلمة الخادشة بالحياء، الكلمة الماسة بالشرف قد تؤدي إلى تحطيم الإنسان على المستوى الإجتماعي وعلى المستوى النفسي.

إن التعذيب الجنسي اللفظي مورس على الكويتيين بالصور الآتية:

1) التحضير بإنسانية الضحية

يختلف الإنسان في نظر ذاته عن الحيوان بمقدار من الإنسانية القائمة على الكرامة ووجود الإرادة وقدرة الدفاع عن النفس واتخاذ موقف. إن سلب إرادة الإنسان وقوته والسيطرة عليه وذله يجعله يصل إلى درجة البهيمة التي يتم التحكم بها.

إن التحقير بإنسانية الإنسان تبدأ في وصفه بالبهيم. ولفظ «أنت حيوان» للرجل وللمرأة يؤدي إلى إشعارهما بالدونية في إحساسهم كبشر. إن الأسلوب البعثي كان يجيد استنزاف انسانية الإنسان بالفاظ جنسية تربطه بالبهيمة. من الكلمات التي كانت تتلقاها بعض الضحايا من معذبها: «أنت

حيوانة أنا أستطيع أن أصعد عليك متى أشاء وأنهي شهوتي منك»، «أنت تيس. مجرد حمار حتى لو كان لديك جهاز جنسي».

2) التحقير بجنس الضحية

الذكورة والأنوثة عنصران أساسيان في تحديد الهوية الجنسية عند الرجل والمرأة. بل إن الذكورة والأنوثة هي الواجهة الجميلة لصورة الدور الجنسي للرجل والمرأة. إن علاقة الرجل والمرأة كلا بهويته الجنسية كذكر وأنثى تحدد درجة التوافق مع التراث ومع الدور الإجتماعي والحياتي والزواجي لكل منهما. وبقدر ما هناك ثقة بالرجولة وثقة بالأنوثة ووعي بحجم الدور من حيث الوضع الإجتماعي كان الرجل والمرأة أقدر على العطاء على كل المستويات.

إن مواجهة ظرف تعذيب لفظي بما يخص الذكورة والأنوثة أمراً قد يؤدي إلى شرح شديد في نفسية الرجل والمرأة وقد يؤدي إلى تلف رئيسي. من ألفاظ التحقير بجنس المرأة كأنثى هو استضعاف هذا الجنس وتحقيره. ومن الألفاظ التي وردت من بعض الحالات ما يلي: «أنت حرمة بايدي هذه بضربة على صدرك أؤذيك فأنت في الأول والأخير مجرد حرمة». «أنتِ تعتقدين أنكِ أنثى. أنتِ رجل مركب ثدي». أما بخصوص الرجال فلقد كان التركيز يتم بربط ضعف موقف الرجل كمعتقل وأسير وضحية تعذيب برجولته ومن الكلمات العادية التي كانت تُعتبر أخف درجة من التعذيب «أنتَ لست رجل»، «لو كنت رجلاً لدافعت عن نفسك وعن شرفك. أنا قادر على تحطيمك بأي طريقة وأنت مثل الحرمة ضعيف».

3) التحقير الوضع الزواجي

كان يتم أسلوب التعذيب الجنسي اللفظي بالوضع الزواجي بالنسبة للمتزوجين ولغير المتزوجين. ومما كان يُقال للرجل: «أنتَ تعتقدُ بأنكَ قادر

على إخصاب زوجتك. بربي أنتَ لست رجل وأنا متأكد أن حرمتك تبحث عن غيرك». «حضرتك وحدة متزوجة. زوجك يشبعك أم تريدينا أن نشبعك». ومن بعض ما كان يُقال لبعض الضحايا من غير المتزوجين: «آه أنت فرخ صغير ولست متزوج سوف أعلمك بطريقتي الخاصة معنى الزواج والجنس». «أنتِ بنت غير متزوجة. يسمونكم عوانس أليس كذلك نحن موجودين من أجلِ متعتكم».

4) التحقير بالشكل

شكل الإنسان جزء مهم من قبوله لذاته وقبوله الآخرين له. وتصور الإنسان عن شكله يمثل عنصر أساسي في تقبله لهويته الجنسية. إن التقدير السلبي للشكل سواء كان هذا لتقدير منطلق من الذات أو من تقييم الآخرين يمثل عامل شرح قوي في أحاسيس الإنسان العاطفية والجنسية. كان هناك تحقير بالشكل يقام على الضحية الكويتية. ومن ضمن التقارير المدونة عندي: «أنتِ سوداء، عبده. مخلة الواحد معدته تتقلص حين ينظر إلى خلقتك. وحتى لحمي لا يستطيع أن يقوم معك».

ومن ضمن الروايات المؤلمة هو حادث اغتصاب لبنت مشلولة سبقه ولحقه تحقير باعاقتها: «مشلولة، يعني ما تحسين يعني أنا أنام مع نص حيوان». مع سلسلة من التحقير الخاص بملامح الوجه والشعر وغيرها من تفاصيل الجسد الإنساني والتي كانت تُستخدم كمادة للتحقير اللفظي المبالغ فيه.

5) التهديد

التعذيب الجنسي اللفظي بتهديد الإعتداء كان إحدى الأساليب الشائعة جدا. والتهديد بالإعتداء الجنسي قد يكون تهديد الإعتداء على الذات أو الغير. «سأهتك عرضك». «سأشقك نصين ابتداءاً من بين فخذيك وانتهاءاً برقبتك». «سأدخل في فتحة شرجك زجاجة مرطبات مكسورة». هذه كانت

من ضمن التهديد اللفظي الخاص بالجنس. وهذا التهديد كان يقام من أجل إضعاف الإرادة بالدرجة الأولى للإدلاء بمعلومات أو للابتزاز المادي أو لمجرد الإستمتاع السادي بإيذاء مشاعر الضحية. الأصعب كان هذا التهديد الجنسي اللفظي بخصوص الإعتداء على الغير وخاصة الأقرباء «سوف نحضر زوجتك ونغتصبها أمام عيونك». «ابنك في السادسة من عمره سوف آتي به أمام عيونك وأهتك عرضه من الخلف». «ابنتك سوف أكوي جهازها التناسلي بهذه الوايرات الكهربائية».

6) الإستفزاز

يؤدي الإستفزاز دور إشباع لسادية التعذيب الموجودة كعنصر اساسي في شخصية القائم بالتعذيب. فالسادية ترغب في ردة الفعل حتى تجد مبرر أقوى لإسداء أذى اكبر. انها لعبة نفسية تعتمد على شحن الموقف بين إنسان قوي وانسان في موقف ضعف ليقوم الاول بزيادة جرعة الاذى والشعور بقوته اكبر. ومن الاساليب الإستغزازية. "هيا إذا كنت شريفة أريني سوف ابدأ بتمزيق ملابسك فأريني كيف تمنعيني". " هذي هي زوجتك سوف أغتصبها أمامك أثبت لها ولي بأنك رجل، هيا تحرك وحاول وقفي".

في التعذيب الجنسي اللفظي بالإستفزاز كثيراً ما يسعى القائم بالتعذيب إلى خطوة فعلية بسيطة لزيادة احتمال فعالية الإستفزاز عند الضحية. وفي الغالب يتم تعذيب الضحية بالضرب او اي وسيلة تعذيب اخرى حين تبدر منه حركة تجاوب مع هذا الإستفزلز القائم.

ب) التعذيب الجنسي الجسدي

إذا صح لنا الإجتهاد فإن كل تعذيب جسدي هو في نهاية الأمر تعذيب جنسي باعتبار واقع تعاطف أجزاء الجسم مع بعضها البعض، كما سبق القول. لكن هناك خصوصية في التعذيب الجنسي جسدياً حيث يعمد القائم

بالتعذيب إلى إحداث ألم، تلف أو تشويه للحزء الجنسي الرئيسي أو الثانوي في الإنسان.

إن الوسائل التي استُخدمت في التعذيب الجنسي عامةً ذاتها الوسائل التي استخدمت في التعذيب الجنسي الجسدي ومن باب الإختصار لتلافي التكرار سنكتفي بذكر أسماء وسائل التعذيب دون الولوج شرحها تفصيليا.

1) وسائل التعذيب الجنسي الجسدي

* التعذيب بالضرب
* التعذيب بالحرق
* التعذيب بالكهرباء
* التعذيب باستخدام الأدوات والأجهزة العلمية.

وهذه الوسائل تمثل أساس التعذيب الجنسي الجسدي. أما عن كيفية استخدامها فأيضاً لا نريد تكراره حيث تم ذكرها في التعذيب الجسدي عامة.

2) أنواع التعذيب الجنسي الجسدي

التصنيف السابق بشأن أنواع التعذيب الجسدي والذي اجتهدنا في وضع معظمه يمكن تطبيقه بشأن التعذيب الجنسي الجسدي. مع استجداد بعض الأنواع الخاصة بالجهاز الجنسي:

ا) تشويه الجمال

تحتل هيئة الإنسان الشكلية عنصراً مهماً في تحديد قبوله لذاته وللآخرين جنسياً. إن إحداث تشويه خارجي ظاهر في جسد الإنسان هو تعذيب مزدوج نفسي وجسدي. فإذا كان واقع الألم الجسدي مؤقت فإن واقع الوجع النفسي قد يستمر إلى الأبد. وعن التقارير المدونة بشأن تشويه الجمال واضح أن النهج المتبع يأخذ أجمل جزء في الضحية ويشوهه. فيفقأ العيون الواسعة ويجدع

الأنف الجميل ويشرط البشرة النضرة. وهو بذلك يوجع الضحية بتلف أفضل جزء من مظهره. بشكل عام هناك تركيز على تلف الخصائص المظهرية الأساسية للجنسين ففي تشويه الشعر نجدهم يحلقون شعر المرأة وشارب الرجل. والحلق هي أخف وسيلة تشويه شكل حيث يكون هناك أساليب لنزع الشعر فيه تشويه فعلي مثل نتف الشعر باليد أو بواسطة أدوات معينة مثل «الملقط» أو «الكلابتين». هناك أيضاً نزع الشعر بواسطة الحرق بإشعال نار فيه بإستخدام الولاعة، عود الثقاب، أو بسكب مادة حارقة عليه مثل الأحماض الكيماوية. وهذه التقارير قد جاءت على ألسن كثير ممن كانوا ضحايا تعذيب.

جدع الأنف وكسره أيضاً من وسائل تشويه المظهر الخارجي. تشويه البشرة بتقطيعها بالمشرط أو حرقها بطرق مختلفة وبالذات بتطفئة السجائر بها. كسر الأسنان وقطع الشفاة أو تشويهها تشويه جمالي. قلع الأظافر، هناك أيضاً تشويه للأجزاء الداخلية من الجسد والتي تكون في الغالب جزء مغطى في الملابس والتي يحدث فيها تشويه لا يختلف تأثيره عن تشويه ما يظهر من جسم الإنسان عادة. مثل تشويه ثدي المرأة وشعر صدر الرجل والأجهزة التناسلية وإحدى الروايات المؤثرة بشأن التشويه الداخلي إن أحد القائمين بالتعذيب كان يحفر اسمه والتاريخ بسكين حادة على كتف بعض الكويتيين الذين يقوم بتعذيبهم.

ب) احداث الألم الجنسي

تُعتبر الأجزاء الجنسية الرئيسية والثانوية في جسم الإنسان من الأجزاء الأكثر حساسية فيه. ذلك لأن الله خلق هذه الأجزاء مملوءة بالشعيرات الدموية والنهايات العصبية القريبة من السطح الخارجي للجلد. لذا فإن هذه الأجزاء تستقبل أي مصدر لمس فيها بشيء من التفاعل السريع. وحساسيتها قد تجعل اللمس الرقيق مثيراً للدغدغة. وقد يؤدي أي ضغط عليها إلى الشعور بعدم الراحة. وزيادة الضغط يخلق إحساس بالألم.

ومن الأجزاء الجنسية الحساسة والعامة بين المرأة والرجل الشفتان الحلمتان واللية ممتداً إلى داخل فتحة الشرج. أما الأجزاء الخاصة بالمرأة فهما الثديان كاملان. الجهاز الجنسي متمثلاً بالشفران الخارجيان والشفران الداخليان، البظر، قناة المهبل، الرحم والمبيضان. أما الأجزاء الخاصة بالرجل فتكون عبارة عن أجزاء جهازه الجنسي متمثلاً بالقضيب والخصيتين.

ويتم التعذيب بإحداث الألم بعدة طرق مثل الضغط على هذه الأجزاء، الضرب عليها بواسطة يد المعذب أو بوسيلة ما. استخدام الصدمة الكهربائية الخفيفة كذلك من الأساليب التي ذكر المتعرضون للتعذيب استخدامها عليهم. ومما ذُو استخدام الكهرباء على الشفتان، الحلمتان للمرأة والرجل. استخدام الكهرباء في شفري المرأة وقضيب وخصيتا الرجل بطريقة تثير الألم بدون تشويه. وإن كان ما ذُكر يؤكد أن حجم الألم بلغ من الشدة إلى حد أن كثير من الرجال يصلون للإغماء والإعياء وأحياناً درجة عالية من الإنهيار العصبي. أحد التقارير ذكر بأنه شاهد مجموعة كبيرة من الكويتيين وقد رُبطوا صفاً واحداً على كرسي منفردة وقد قُيدت الأيادي والأرجل بالكراسي وكانوا عراة بلا ملابس، وكان يرش عليهم ماء ثم يمر على أجهزتهم التناسلية وبسرعة سلك كهربائي بواسطة أحد القائمين بالتعذيب فيتم الصراخ. وبتكرار ذلك فقد البعض منهم عقله بحيث كان يضحك بعد الألم بشكل هستيري.

إدخال رأس زجاجة مرطبات في شرج الرجل والمرأة أمراً مثيراً للألم وقد يتم الإدخال باليد أو بإجبار الجلوس عليه وحتى يضمن القائم بالتعذيب تدخيله تكون الزجاجة في العادة مربوطة أو مثبتة بقاعدة كرسي، طاولة، أو في قيصرية خروج أطفال. ويتم تدخيل جزء يؤدي إلى إحداث ألم ثم سحب الزجاجة وإن كان هذا الألم أيضاً قد يوصل إلى الإغماء.

استخدام الثقل بربطه بالجهاز التناسلي أمراً وارداً. فلقد ورد في التقارير

قيام القائم بالتعذيب بربط ثقل مثل بلد صيد السمك الممتد بسلك نايلون في قضيب الرجل أو بظر المرأة اللذان يكونان في العادة مشدودان على كرسي ثم يقوم المعذب بالقاء الثقل إلى أسفل بحيث يسحب الجهاز التناسلي بالثقل إلى أسفل محدثاً ألماً شديداً.

الحرارة العالية إستُخدمت كعنصر أساسي في إحداث الألم. ولقد ورد في أساليب التعذيب ربط المرأة والرجل على كرسي موثقي اليدين والرجلين. وتكون الأرجل مفتوحة ومقتربة من حافة الكرسي ثم توضع شمعة تحت خصيتي الرجل أو بالقرب من جهاز المرأة التناسلي. ولأننا كما قلنا أن هذه الأجهزة مملوءة بالشعيرات الدموية والنهايات العصبية فإن هناك مقدار من الألم المنبعثة من الشمعة أو غيرها أو زيادة شدة الحرارة عن حد معين قد يؤدي إلى تشويه ولكن مما ورد فإن الحرارة وحدها العادية كافية بإحداث ألم إلى درجة الإغماء.

ج) تشويه الجهاز الجنسي

إذا كان تشويه الجمال هو تشويه عنصر هام في قبول الإنسان جنسياً فإن تشويه الجهاز الجنسي قد يكون عامل إعاقة وتلف للقيام بالدور الجنسي وحسب درجة التشويه تكون درجة الإعاقة المقصودة.

من طرق تشويه الجهاز الجنسي التي قمنا بتسجيلها حرق الخصيتين إلى درجة التلف. حرق القضيب بدرجة تؤدي إلى تشوه شكله وتدمير الخلايا المؤدية إلى الإنتصاب وحتى تشويه الجلد مما يؤدي إلى إقفال فتحة التبول وخروج السائل المنوي. كذلك المرأة وردت اعترافات بحرق الشفرين والبظر. من التقارير الواردة من الذين نجوا من التعذيب حالات قطع قضيب الرجل وقطع شفري جهاز المرأة التناسلي وختان البظر. كذلك ورد في تقارير التعذيب اقتلاع رحم المرأة بواسطة الأداة المستخدمة في تنظيف البندقية

العسكرية. وهي عبارة عن عامود حديدي طويل بالوسط به حديدة متحركة يتم تحريكها باليد وفي العادة يوضع بها خرقة حتى ينظف سبطانة البندقية. وأسلوب التعذيب يكون بإدخالها في الرحم مما يخلق حالة نزيف شديد تؤدي إلى ضرورة استئصال الرحم. ومع استئصال الرحم هناك استئصال للثدي وحرقهم له. وردت أيضاً في حالات تشويه الجهاز الجنسي القيام بخياطة شفري الجهاز الجنسي للمرأة. استخدام الأحماض الكيمارية أيضاً ورد وذلك بسكبه على القضيب أو الشفرين بتنقيط يؤدي إلى تلف وظيفتهما تماما.

د) تلويث وتمريض الجهاز الجنسي

حقيقة أن كل الأساليب السابقة تؤدي إلى تمريض وتلويث الجهاز الجنسي للإنسان ولعل التعذيب الأكثر بساطة والمتمثل بالحرمان من الإستحمام وتنظيف الجهاز الجنسي بعد عمليتي التبول والإخراج لفترة طويلة وحده كافية لتلويث الجهاز الجنسي وتعريضه للمرض. البصق على جهاز المرأة التناسلي ورد ذكره وكذلك التهديد باستخدام أو تسبب مرض الإيدز.

لكن كانت هناك خطة تعذيب مباشرة تهدف إلى تلويث الرجال بالإيدز وذلك باستخدام نساء حاملات للمرض وإغراء الشباب الكويتي على معاشرتهن. والوثيقة الموجودة في مذكرات أحد الجنود توضح حقيقة هذه النية والتي من نعم الله أنها لم تتم كما أرادوا. والوثيقة موجودة في آخر الكتاب.

ج) التعذيب الجنسي الدرامي

الإنسان بطبيعته الحساسة قد لا يحتمل الموقف الدرامي الذي يُمارس عليه حتى لو كان هذا الموقف من باب المزاح. إن وضع الإنسان في موقف درامي مؤلم يؤدي إلى إحداث درجة من الألم والإضطراب النفسي تختلف درجتها من إنسان لآخر حسب الموقف الدرامي.

وكما سبق الذكر حسب الحديث عن التعذيب الدرامي العام فإن الألم النفسي الذي يتلقاه الإنسان المعرض للموقف الدرامي شديد والنتيجة في الإشباع السادي تكون بحجم الألم المسبب للضحية.

في الدراما الجنسية يكون حجم الألم أكبر وبالتالي فالإشباع السادي يبلغ ذروته. وكما إن هناك موقف درامي يعرف الضحية بأنه مضطر لإداءه والقيام بالدور بحكم ضعف موقفه كضحية. هناك أيضاً موقف دراما جنسية يكون فيه الضحية لا يعلم بأنه يؤدي دور ينتهي بهستيريا الضحك السادي وبمقدار من الألم النفسي للضحية. إن القائم بالتعذيب كشخصية سادية تبحث عن الألم يعرف جيداً حجم الألم حين يتعلق بحياة الإنسان الجنسية. وهذا الإدراك يكون أوضح حين يكون القائم بالتعذيب شرقي يعرف أن إيذاء الشرف عند الشرقيين أقوى من إيذاء الجسد حتى إلى حد الموت. بل إن التقارير الواردة بمواجهة الإيذاء الجنسي لفظاً أو جسداً أو دراماً كان يُقابل بصرخات طلب الموت من قبل الضحية. أخبرتني إحدى الضحايا الذين نجوا بأن الكويتيات في زنزانة مجاورة كانت تستفز القائمون بالتعذيب لقتلها حتى تتجنب الإعتداء على شرفها المتكرر.

إن التعذيب الجنسي الدارمي والمتمثل بوضع الضحية في موقف تمثيلي مأساوي بعمله أو بغير علمه يتمثل بأساليب يشابه أغلبها التعذيب الدرامي العام والذي سبق شرحه.

1) دراما التأهيل للتعذيب

بقدر ما تحمل دراما تأهيل التعذيب من كماً هائلاً من الألفاظ الموجعة التأثير والتي تشبه ألم التعذيب اللفظي إلا أن توقع التعذيب، تصوره ومعايشته في خيال المؤهل للتعذيب تجعل الجرعة أكبر. وهناك نقطة ضروري أن نؤكدها بشأن التعذيب اللفظي عامةً والتعذيب الجنسى اللفظي والتعذيب

بدراما التأهيل للتعذيب وهو أننا هنا نضع اللفظ والتشابيهات بصيغة عربية مغلقة مخففة محاولين قدر الإمكان توصيل الكلمة والفكرة دون النقل الحرفي الخارج عن أدب الكتابة. ولكن في واقع ما ذُكر كانت هناك ألفاظ ذات استخدام عامي. وكما هو معروف أن الإستخدام العامي العاري في اللفظ الجنسي يكون أكثر ألماً على الضحية. وكما قلنا سابقاً التأهيل قد يكون لتعذيب الذات أو الآخرون. ومن ضمن ما دونا من تأهيل تعذيب ما يلي: «سأدللك بأن أجعلك تختار اليوم تعذيبك. تريد أن أدخل زجاجة المرطبات المسكورة بشرجك. أم تريد كهرباء في الخضيتين. الحقيقة إن الزجاجة سوف تمزق خلفيتك سوف تنزف. لكن المقرف أن البراز سيخرج معها. آه بعدها لن تستطيع الإخراج بتاتاً. سوف ينتفخ بطنك أو ربما يخرج برازك من سرتك أو من فمك. آه إنها طريقة صعبة أم تفضل أن أحضر شمعة وأضعها تحت خصيتك. سوف تحترق خصيتك. ستصرخ حتى يسمعك أهلك. المشكلة أننا نأسف للنتجية فأنت لن تنجب أطفالاً بعدها ولا أي طبيب يسعفك. سيحترق الكيس الذي يحوي حبواناتك المنوية. ها، هل تختار أم أطبق الإثنين معا».

في كثير من الأحيان يكون مجرد التأهيل بأوجاعه الخيالية كفيل بأن يرضخ الضحية الذي يدرك النية الفعلية للقيام بذلك. وأحياناً يكون سكوت الضحية عن أي تجاوب قد يثير القائم بالتعذيب أكثر فيسعى لإعطائه جرعة ألم بسيطة أو نموذج مما تمّ تأهيله حتى تحدث ردة الفعل. أحياناً تكتفي سادية القائم بالتعذيب على منظر الرعب المرسوم في وجه الضحية وأحياناً يريد جرعة إستذلال ورجاء وأحياناً لا ينتشي إلا بانهيار الضحية وطواعيته.

وقد يكون التهديد على آخرين مقربين: «سأحضر زوجتك وأغتصبها»، «سأغتصب ابنك أو أخصيه أمام عيونك وأجعل دمه يسيل رويداً رويداً حتى يفارق الحياة»، «سأحضر رفيقك في المقاومة وأجلسه على بطل أمامك».

2) دراما التكفير بالقيم

يسعى الأسلوب البعثي العراقي إلى تحطيم البناء الخاص بالقيم والأخلاق والتقاليد والروحانيات عند الإنسان. وهذا التحطيم لهذه الأمور المعنوية الراقية التي يعيش عليها الإنسان يدرك البعثيون أثر تحطيمها في تكسير روح الضحية ووضعه في دوامة تساؤلات قد تستمر معه لفترة طويلة. إن قيمة الشرف والخصوصية الجنسية وحرمة المساس بها خاصة من قبل إنسان يحمل ذات القيم ويعرف مدى تأثير خدشها على مَن يقام عليه الفعل بجعل الضحية يعاني من كماً من التساؤلات كفيلة بتحطيمه.

ومن صور دراما التعذيب الجنسي ذات الطابع التكفيري أن يأخذ المعذب بنت منهارة من جراء الإعتقال ويطمئنها أنه مثل أخوها. وإنها لن تؤذي حيث روح الأخوة بينهم لن تسمح بإذائها وهو مدرك حراجة الإعتقال عليها كبنت شرقية. وبعد كل هذا الموال المتفهم للتقاليد يغتصبها.

تقرير من حالة يقول أنه كان يصرخ من وضع الكهرباء على حلمته ويقول «يا الله رحمتك». فكان القائم بالتعذيب يزيد الجرعة قائلاً «هيا أطلب من الله أن يوقفني». إن موقف الضعف الذي يكون به الضحية يكون مزدوج التعذيب. فبين التعذيب المتلقى من القائم بالتعذيب وبين حالة الشك أو التساؤل من حكمة ترك الله لهؤلاء القيام بكل هذا الأذى دون توقيفهم.

3) الشاهد الضحيف

تعريض الضحية للتعذيب بطريقة جعله يشاهد تعذيب جنسي جاري على غيره. وقد يكون هذا الغير قريب جداً أو غير قريب لكن يكفي أن يكون ابن أو ابنة «وطن» في تلك الظروف بالذات حتى تكون المعاناة النفسية كافية لإحداث شرخ وترك صورة محفورة في الذاكرة قد تبقى كالفيلم يتكرر بذات الألم إن لم يكن بأعظم منه. يقول أحد الضحايا الذين نجو:

«لقد أجبروني على مشاهدة كويتية في الرابعة عشرة من عمرها وهي تُغتصب من قبل ثلاثة جنود الواحد تلو الآخر. كنت جالساً مقيد على الكرسي وحين حاولت أن أشيع بوجهي كا يتم ضربي حتى أفتح عيوني وأذني وأسمع صراخها». تقرير آخر يقول: «لقد كانوا يأخذوني في جولة لأشاهد رجال كويتيين يتم تعذيبهم جماعياً بوضع الكهرباء على أجهزتهم التناسلية». تقرير ثالث يقول صاحبه: «لقد كانوا يأخذوني من مكان لآخر لأرى صور تعذيب قد أُجريت. ورأيت كويتي قد قطع قضيبه وحشر في فمه وقد فقأت عيونه. ورأيت مجموعة كويتيات معلقات من أيديهم عاريات وقد غرس دبوس بورقة في أيدائهن وكل ورقة تحمل اسم البنت واسم عائلتها». تقرير شاهد يقول: «لقد كانوا يجعلوننا نشاهد كويتيات يعملن خادمات ويجبرن على كنس الأرض زحفاً على ركبهن وكان الجندي المشرف عليهن يعبث بأجسادهن في كل مكان وبطريقة يضحك فيها عليهن وإذا بدرت من الواحدة حركة كان يضربها على رأسها بشدة ويشدها من شعرها يقول لها هؤلاء الرجال بلدك لن يحموك. وكنا في وضع ضعف». شاهد عيان آخر يقول: «كنا نسمع صراخ الكويتيات ونعرف من الصراخ والبكاء والتشفع الصادر من البنات أنهن كن يغتصبن وكان الجنود يحرصون على أن يصل ذلك الينا».

أما عملية وضع الضحية كشاهد على تعذيب جنسي لإنسان قريب منه فلقد جاءت تقارير كثيرة حول ذلك. إحدى التقارير تقول: «لقد جاءوا بأختي أمامي. وهي في السابعة عشرة من عمرها وبدأوا يعبثون بصدرها وهي تبكي. وبصوت هادىء كانوا يطلبون مني أسماء الضباط الذين أعرفهم. وحين أصرخ وأسبهم كان يوجد شخص آخر يشد رأسي إلى الخلف ويضربني على حنجرتي ويفتح عيني جبراً بيديه تقرير آخر يقول صاحبه «حين دخلوا عليَّ كنت نائم مع زوجتي في الفراش وكان ذلك في

الرابعة صباحاً. ركضت زوجتي حتى تغطي نفسها وتضع شيئاً فوق قميص نومها. سحبها الجندي العراقي وضمها. وحين توسلت به وقالت اعتبرني أختك أو أمك جذبها وقال بالفعل باعتبارك كذلك وسترين ماذا أفعل بك كأختي وأمي وتوالت عليَّ الضربات ثم قيدوني بالقرب من الباب وبدأوا بتمزيق ملابسها وصفعها حتى تخبر عن العسكريين الكويتيين في المنطقة التي نعيش بها».

«لقد أحضروا طفلي بعد ثلاثة أيام من اعتقالي وهو في الثامنة من عمره. وبدؤا يطلبون منه أمامي أن يخلع ملابسه. كان يبكي ويسألني هل أفعل؟ كنت أبكي معه وأشعر بالعجز التام بأنهم سيفعلون به شيئاً. قتلي أرحم لي من ذلك. وبدأت بالإستسلام واشترطت اطلاق سراحه».

4) التهريج

الإعتداء الجنسي بكل صوره مؤلم. لكن يبقى الإعتداء الجنسي الجاد أقل ضراوة على الإنسان من جعله مادة تهريج وهو يُعذب ويُعتدى عليه جنسياً. إن حجم ألم الإعتداء يكون مضاعف إذا صوحب بالسخرية والضحك.

«لقد مزقوا حجابي وبرقعي وسحبوا عباءتي مني. ووضعوني في إحدى غرف المخفر وبدأوا باغتصابي الواحد تلو الثاني. حين جاء دور الرابع كان وضعي مخزي وقذر وبدأ يضحك عليَّ لأن مَن سبقوه ملؤني بالسائل المنوي وأنه لا مكان لسائله. وهو يهم بخلع بنطلونه وضع حذائه العسكري على بطني بالقرب من العانة وضغط بشدة فخرج مني صوت فبدأ يضحك ويضغط أكثر فيخرج صوت. وأخبر زملاؤه وهم يضحكون بأني أخرج غازاتي من فتحة مهبلي وظل يكرر ذلك حتى انتهى من سيجارته وألقى بنفسه فوقي وابتدأ باغتصابي وأثناء ذلك أطفأ سيجارته في شرجي».

«أجبروني أنا على خلع الحجاب ولما رفضت خلعوه عنوة وبدأوا

يضحكون علي. وكانوا ثلاثه ,يضحكون علينا ككويتيات بأننا ندعي الشرف بلبس الحجاب. ثم بدأوا يقولون أن للحجاب فوائد كثيرة. فكانوا يربطون به يدي أو قدمي ويعلقوني به أو يلفونه حول ثدي ويضغطونه بشدة وأخيراً ربطوه حول خصري وأجبروني على الرقص بطريقة مضحكة».

«كنت أصلي في المعتقل فأخذوا بضربي بشدة. وأخبروني بأن نور الإيمان سوف يشع من وجهي لأني مؤمنة. وسحبوني إلى الحمام وأخذوا براز يضعونه على وجهي وفوق شفتاي وحول عيوني ثم سحبوني في الساحة ووضعوني مستلقية تحت الشمس حتى يجف البراز على وجهي».

5) الدراما الفعلية

ويمكننا أن نطلق عليها الجريمة الكاملة. وهي دراما يتم التعذيب الجنسي فيها بسيناريو مدروس بشكل جيد. وقد يلعب القائم بالتعذيب جزء من هذا الدور أو يكون في موضع المشاهد على دراما رسمها بنفسه.

«لقد أحضروني بعد تعذيب شديد وأجلسوني في مكتب الضابط وأخبروني بحديث طويل عن أسفه عما حدث فهو يدرك إحساسي كشاب مقبل على الحياة وأعطوني ملابس نظيفة وصابونة وأمروني بالدخول لأخذ حمام وفعلت وبعد ذلك أكمل الحديث المؤدب وعبروا عن إحساسهم الشديد بي كإنسان يشتاق لخطيبته. وبعد ذلك أدخلوني غرفة في المخفر فيها سرير وأربعة كراسي. ولم أكن أعرف ماذا يحدث إلا حين تفاجأت بهم يدخلوني على خطيبتي وعليها قميص نوم وبدا عليها إعياء من البكاء وطلبوا مني معاشرتها أمامهم. وحين رفضت أخبروني بأنه لا مفر فإما أجلس على الكرسي لأشاهد أحد يغتصبها أو أجلس على السرير معها ليتفرجوا على ما أفعل. وفعلتُ رحمةً بي وبها. والغريب أنهم ضحكوا وشكروني على ما شاهدوا وأطلقوا صراحنا».

«كنت قد شعرت باقتراب خروج الطفل فكل العلامات تؤكد بأنني سألد بعد ساعة أو أقل فلدي خبرة حيث أنَّ هذا ليس طفلي الأول. كان الخروج في تلك الفترة صعباً لكن لا بدَّ أن أصل للمستشفى فطار بي زوجي. وأوقفونا مجموعة جنود في الطريق وأخبرهم زوجي بأنني في حالة وضع وكان يبدو عليَّ الإعياء الشديد. لكنهم أصروا على فحصي لأسباب أمنية وكاد أن يجن زوجي لكننا رضخنا لذلك فرفعوا ملابسي ليروا بطني وشاهدوا الماء يجري مني. فقالوا: بالفعل واضح عليها أنها ستلد. وإعتقدنا بأن الفرج قد جاء وسوف يجعلونا نسرع للمستشفى لكنهم قالوا أنهم لم يروا حالة ولادة من قبل وسوف يتفرجون عليَّ وأنا ألد. وأمام صراخ زوجي ودفعهم له خارج السيارة وحالة الرعب التي كنت بها. بدأت فعلاً بالولادة وكانوا ينظرون إليَّ ويضحكون. قد بدأ الطفل بالخروج فعلاً وأمام منظر الدم وصراخ الطفل ارتهب اثنان منهم وسمحوا لزوجي أخذي إلى الطبيب».

«استدعاني الضابط، وبدأ بالتحدث معي حتى أعترف بمساعدتي للمقاومة وأدلي ببعض المعلومات المهمة حسب وجهة نظره. فلما رفضت أراني ولشهر عذاب شديد أشبه بعذاب رابعة العدوية من جعلي خادمة واغطاس شعري ورأسي كله بماء حار وإجباري على الطبخ وكل صور التعذيب. وفي يوم ناداني الضابط وبروح كلها صداقة بدأ بمحادثتي وكأني فرد مهم في عملي تنظيف المعتقل. وأخبرني بضرورة جعل المعتقل نظيف وأنه يواجه مشكلتين مهمتين في النظافة هي البصاق على الأرض وأعقاب سجائر الجنود. وبأسلوب حكيم طلب استشارتي في هذا الأمر وكان يضحك ويقول بأنك الآن الخبيرة والمسؤولة عن نظافة المعتقبل. فأخبرته بأن يضع طفايات كبيرة في كل مكان ويجبر الجنود على البصق بها وتطفئة سجائرهم بها. فوقف وشد على يدي مهنئاً إيايَّ على هذه النصيحة. ورن الجرس وأمر بتطبيق ما أراه صالحاً. وتفاجأت بالجنود يأخذوني ليعلقوني من رجلي المفتوحتان

وينزعوني ملابسي الداخلية وجعلوا فتحة المهبل متفلة يبصقون بها ويطفئون في داخلي سجائرهم».

د) الإغتصاب:

لماذا أفردنا الإغتصاب لوحده كأسلوب تعذيب جنسي؟

إن الإطلاع العام على تأثير التعذيب الجنسي على الإنسان في أي مكان وفي أي ظرف ومن خبرة علمية وعملية في هذا المجال، ومن منطق فطري ندلي به جميعاً لو خيرنا بأن نعذب جنسياً جسدياً بآلة، بحرق أو بأي أذى أخرى أو كلمة تمس شرفنا أو خلافه ستكون ردة الفعل التلقائية السريعة هي أن أي عذاب أرحم من الإغتصاب. فالإنسان يتعامل مع إحساسه في العملية الجنسية بعاطفة شديدة التطرف. وإن كان المنطق العقلي حين تقدير الخسارات قد ينحي إلى كون تدمير الإغتصاب قد يكون أهون من فعل تقطيع الأجزاء الجنسية مثلاً. إلا أن الإنسان بشكل عام ينحي نحو عاطفته البحتة في هذه الأمور الحساسة بغض النظر عن العقل وحساب الخسائر.

إن فعل الإغتصاب على المرأة والرجل لهما تأثير نفسي شديد وتأثير بدني أكثر شدة. فالرجل المغتصب يلاحقه شعور الدونية والغضب أكبر من شعور تمرير كهرباء في أعضائه أو خلافه لأنَّ الإغتصاب بالذات مرتبط بالممارسة الجنسية بين إنسان وآخر وليس فعل إسداء أذى عضوي. أما المرأة فلديها مصيبة أكبر بالإضافة إلى الأذى النفسي وهي ورود حدوث الحمل نتيجة الإغتصاب ومعايشة هذا الرعب المنتظر أو معايشة واقعه الموجع إن حدث. فالإفتراض العام لدينا من منطق الميراث الإجتماعي أن المرأة لا يمسها إلا زوجها ويكون في الغالب الرجل الوحيد في حياتها ويتم ذلك في خصوصية تامة. كل ذلك يجعل فعل سرقة الجنس عنوة، أخذه من قبل عدو أمراً شديد القسوة ويمثل التدمير الأكبر وأسلوب التعذيب الأشد.

كما إن فعل الإغتصاب هو الفعل الأشد وضوح على وحشية الإنسان القائم به. حتى إن البعض يرى أن مَن يقوم بإزهاق روح أخف من ذلك الذي يقوم بإغتصاب. لأن الذي يقوم بالإغتصاب صورة شديدة الوضوح من انهدار البناء القيمي والديني والإجتماعي والنفسي لديه.



لقد أثيرت ضجة كبرى حول حوادث الإغتصاب التي تمت إبان الإحتلال العراقي من قبل الصحافة العالمية. ولكن للأسف كانت تتعامل مع هذا النوع من التعذيب كمادة بيع صحفي. ولعل ما يؤسف أيضاً هو شهية البعض من الموجودين على الإدلاء بمعلومات كانت مضرة أكثر من كونها نافعة فالبعض كانت له تجربة ضحية أو شاهد و أراد بحكم ردة فعل نفسية معينة أن يكون بطلاً أو ضحية فأدلى بمعلومات خاطئة. بعض تلك الصور الخاطئة كانت حالة إلتباس نفسي ناتجة عن اضطراب نفسي وعقلي أفرزته التجربة الذاتية لهذا أو هذه التي تعرضت للإغتصاب أو كان شاهد له. وهذا الأمر قد لا نلوم به صاحبه لأنه خارج من دائرة الإرادة. البعض كان يدرك الخطأ في المعلومة التي يدلي بها ولكنه يريد تصوير بشاعة ما عايش أو شاهد بأن يعطي الصورة التي يعتقد بأنها الأفضل لخدمة الموضوع. وهذا أيضاً له معاناته النفسية واندفاعه وحماسه من قهر التجربة نفسها ودرجة وعيه بما يقول ليست كاملة الوعي في حقيقة الأمر.

هناك فئة أرادت أن تجعل من نفسها إبطال في زحمة الأضواء في بداية التحرير. فئة جمعت ما سمعت، ألفت، أضافت وفي حقيقة الأمر كانت بعيدة عن ما هو جاري. إن البعض من هؤلاء كان من الفئة المسؤولة وذوي التخصص العلمي في المضمار الطبي أو النفسي أو الإجتماعي مما يجعل كلمتهم المطبوعة في الصحافة موثوق بها. البعض الفطري البسيط أراد أن

يقول للعالم لقد جاءنا وحوش والإدلاء بأحاديث عن اغتصابات لم يشاهدها أو يعايشها كأسلوب انتقام وردّة فعل.

والنتيجة أننا بعد ذلك تعرضنا لهجوم من قبل الصحافة العالمية ومن قبل المتخصصين الأجانب حول هذا االتضارب في الآراء. وكانت النتيجة السيئة علينا أن ضاعت الحقيقة وضاع حقنا. وإلى الآن ما زال الغرب بإعلامه يستعرض كل تلك الحكايات والإدلاءات ويضعها تحت مجهره ويحللها. وما دام عندهم شك ولو واحد في المائة عما قيل فالحقيقة كلها مشكوك فيها. طبعاً الجانب الرسمي غير معفى المسؤولية من صدور توثيق رسمي بهذا الخصوص. ومسؤول عن عدم محاسبة الفئة المختصة التي ادعت وشوّهت أو محاسبة الصحف التي اختلقت هي الأخرى قصص بيع ورقها على حسابنا.

من تجربتي الخاصة كمعالجة جنسية بشكل عام وكمتعايشة مع بعض حالات التعذيب والإغتصاب الجنسي يمكنني توكيد النقاط التالية:

* لا يمكن حصر حالات الإغتصاب بأي حال من الأحوال ولا حتى حصر حالات الإعتداء الجنسي بدرجاته المختلفة. وهذه الحقيقة ليست فقط خاصة في ظرفنا كبلد كان محتل وتعرض بعض أفراده للإغتصاب، بل حتى في الدول التي تعيش بظروف عادية ويجري فيها حوادث اغتصاب. وذلك يعود لحقيقة بسيطة جداً هي أنه ليس كل مَن تعرض لإغتصاب يتصل بجهة رسمية ليضع نفسه رقماً في تعداد حوادث الإغتصاب. وإذا كان المرأة في الدول الأجنبية ذات الدرجة العالية في الحرية الجنسية تشعر بحرج شديد بشأن الإدلاء بذلك من باب تلافي العار وأثر ذلك عليها وعلى عائلتها فإنه يمكننا القول بأن الأمر له أضعاف الأسباب لدينا في مجتمعاتنا الشرقية العربية المسلمة والتي تعامل هذا الفعل بحساسية وألم. وبالتالي فالمتوقع أنه ليس كل مَن تعرض لإغتصاب أثناء الإحتلال أدلى بذلك.

* هناك كثيرون وكثيرات ممَن تعرضوا لإعتداء جنسي معين لديهم عدم تصور أو عدم ثقة أو عدم قدرة على تحديد اسم الفعل الذي أُقيم عليهم إن كان اغتصاب أم نوع آخر من أنواع الإعتداء الجنسي. وهذا الجهل في التحديد نتاج أصلاً ضعف الثقافة الجنسية عند بعض الناس. ومن تجربتي في تدوين بعض التعذيب الجنسي وجدت هذا الخلط.

هل تمزيق الملابس وجعل الضحية عارية اغتصاب؟

هل القيام بالعبث اليدوي في الجسد، اغتصاب؟

هل اغتصاب الشرجي للرجل إغتصاب أم إعتداء على الشرف؟

هل أخذ قبلة غصب من فتاة عند نقطة التفتيش اغتصاب؟

هل توصيل الكهرباء اغتصاب؟

وغيرها من أسئلة قد تبدو للبعض تافهة أو غير منطقية أو حتى غير مصدمة. ولكنها تساؤلات جعلت كثيرون يترددون في تدوين أنفسهم كضحايا اغتصاب. أو أن البعض أدلى بأنه ضحية اغتصاب جهلاً ولم تتم مساءلته بهذا الشأن حيث أن حراجة طلب التفاصيل وقلة خبرة الفئة المتطوعة التي قامت في البداية برصد المعلومات أدت إلى هذا الخطأ. ولكني شخصياً وجدت كثيراً من هذا الخلط عند بعض الحالات التي قمت بسؤالها. ولعل المثير جداً هو رغم شيوع كلمة اغتصاب إلا أنَّ هناك قدراً لا يستهان به من عدم معرفة معنى اغتصاب.

* تعدد الجهات التي تولت تسجيل ضحايا الإغتصاب، وحرص كل جهة على الإحتفاظ برقمها جعل إعطاء الرقم العام صعب. خاصة إنه لم يتم إصدار رقم رسمي من جهة رسمية تؤكد أو تنفي هذا التوثيق.

* أغلب ما هو تمَّ تسجيله لضحايا الإغتصاب بعد التحرير مباشرةً هو

للفئة الموجودة داخل الكويت والتي عوملت كضحايا حرب عاشوا فترة الإحتلال كاملة. هناك، من معايشتي، كثيراً من حالات الإغتصاب قد خرجت من الكويت بعد حدث الإغتصاب. والبعض كان بالفعل قد تأكد من حدوث حمل وعالج الموقف أثناء الاحتلال خارج الكويت.

* * هناك كثيراً من الحالات الغير كويتية والتي تعرضت للإغتصاب. البعض منها سافر إلى بلده أثناء الإحتلال. والبعض الآخر خاف من تسجيل نفسه ضحية إغتصاب.

* * التقليد العام في تسجيل الإعتداءات اغتصابات واعتقال وكل حيثيات الإحتلال كان بخصوص العراقيين. الجهات المسؤولة عن هذا التدوين في الغالب تفترض مبدئياً بأنه فعل عراقي. لكن واقع معايشة الإحتلال أوضح وجود أفراد أو جماعات من جنسيات أخرى كانت تساعد العراقيين في التعذيب أو الإعتقال وغيرها. أو تقوم بذلك فرادي وجماعات بنفسها مدفوعة بميراث الإنتقام أو بانتهاز فرصة الفوضى العامة أو ضعف موقف الإنسان الكويتي. عايشنا أثناء الإحتلال حالات اغتصاب قام بها بعض العرب وغير العرب المتواجدون بالكويت ولكنها بنهاية الأمر لم تسجل أو سُجلت كفعل عراقي.

***

خلاصة ما نريد قوله أنه حتى لو تمَّ التجميع الرسمي والإدلاء بأي شكل سري بحوادث الإغتصاب سيبقى الرقم الحقيقي مجهول. وفي أفضل الأحوال سيكون لدينا رقم مبدئي أو فرضية إحصائية محسوبة بمعادلة حجم المذكور نسبة إلى السكان. أو أي صورة إحصائية أخرى. لكن هذه الأخرى تبقى كذلك مجرد فرضية وليست واقع مدون بالضبط.

الإغتصاب... لماذا؟

لماذا شرع الجنود والمخابرات العراقية إلى فعل الإغتصاب؟ هذا سؤال الذي يتولد معه تساؤلات كثيرة حول هذا الفعل البشع، بما يخص الفاعل والذي أُقيم عليه الفعل.

أما تصورنا الخاص حول سبب وجود فعل الإغتصاب من ضمن التعذيب فيمكن تفسيره كالتالي:

1) إن الشخصية الإغتصابية شخصية توضع في خانة الإضطراب النفسي الشديد. فبدون شك إن الإنسان الذي يأخذ الشهوة عنوة وبعنف من إنسان لا يرغب بها هو إنسان مريض. ونحن نؤمن أن الأفراد العراقيين الذين قاموا بذلك هم مرضى. ونحن وإن أطلقنا عليهم مرضى إلا أننا لا نضعهم هنا في فئة المعذورين بل في فئة المجرمين. لأن الكاتبة شخصياً ترى أن فعل الإغتصاب أمراً لا يجب أن نتوقف معه لتعطيه عذراً نفسياً فيتحول الفاعل إلى مريض يستحق الشفقة والعلاج في حين أنه مجرم يستحق العقاب. وفعل الإغتصاب درجة مرضية لا يجب أن يتوقف القانون عندها ويطرح الرحمة والأعذار.

وإن كنا سنوفي الشخصية العراقية المتخصصة في التعذيب الجنسي حقها لاحقاً إلا أننا نوجز القول بأن معايشة إغتصاب الحريات، إغتصاب الرأي، الإرادة، والإغتصاب الفعلي الذي مورس على العراقيين لأكثر من ربع قرن كان كفيل بإخراج فئة اغتصابية منهم.

كذلك فإن السنوات الثمان في الحرب العراقية الإيرانية خلقت فعل الحروب في بعض النفوس العراقية. فالجندي العراقي ورجل المخابرات ما نزع بدلته ليلتقط أنفاسه حتى يجد نفسه مدفوعاً إلى حرب أخرى. وأمام احساس الضعف واللاقوة وكم القهر الداخلي كان هناك ما يعرف بتحويل الغضب في

مكانه المقبول. والقاء الأذى على الكويتيين كان مقبول من قبل السلطة وبذلك كان الإغتصاب صور تنفيس عن ذلك الغضب. وهناك تداخلات نفسية أخرى سنذكرها لاحقاً حين الحديث عن الشخصية القائمة بالتعذيب.

2) السيطرة على الشعوب لا تكن في الغالب بكلمة ودية وبوردة. شيئاً من العنف قد يكون ضرورة لشل الناس وإرغامهم على الرضوخ. والإغتصاب أقوى عامل قد يسبب الشلل والرضوخ للإنسان. ثم إن سيادة رعب وشراسة المحتل بتكرار حوادث اغتصاب قد تساعد على الطواعية لضمان عدم التعرض لها. كان أيضاً هناك هدف إخلاء الكويت القوة الموجودة وليس هناك أفضل من حوادث الإغتصاب لإشاعة الرعب مما يدفع إلى ترك البلد.

أنواع الإغتصاب

يُعتبر الإغتصاب نموذج لحالة الإنسان في أقصى درجة من الإنحراف النفسي وصورة تعكس وحود اختلال ما في المجتمع وفي الإنسانية. وإذا كان حجم الإغتصاب كمعدل رقم قد ازداد في السنوات الأخيرة فإن ذلك يعطي انعكاس لما هو حادث من اضطرابات في المجتمع الإنساني عامة.

إن المهتمين بدراسة الإغتصاب ينهجون إلى التصنيف كأساس لدراسة هذا السلوك الغير سوي. إن التصنيفات الواردة في الدارسات تعمد إلى تحديد السبب من وراء فعل الإغتصاب بالدرجة الأولى.

في موقعنا هنا، فإن التصنيف الذي سوف نطرحه سيكون منطلقاً من صور الإغتصاب التي تمت في الكويت من قبل الجيش والمخابرات العراقية وبعض المقيمين في فترة الإحتلال العراقي على الكويت.

1) الإغتصاب المسبب

كان الإغتصاب يتم لسبب ما. فهناك يأتي عامل الإجبار على الإدلاء بمعلومات بالتهديد بإغتصاب الذات أو الغير المرتبط بالذات مثل الزوجة أو الأبناء.

عامل الغريزة الجنسية الإشباعية. البعض قام بفعل الإغتصاب من منطق الإحتياج الجنسي. كل الجنود والمخابرات قدموا للكويت بدون زوجاتهم إذا كانوا متزوجين أو جاؤوا كجيش يعاني من جوع جنسي نتيجة حرمانه من النساء طوال أعوام من الحرب العراقية الإيرانية. وهكذا من منطلق بهيمته فإن السعي للإشباع موجود بشيء من السماح بقيام فعل الإغتصاب على الشعب الكويتي.

الحقد والغيرة من الإنسان الكويتي وكم الغضب المدفون من ذلك الحقد والغيرة جعل فرصة الإحتلال جيدة للإنتقام منه وهل هناك أبشع طريق للإنتقام من شراسة الإغتصاب وكسر كبرياء هذا المخلوق الميسور الصرفة ذو الأنفة والعزة. إن هناك معايشة الكاتبة لبعض صور الإغتصاب التي تهدف إلى ذل الإنسان الكويتي من قبل فئة قليلة من الوافدين الذين كانوا يعيشون معنا. إن التعذيب اللفظي والجسدي الذي كان يلقى على ضحايا الإغتصاب يصور نشوة كسر الأنفة الكويتية ومصدر تنفيس لتراكمات وضغوطات الفاعل. تلك المخطوطات والتراكمات التي لها أسبابها البعيدة عن الإنسان الكويتي. لكن صعوبة التنفيس في المصدر المسبب للأذى وجدت حل بديل هي التنفيس في الإنسان الكويتي. فمعاناة العراقي في نظام البعث، حالة التشرد والفقر من بعض المقيمين كلها انفعالات حادة مسؤول عنها الجهات الرسمية لهؤلاء الأفراد. لكن فرصة وجود الكويتي في حالة ضعف كانت أشبه بوجود حجرة في الطريق يريد أن يرفسها بكل قوته ليخرج طاقته المكبوتة داخله وليس هناك مجال تنفيس أقوى من فعل الإغتصاب.

2) اغتصاب حسب الجنس

مارس العراقيون الإغتصاب لكلا الجنسيين. لم يكن هناك فرق بين الذكر والانثى في إقامة الإغتصاب عليهما. إن التقارير الموجودة لدينا لا تُعطي معدل فارق كبير بين حالات اغتصاب الذكور عن الإناث. وقد يبدو للبعض أن الإغتصاب هو الإغتصاب بكل ما به من ألم وبشاعة. لكن وجهة نظرنا العلمية ترى أنه إذا كان اغتصاب الرجل لإمرأة ضرباً من إنحراف السلوك الدال على انهدام البناء الأخلاقي والإجتماعي والديني وكل القيم الموروثة لدى الإنسان عامةً وخاصةً الشرقي العربي المسلم. إلا أن النزوح لإغتصاب الذكور يعطي دلالة إضافية على وجود نزعة شاذة في الإنسان القائم بالإغتصاب. وربما من وجهة نظر فرويدية قد يكون إنعكاس على كره النوع كذكر. وسوف نجزي ذلك حق التفسير لاحقا.

3) الإغتصاب حسب العمر

من التقارير الواردة بدا أن نزعة الإغتصاب الموجودة لم يكن فيها حاجز عمري عند القائم بالإغتصاب. كان هناك إغتصاب للطفل والطفلة. كان هناك اغتصاب للشاب والشابة. وكذلك كان هناك اغتصاب للرجل والمرأة المتقدمين في العمر. إن الوصول إلى نقطة اغتصاب الطفولة والشيخوخة هي الأخرى تعطي مؤشر انحراف شديد للفئة التي قامت بفعل الإغتصاب. وإذا كان الإغتصاب كما قلنا هو انعكاس هدم كل البناء القيمي الأخلاقي الديني عند الإنسان فإن نهج اغتصاب طفل ضعيف أو رجل متقدم بالعمر هو درجة إضافية في مستوى وحشي غير طبيعي عند الإنسان.

4) اغتصاب الطابور

أو ما يمكننا أن نطلق عليه اغتصاب جماعي. حيث يقدم مجموعة من الجنود أو المخابرات أو المقيمين كفريق بممارسة فعل الإغتصاب على ضحية

واحدة بالدور أو بالتناوب. ففي حين يقوم أحدهم بالإغتصاب يكون الآخرون بين مفترج غير مبالي حتى يأتي دوره وبين متفرج يعلق ويسخر مما هو حادث وبين مشغول بالتدخين أو الأكل أو العمل حتى يأتي دوره. والإغتصاب الجماعي أو اغتصاب الطابور قد يكون أمام الجميع أو تكون الضحية في غرفة ويتم التناوب عليها. والإغتصاب بالطابور أو الجماعي قد يكون بفعل اثنين أو أكثر على الضحية الواحدة. قد يكون بشكل متواصل كذلك أو يكون بين فترات زمنية متقطعة من ساعات إلى أيام.

ذكرت لي حالة حدوث اغتصاب جماعي عليها في ذات اللحظة وكان الأمر مأخوذ على أنه لا يعدو أكثر من كونه حفل تهريج على إنسانة تتمزق بين ثلاثة يحاولون القيام باغتصابها في الفرج، الشرج، والفم معاً.

5) اغتصاب أمام العائلة

كان القيام بفعل الإغتصاب على فرد من العائلة على مرأى ومسمع منها إحدى أساليب الإغتصاب والتي هي في الأساس تعذيب مزدوج. والقيام بفعل الإغتصاب أمام العائلة يضاعف حجم الألم عند ضحية الإغتصاب ويؤدي إلى فعل تدميري شديد عند العائلة التي يُجري أمامها اغتصاب فرد منها وهي جالسة لا حول ولها ولا قوة. ولقد ورد لدينا في التقارير أن العائلة كانت تجبر على المشاهدة ولو بارغام فتح العين عنوة حين يحاول الفرد أو الأفراد المشاهدون إزاحة بصرهم عن ما يجري. وفي العادة يتم تقييد الأفراد المشاهدون حتى يأخذ الإحساس بالضعف مدى مؤلم عليهم. إن الإغتصاب أمام العائلة يكون مصحوب بشيء من الدراما التعذيبية وزيادة جرعة الأذى مثل تمزيق ملابس الضحية، إهانتها لفظياً وممارسة الإستهزاء بها وبمن يشاهد من عائلتها. وهذا الأسلوب السادي قد يتم بقصد نشوة السادية ذاتها أو من أجل إجبار أفراد العائلة الإدلاء بمعلومات معينة. وقد

يُقام فعل الإغتصاب أمام فرد واحد من العائلة أو مجموعة من العائلة الواحدة. أو الأصدقاء أو فريق المقاومة الواحدة.

6) إغتصاب العائلة

هو إغتصاب أكثر من فرد من العائلة الواحدة، والقائم بالفعل أو القائمين بالفعل على دراية بهذه القرابة. فاغتصاب الزوجة والابنة حادث تمَّ تسجيله وكذلك اغتصاب الابن والابنة أو الزوجة والأخت أو الاختين معاً. وقد يتم اغتصاب العائلة أمام بعضها كما ذكرنا في الاغتصاب أمام العائلة أو بالتناوب في مكان آخر مثل غرفة أخرى أو سحب بالتناوب إلى المخفر أو المعتقل.

7) اغتصاب حيوان

ورد من شاهد عيان وجود حيوان أو حيوانات قد تم قتلها بعد القيام بممارسة الجنس معها. وتقول تلك الرواية أن حيوانات حديقة الحيوانات كانت الأكثر تعرضاً للأكل أو الإغتصاب معا. وتبقى الرواية على ذمة مَن روى ولكننا نوردها كنوع من الإغتصاب وإن كان المنطق النفسي لا يستبعد حدوث ذلك من قبل تركيبة نفسية بهذا الخلل المركب عند بعض مَن قام بالإغتصاب أو بالتعذيب بكل أشكاله حيث أنه على المستوى النفسي نجد أن هناك درجة من الخلل أو الاضطراب قد يصل لها الإنسان تجعل أي نمط سلوكي انحرافي آخر ممكن توقعه في هذه الشخصية يبقى الأمر هنا رواية قيلت والتحليل النفسي لها محتمل.

8) اغتصاب جثث

وردت كذلك أخبار عن وجود جثث عارية لكويتيات ولغير كويتيات في خنادق الجنود ولقد مضى عليها الموت من فترة مع وجود دلائل الإغتصاب. وهذه الرواية تجعلنا نصنف هذا الفعل باغتصاب جثث وهو إحدى الإنحرافات الجنسية المعروفة.

لكن الراوية المؤكدة التي قمت بسماعها من ضحية بنفسها هو ضربها لدرجة الإغماء ثم اكتشافها بعد الصحوة بأنه هناك اغتصاب جرى عليها. والمعاشرة مع إنسان في حالة لا وعي، من وجهة نظري العلمية، هي درجة من درجات الممارسة مع الجثث. كما إن ضحية أخرى ذكرت أعياءها من تكرار القيام بفعل الإغتصاب عليها والإستمرار بذلك وهي في حالة ضعف بدني وإعياء شديد لا تستطيع معه حتى تحريك يدها أو التنفس بشكل طبيعي هو الآخر يمكنني كمتخصصة جنسية من تصنيفه كنوع من أنواع معاشرة الجثث أو إغتصاب الجثث.

9) اغتصاب بدرجات العنف

وردت ذكر حالات اغتصاب فيها شيء من التودد والدعوة للإستمتاع. ورد ذكر طلب الجنس بأدب تم الولوج بأخذه عنوة بعد محاولة اعطاءه طواعية. وورد كذلك درجات مختلفة من العنف مصاحبة لفعل الإغتصاب. منها عنف لفظي متمثل بالشتم والسباب والإستهزاء بالشكل وبالشرف. ومنها عنف جسدي بصور عديدة كتطفئة سجائر في جسم الضحية، تمزيق الملابس، الصفع، الرفس، الضرب على الثدين والفرج، الطعن بسكين أو تشويه الجسد بآلة حادة. وقد يكون ممارسة العنف بعد، أثناء، أو قبل فعل الإغتصاب.

10) شكل الإغتصاب

الشكل العام للإغتصاب هو ممارسة الجنس من فرج المرأة إلا أنه وردت أشكال أخرى من الإيلاج مورست مع الضحايا رجال ونساء. منها الممارسة الشرجية للرجل والمرأة والممارسة عن طريق الفم. ورد ذكر وضع القضيب في الأذن أو على أجزاء مختلفة من الجسم والقذف عليها من باب السخرية والتهريج.

قصص الإغتصاب

إن الإستعراض العلمي لحالات الإغتصاب الكثيرة التي حدثت بوضعها تحت اسم حالة اغتصاب وذكر التفاصيل بشكل علمي بحت كأن نقول الحالة رقم أربعة تعرضت لإغتصاب من الفرج بواسطة أربع جنود في اليوم الفلاني والمكان الفلاني. إن هذا التوصيف العلمي لا يعطي الواقع الفعلي للحدث خاصة بالنسبة للضحية الذي تعرض للحادث. وقد يكون الأمر كذلك فيه بخساً كبيراً للتسجيل التاريخي لو عرضناه كما هو جائز بحدود المنطق الموضوعي للعلم.

إن الإغتصاب من الأحداث التي أؤمن بضرورة عرضها درامياً باستخدام ذات التفاصيل التي يذكرها من تعرض للإغتصاب. وفي كثير من الأحيان قد يجد الباحث من وصف حدث صورة أفضل في تصوير المخطط النفسي للقائم بفعل الإغتصاب. كما إن هذا الوصف يساعد في العلاج حيث أن اللفظ، الإحساس، وصياغة طرح الحدث كما حصل قد يجعل الباحث يضع يده ععلى النقطة الأكثر ألم في الحدث فيكون لديه نقطة انطلاق في العلاج أفضل لمساعدة المتعرض للإغتصاب. كما إنه قد أثبت نفسياً أن إعادة ذكر ما حدث يساعد على إخراج شحنة من التنفيس من صدر الضحية ويساعد في إدراك الفعل الذي يحدث مما يجعل الرواية جزءاً من العلاج.

إن السرد الدرامي له أثر كبير في وصف حجم الفعل. ولعل هذا السبب يدفع بأغلب بل في كل حالات الإغتصاب التي تصل للمحاكم (في الدول الغربية) بأن يقوم المحامي من طرف ضحية الإغتصاب بطلب منها أن تصف الحادث كما حدث لها، الكلمة والفعل وإحساس اللحظة المصاحبة للفعل. إن هذا الوصف يوصل للقاضي وللمحلفين بشاعة ما حصل ويلعب دوراً أساسي في استمالة رأيهم نحو إدانة الفاعل.

نحن هنا نسعى للطرح الدرامي من منطلق قناعة بأن يرى العالم حقيقة البشاعة التي جرت في الكويت. من منطلق حق التاريخ أن يسجل مرحلة وحشية قام بها فئة حسبوا على الإنسانية من فئة البشر ومن أجل وضع حقيقة في عيون فئة وقفت مع النظام البعثي العراقي من منطلق خوف أو مصلحة. وبالذات هذا الوصف الدرامي موجه أساس إلى فئة حسبت علينا نموذج يدعو للإسلام فصفقت لفعل الإحتلال وصفقت وبررت لحيثياته وافرازاته ومارست غض النظر. هذه الوثيقة في عيونهم وفي ضمائرهم المطلية بغطاء اسلامي.

وإن كان البعض قد ينحى موقع دفاعي ويرى بأننا نبالغ ونشوه. فإننا نؤكد بأننا نهجنا الموضوعية كأمانة علمية وتاريخية. ونحن لا نبالغ فتشوه صورتنا وشرفنا. فليس هناك في الإغتصاب فخر. بل إننا نضطر أن نعرض ما حدث لنا بوجع واقعة من باب قول الحق ومن باب حق التاريخ والإنسانية. وهناك حقيقة أكدتها أكثر من مرة من بداية هذا الكتاب أن كثيراً مما حدث لم يخبر عنه. وراح طي الكتمان ومات عن الذكر لكنه يعيش في صدور مَن تعرضوا له جرحاً نازفاً أبدياً لن تعود بعده الضحية طبيعية لا كأنثى أو كرجل.



ما يلي عرض روائي قمَت بتسجيله لضحية أو لشاهد عيان لفعل اغتصاب.

اغتصبني بدلاً منها

كانت مقيمة شريفة ككثير من الشرفاء. لها صداقات مع فئة تُعتبر ذات مركز وظيفي واجتماعي حساس وعالي في المجتمع الكويتي. تطوعت لحماية فيلا أحد الأصدقاء الذي لا يحتمل وضعه الوظيفي في ظرف الإحتلال بقاءه في مكانه. وكانت تحمي بعض الشخصيات بتسهيل حركة تنقلهم

وخلافه. في ذلك اليوم كان القدر بوجود إحدى بنات العائلات المستقصدة، المستهدفة من قبل النظام العراقي مع تلك المرأة العربية. كان وجود البنت مجرد خطوة انتقال من مكان لآخر. ولكن القدر جاء بجنود عراقيون يفتشون الفيلا وكانوا بعيون شرهة وغريزة تنضح وتريد إشباع بأي شكل. تقول، «كنت أرى في عيونهم رغبة اغتصابية حادثة لا محالة. فهذا الأمر لا يحتاج فطنة كبيرة وعرفت من حوارهم رغبتهم فيها وبدؤوا بالفعل التحرش بها. لحظتها رأيت في عيونها ذعراً ما رأيته قط في عيون إنسان. ماذا ستفعل هذه المسكينة بعد أن تغتصب سوف تلعن اللحظة التي جعلتها تنتمي لتلك العائلة. عودها الهش وروحها الرقيقة لن تكن قادرة على استيعاب الحدث بأنه فقط قضاء وقدر وفعل وحشي. بل ستنتهي، ستتدمر وستقاوم وتضرب قبل أن تغتصب. في لحظة في ثانية، في ومضة كان القرار أنا بدلاً منها. لا أدري كيف جائتني قدرة اتخاذ قرار من هذا النوع ولا أدري كيف بادرة بمساومته في أن أكون بدلاً منها. لكني فعلت. كانت دقائق على أرضية المطبخ وحوش تتناوب على انتهاك روحي وأنا مغمضة عيني غارقة في اللا شيء حتى انتهوا وخرجوا. وما انهرت إلا بعد أيام.

اغتصبوني 52 مرة

التقيت بها أثناء الإحتلال في حالة أو درجة من درجات التاتونيك كما نطلق عليها في علم النفس وهي حالة تخشب ينعزل صاحبها عن العالم المحيط به فلا يتفاعل معه. بعد فترة من العلاج ومن الحديث والحوار بدأت حالة التخشب لديها تخف قليلاً وبدأت استجابة تدريجية بتناول الطعام الذي يوضع في الفم والشراب ثم النظر إلى مَن يحدثها وبعدها بدأت شيئاً من التواصل اللفظي مع وجود درجة خفيفة من التخشب أشبه بحالة ذهول وسرحان. حتى جاءت لحظة الإنفجار المتوقعة وانهارت، بكت وضربت من حولها. وبعد أيام حكت ما حدث لها في المعتقل.

كانت قد أُخذت من الشارع، سحبت من سيارتها بدعوة الإشتباه بالسيارة ومن مخفر لآخر ومن معتقل لآخر. وجدت نفسها بعد فترة في غرفة صغيرة. من الضوء الذي كان يطل كانت تعرف أنها بقيت عشرة أيام. بدون أكل جيد أو شراب صحي لكن في وضع اغتصاب متكرر واحد يغتصب ويأتي بعد ساعة، نصف ساعة أو حتى دقائق مغتصب آخر. اثنين وخمسين عسكري اغتصبوها في عشرة أيام. كان الرقم مثيراً للفضول عندي لماذا اثنين وخمسين؟ كيف استطاعت أن تعدهم؟ وإذا كانت تبالغ فلماذا لم تقل خمسين؟ لماذا اثنين وخمسين؟ هكذا وبعد فترة عرفت منها حيث تقول «بعد الإغتصاب الثالث شعرت بأني سأفقد عقلي. إني سأموت من تكرار ذلك. كان هناك ألم شديد في جسدي وألم في روحي. وإلى متى سأبقى هنا وكيف ستكون نهايتي. أمور كثيرة جعلتني أشعر بأني سأفقد السيطرة على عقلي خاصة وأنا أتذكر خطابي الكثيرين والمعجبين في الجامعة. أنا جميلة وأعرف ذلك. لكنني تمنعت عن الكثيرين لأني أردت أن يكون هذا الجمال وهذه الروح لرجل واحد. أنا في الجامعة خسرت علاقة حب جميلة لأني أردت المحافظة على نفسي. والآن ها هو جمالي وروحي وعذريتي تغتصب من قبل وحوش أعداء. كل بكائي ورجائي ما كان يفيد والضرب الشديد الذي تلقيته من المغتصب الثاني عرفت أن مقاومتي ليست منها فائدة فلا حول لي ولا قوة ولا أحد يسمع صراخي ولا أهلي يدرون أين أنا. وهذا الإغتصاب يبدو بأنه سوف يستمر عليّ. لا أدري لماذا فكرت في أن أحصي عدد الذين يغتصبونني حتى لا أفكر بما أنا فيه. البعض كان يدخل ويغتصب ويخرج بصمت، البعض كان يشتم، البعض كان يريد حديث وكلام، البعض يطري على جمالي. وصدقيني المضحك أن البعض كان يعتذر ويخبرني بأني لو لم أكن جميلة لما جرى علي ما جرى. لم أكن أتفاعل ولا أتحدث كنت جامدة. أعدهم الواحد تلو الآخر. وكانوا بالضبط 52 واحد قاموا باغتصابي. لا أتذكر الوجوه بالضبط أدرك أن البعض كرر اغتصابي أكثر من مرة لا أدري فقط كنت أعد حتى لا أفقد عقلي».

طفل الزنزانة

كان في الحادية عشرة من عمره حين رأيته بعد التحرير مباشرة. ولكنه حين تعرض إلى ما تعرض له كان في العاشرة والنصف. طفل بريء، تمَّ اختطافه من بين يدي أمه بتهمة التحقيق في الكتابة على الجدران. وجدوه بعد ذلك باسبوعين يحوم في الشوارع. ومن لحظتها لا يريد أن يرى النور ولا يحتمل جرس الباب ولا يريد رؤية بدلة عسكرية. لقد وضع في زنزانة وتم اغتصابه بكشل متكرر من قبل سجانه. صغر سنه لا يمنع ادراكه بأن ما حدث له عار عليه كولد. لكنه كان يكرر وهو مختبىء تحت السرير «أنا لم أفعل شيء. كان الرجل العسكري يضربني ويجبرني على أمور قذرة». الطفل أُجبر على معاشرة في الشرج ولعق قضيب الرجل العسكري وتعرض إلى مقدار من السادية أثناء المعاشرة تمثل في حرق سجائر على قضيبه وعلى ظهره والمنطقة أسفل الظهر».

مزقوا حجابي وإحساسي

كان زوجي قد أُعتقل لا ندري لماذا ولكن الأرجح لأنه عسكري متقاعد. وربما أخبر عنه أحد ما. وزوجي كان مريض ويأخذ دواء بشكل مستمر. أخبروني الناس بأن بعض العسكريين حين تذهب لهم امرأة وتترجاهم فإنهم يشفعون لحالها وربما يطلقون سراح زوجها. وأنا بدوية بحجابي وغطاء رأسي ووجهي. حين دخلت عليهم وشرحت لهم الموقف وحالة زوجي الصحية وترجيتهم بحق الأخوة أدخلوني في غرفة حتى أنتظر قليلا. توقعت بأنهم سوف يدخلوني على زوجي بعد دقائق أو ينادوني. ولكني تفاجأت بثلاثة يدخلون علي ويتقدم أحدهم ويبدأ بسحب غطاء وجهي ورأسي. بدأت الصراخ والبكاء والتشفع بالشرف والشيمة العربية. ولم يأتني إلا صفعات متتالية على وجهي. كانت تردني أرضاً كلما حاولت الوقوف. وبدؤا باغتصابي وحين جاء دور الثالث كان هو الأكثر شراسة. كلهم كانوا يتضاحكون عليَّ لكنه نظر إلى المنطقة التناسلية وقال لأصحابه

وهو يستهزىء لقد ملؤتوها بالسائل لا مكان لمائي فيها. وبينما هو واقف فوقي يكمل سيجارته ويفتح بنطلونه وضع حذاءه العسكري على منطقة العانة وضغط بشدة فخرج صوت مني. وبدأ يضحك بشدة ويقول «الكويتيات يخرجن غازات من افراجهن». ثم ارتمى عليَّ وأطفأ السيجارة بفتحة الشرج واغتصبني وهو يضع يده على رقبتي بشكل يخنقني به حتى كدت أغيب عن الوعي.

المشلولة

حين جاءوا بي إلى المخفر بعد اعتقالي من المنزل بحجة أني فرد في المقاومة الكويتية بدأت بالقسم لهم إن ذلك لا يمكن أن يحدث. فأنا إنسانة مشلولة وبالكاد أعتمد على عجلات الكرسي الذي أجلس عليه. أحضروني في غرفة الضابط. وسألني لماذا تجلسين على هذا الكرسي؟ أخبرته لأني مشلولة. فبدأ بالضحك وقال هذه خدعة أنت تدعين أنك مشلولة. وأخذوا مني الكرسي وطرحوني على الأرض. وبدأوا بتعذيبي في أقدامي بالوخز وحرق السجائر حتى يتأكدوا إن كنت أشعر أم لا. إستمر ذلك أيام حتى أني تبولت على نفسي. حتى حضر أحدهم فهي غير مشلولة وبدأ بالفعل باغتصابي. وكنت أبكي وهو يضحك أثناء اغتصابي ويحدث أصحابه هل ترون هي غير مشلولة.

الآن أشعر بأنَّ روحي أصبحت مشلولة وليست فقط أقدامي.

الخدعة

هذه الحالة فقدت النطق هستيرياً لفترة دامت قرابة الشهر من هول الموقف الذي تعرضت له. تقول «كانت أول أيام الإحتلال وفي تلك الفترة كان الجميع قلق على الأسرى المعتلقين الذين أخذهم النظام العراقي إلى العراق. وكانت في تلك الفترة قد انتشرت بين الناس توزيع قوائم الأسرى.

كان لعائلتنا أسرى وكنا متلهفين لمعرفة إن كانوا أحياء. كان زوجي خارج الشقة خرج لقضاء أمراً ما. طرق الباب، نظرت من العين السرية ورأيت امرأة. وحين سألتها مَن تكون قالت بصوت كله ود أن لديها قائمة بأسماء الأسرى الكويتيين في السجون العراقية. لم أفكر في صوتها أو شكلها فلقد كان هاجس القلق على الأسرى أكبر. وفتحت الباب فإذا برجلين يقفان على جانب الباب ويجذباني من يدي. قاومت وحاولت الصراخ لكنني تلقيت ضرب شديد وكمموا فمي ولفوني ببطانية. وأعتقد بأنه تمَّ حملي إلى صندوق سيارة. وبعد ذلك حملت ووجدت نفسي حين أزالوا الغطاء في غرفة فيها اثنتين غيري في ملابسهن الداخلية مربوطتان على كراسي وقد ربط أفواههم كذلك. بدا عليهن الأعياء نتيجة الضرب وثقت في الكرسي أنا كذلك. وربط فمي وكان هناك مجموعة من الشباب العربي الذي يعيش بيننا بسرعة عرفت جنسيتهم من لهجتهم. وبدأوا بعد ذلك بضربنا نحن الثلاثة وبشتمنا ككويتيات وبإهانتنا وبالتبول علينا واغتصابنا بشكل متكرر. أيام ثم أخرجتنا مجموعة من الشباب الكويتي لا ندري كيف استدلت على مكاننا.

الجنود يتسلون

كنت متعلقة من ضمن مجموعة بتهمة مساعدة المقاومة الكويتية. في البداية كنا معاً خمسة نساء ثم فرقونا. كان حظي أن أكون في مكان أشبه بغرفة حارس لا أدري في أي منطقة من الكويت، فلقد دخلت هذا المكان مغمضة العينين وخرجت منه مغمضة العينين. كانوا يعطوني قدراً من الأكل والشرب ويسمحون لي بالذهاب للحمام. حتى جاءت تلك الليلة حين تغيرت مجموعة الجنود الموجودين بمجموعة أخرى بدأت بالشرب والسكر حتى ثملت. وثم جاءوا بمشروب فرفضت شربه فأصروا على ذلك وحين رفضت فتحوا فمي عنوةً وبدأوا بإدخال الشراب إلى فمي وكرروا ذلك. لكن الشراب لم يؤثر فيَّ لأني كنت أرجعه للخارج. ولكن ما آلمني هو

الضغط على فمي ورقبتي ورأسي لإجباري على تناول الخمر. وبعد أن شربوا حتى الثمالة جاءوا لي بعيون شرهة وبدأوا الثلاثة بمداعبتي. وحين بدأت بالصراخ أخرج أحدهم سكينة وقال إننا لا نريد إزعاج ولا صراخ يطير الخمر من رؤوسنا. وبدأوا بتخليع ملابسي وهم يضحكون بشدة ورائحتهم بشعة. الثلاثة مما بدأوا يعبثون بجسدي وبدأوا يتضاحكون ويتبارون في إمكانية أن ينتهوا مني مرة واحدة كلهم معاً. لا أدري ماذا كان يحدث في جسدي لكني أعرف في تلك اللحظة أن هناك ثلاثة وحوش بشرية تنهش بجسدي في وقتٍ واحد ويقومون بحركات تجعلهم يضحكون. واحد يغتصب من الأمام والثاني بطريقة بهلوانية يغتصب من الشرج ولثالث غرس سكين في رقبتي مهدداً إياي مجبراً عليَّ فتح فمي لممارسة الجنس في فمي. كانوا يضحكون وأنا أبكي وأرتجف وهم ماضيين فيما يفعلون حتى بدأت بالتقيأ الشديد تقيأت مرارة ودم وتوقفوا وهم يلعنوني لأني عكرت مزاجهم.

سلبوا رجولتي

بعد أن تمَّ إطلاق سراحه كأسير من الدفعات التي تمَّ تسريحها من الأسر بدأت المواجهة مع ما حدث. لعل نزعة البقاء هي التي أبقته حياً طوال فترة التعذيب التي جرت عليه. أما الآن فهو حر لكنه ليس حر، ليس رجل. إن كل ألوان التعذيب التي تعرض لها كانت تهون لولا تكرار الإغتصاب عليه كرجل. عاد من الأسر وهو ينظر لنفسه في المرآة وجه محروق جلد مشوه يد عوقت من الكهرباء وكله يهون لكني ما عدت رجل. أنا لست رجل لماذا لم أقاومهم حتى يقتلوني. لماذا تركتهم يغتصبوني ويسلبوا مني رجولتي. نعم ما كنت قادر من الضرب والتعذيب على مقاومتهم لكن يجب أن أقوم بشيء يدفعهم إلى قتلي. أنا الآن ميتاً. كيف سأكون رجل مع زوجتي. ولا بدَّ من الموت.

ابعدوا ولدي

وشى بها أحد الزملاء المتورطين بجريدة النداء. ولأنها صحفية كان عذر الدخول إليها سهلاً. خاصةً أنهم يعلمون بأنها تعيش وحدها مع ابنها البالغ اثني عشرة سنة. لم يكن هناك شيئاً يدينوها به. ولم تكن لديهم أوامر باعتقالها. ولكن في حالة الفوضى العامة كان كل ضابط ومجموعته يفعلوا ما شاءوا. تقول: حين دخول عليَّ كانوا يعرفون مَن أنا. وبدأوا بإصدار تهديدات عليَّ أن أقول ما أعرف وما كان لدي أن أقول ما أعرف. لأني لا أعرف شيئاً وبعدها عرفت أن هذا مجرد عذر واهي. بعدها بدأوا بسرقة الشقة بأمر من الضابط كالتلفزيون والفيديو وكمبيوتر ابني وألعابه كلها تحمل إلى الخارج. بعدها أخبرني بأنه يريد أن يمارس الجنس معي. المسألة ليست إختيارية. ولكنه أراد أن يطلب مني ذلك. ولم أوافق فأراده غصباً عني. ولكن ولدي كان واقف. هذا المسكين سوف يتعقد طوال عمره إن رأى ما سيحدث. فبدأت بالرجاء من الضابط بأن يبعد ولدي. يضعه في الغرفة الأخرى فلا أريده أن يرى أمه بهذا الوضع. ولكنه أشبه ما يكون قد عاند وحلا له أن يفعل ذلك أمام عيون ولدي. الألم الآن ليس ألمي، هو هذا الجرح الغائر في روح ولدي الذي رآني بصورة أبشع ما يمكن أن يتصورها طفلاً لأمه.

عرض خاص

كان قد تمَّ اعتقالي بسبب وجود منشور عندي في السيارة. أخذت إلى المخفر وتمَّ ضربي من قبل الجنود الموجودين في المخفر. وطبعاً من الأوراق التي معي من بطاقة مدنية وغيرها عرفوا عنواني. وذهبوا إلى أهلي هناك حيث كانت توجد خطيبتي معهم. وعرفوا أنها خطيبتي وأحضروها إلى المخفر وفي الليل كان الجميع سكارى وأنا وخطيبتي كنا جالسين نتحدث عن ما يمكن أن يحدث لنا. ودخلوا علينا فارتعدنا خائفين والتصقت خطيبتي بي. لكنهم

طمئنونا بأنهم لن يفعلوا بنا شيئاً ولكن هم يشعرون بالملل ويريدون عرض خاص. لم نفهم ما يريدون حتى كرروا ذلك. وأخرجهم أحدهم بغضب «عاشرها أمامنا». ولما صرخت مستحيل جاءني الرد. إذا لم تعاشرها أمامنا سنعاشرها أمامك. وصفق الآخرون لهذا الإقتراح. وأمام دموعي ودموع خطيبتي تتشفعني أن أفعلها ولا يفعلون هم. ولكني ما استطعت ما تحركت فيي شعرة ولا تحرك فيني نبض، لحمي لم يقف. لقد كان الموقف صعب. ويا هول ما حدث ربطوني وهم يضحكون. قالوا خذ درس في كيف تكون رجل. وقاموا بتكرار اغتصابها أمام عيني.

اخوي الحقني

أحضروني إلى غرفة كبيرة خالية عرفت أنها غرفة ألعاب رياضية في مدرسة. كانت هناك بعض الفرش الإسفنجية المغطاة بالنايلون وحصان خشبي وعارضة. أجلسوني على كرسي وربطوني من يدي ومن رجلي. ثم ربطوا فمي ببلاستر. بعد قليل رأيت مجموعة من البنات بملابسهن الداخلية لا أتذكر العدد بالضبط بين السبع والعشر. ثم ربطهن بخشبة العارضة ثم قام جندي بربط عيوني. عرفت فيما بعد أنهن كويتيات. حيث تحدثت معي واحدة ولأن فمي مقفل طلبت من أن أهز رأسي. سألتني أنتَ كويتي هززت رأسي بالإيجاب. وقالت ونحن كذلك ثم بدأت البنات بقراءة القرآن وطلب الرحمة والستر. ولكنها ثواني وبدأت أسمع صراخ. ليس فيه أدنى شك صراخ اغتصاب الواحدة تلو الأخرى. إنهرت وبدأت أهز الكرسي وأتحرك وتوالت عليَّ الرفسات الضاحكة. وما زال صوت واحدة يرن في أذني «أخوي الحقني». لا أدري مَن هي. ولا أدري ماذا حدث لهن بعد ذلك لكن تلك الصرخات ما زالت تطاردني وكأن مَن اغتُصبت بالفعل أختي.

التجربة الذاتية

في كتابات كثيرة عرضت التجربة الذاتية لكل مَن عايش الإحتلال سواء من معايشة فعلية في الكويت مع ما حدث أو معايشة ما حدث خارج الكويت. وهذا العرض الذي خرج غلب عليه الطابع والإنطباع أكثر من كونه وثيقة مسجلة. لكن حتى تلك الكتابات هي في حقيقة الأمر توثيق وجهة نظر عايشت حدث عظيم.

وإذا كان يصعب التفريق بين توثيق التعايش الفعلي وتوثيق الإنطباع ويصعب الحكم في أيهما موضوعي وأيهما الشخصي. فنحن من نوثق تجربتنا الفعلية مع جانب من جوانب الإحتلال لا نستطيع أن نكون موضوعين مئة في المئة. بالدرجة الأولى نحن بشر، والبشر يملكه عقله وقلبه. والقلب هذه العاطفة المتفاعلة مع ما يحدث. يصعب أحياناً الجزم بموضوعيتنا البحتة. ثم إننا وإن كنا متخصصين وفئة تحمل درجة علمية تعرف معنى الرقم والنسبة والطرح العلمي. ولكن نبقى مع كوننا علميين بشر. وهناك نقطة أشد هي أننا نوثق أمراً عايشنا أحداثه. انفعلنا مع الخطر والخوف من الموت والإعتقال والتعذيب.

نحن فئة عايشت الإحتلال بكل حيثياته واضطراباته النفسية. وهذه المواجهة يرفضها كثيراً بعضاً من الزملاء الذين عايشوا الإحتلال بكل ظروفه الصعبة وخرجوا منه بقدر من الإحتلال النفسي الطبيعي نتيجة الأزمة والظرف الحياتي آنذاك. وبدا على الكثير منهم الأعراض النفسية التي تظهر بعد الأزمات. لكنهم أبوا هذه المواجهة وألقوا بأنفسهم في دوامة الدور العلاجي ومارسوا دور المعالج وهم يعايشون جزئياً دور المريض.

كان لا بدَّ من فترة نقاهة كافية يخرج منها المختص الذي يريد التوثيق وهو على درجة من الثقة بأن حجم الموضوعية كبير فيما يدون.

مبدئياً نحن لسنا أبطال فالبطولة لها توصيف فيه تفاني يصل إلى حد

إشتهاء الموت. إنه استعداد فطري يتفاعل مع الموقف ويصل إلى هذه النتيجة المثالية الرائعة. ليس كل مَن قدم عمل في أثناء الإحتلال بطل. بل إن أغلبنا كنا نتصرف بحدود ما يطلبه الواجب منا كمواطنين.

كان بيننا أبطال أمر لا شك فيه. مسيرتهم الكفاحية الرائعة الجميلة مختلفة عن ما قدمه الباقون. وكان لنا الفخر بمعايشة بطولاتهم. لكننا، وأصر على القول، أغلبنا كان إنسان يؤدي واجبه بحذر وهو يفكر في ورحه وأرواح مَن حوله.

من البداية أدركتُ أن لي كغيري دور عام، ولي دور خاص فرضه تخصصي العلمي. كان الدور العام الذي كان يؤديه المتخصصون وغير المتخصصون هي تصليب عود الإنسان الكويتي روحاً وجسداً أمام ما هو جاري حوله. محاولة تثبيت الأقدام في الأرض والحث على البقاء. الإيمان بالله وبالحق وبأن الأرض عائدة. تكبير حجم الأمل والإستهزاء بالألم. الإيمان بأننا أقوى من سلاحهم ومن تعذيبهم. شحن الروح المعنوية وجعل نفسك نموذج لآخرين حولك، بأن تبلغ الخوف وتمارس حياتك اليومية وتتصرف حسب الموقف. وتحضر نفسك نفسياً لأصعب الظروف. كمتخصصين ندرك أن الأزمة خير معلم وإن نزعة البقاء قد تجعل من الإنسان العادي متخصص نفسي قادر على شحن الهمم ومواجهة الإشاعة وإشتهاء الموت. كان لنا بقدر ما أوتينا قدرة على الضحك في عز الألم. وقدرة على خلق روح حب واحدة. تجعل الأرجل تغرس في الأرض وترفض الخروج رغم الألغام والقتل والتعذيب والإغتصاب. كانت لدينا جميعاً قدرة على الشحن الجماعي الذي يجعل الإشاعة تكذب حتى لو كان بها قدراً من الحقيقة. كان إصرارنا على البقاء سيكولوجية عامة عظيمة كنا نلعبها على بعضنا البعض ونجحت فنجحنا في الدرس جميعاً.

لكن كان لبعضنا دور مختص بحكم تخصصه، موقعه، ظروفه، أو المهمة الموكولة له. تخصصي العلمي حدد دوري كما حدد دور كبير من المختصين. ففي الأزمة سخرنا علمنا جميعاً لكي نبقى. كان الطبيب والمهندس والكهربائي وغيرهم كل يدري بما يمكن أن يقدم من موقعه أو تخصصه للإنسان الموجود في الداخل. كمتخصصة نفسية في الحياة الجنسية كان لي دور فرضه التخصص العلمي والواجب الوطني.

1) **كيف تتجنب الإغتصاب**

من خلفيتي العلمية التاريخية بالإغتصاب، ومن المعلومات التي استقيتها من قراءاتي أعرف أن الحروب القائمة بين الشعوب ومن عمر الدنيا لا بدَّ أن يتخللها حوادث اغتصاب. وبالتالي فحتمية ما سيحدث كانت واردة. فالإغتصاب سلوك متوقع. وبالفعل جاءتنا الأخبار من الأيام الأولى بأحداث الإغتصاب التي تمت. ولعل رعب هتك العرض كان واقع رئيسي وراء خروج كثيرين. وإن كنت مؤمنة بأنها كانت حركة نفسية أرادها الإحتلال حتى يدفع الناس للخارج واستجاب لها كثيرون مِمَّن خرجوا على الشاشة في الحدود معلنين بالفعل نجاح هذه الخطة العراقية. ولكن الأمر ليس إشاعة بحتة أنه أمراً حدث وبولغ بحجمه في البداية لدفع الناس للخارج من منطلق السيطرة على مجموعة أقل من الكويتيين داخل أراضيهم. بعد ذلك بدأت قصص الإغتصاب والتحرش بالنساء في الشارع تبدو أكثر وضوحاً. ولأن الظرف غير طبيعي سعيت بمساعدة مجموعة كبيرة بإعطاء نصائح لتجنب الإغتصاب البعض منا مكتوب والبعض الآخر ينتقل شفوياً. وإن كان كثيرون التزموا في منازلهم بالفطرة خوفاً من ذلك. كانت هذه المعلومات تتمثل بعدم الخروج إلا عند الضرورة. عدم الخروج، بالذات للنساء لوحدهن. عدم السياقة أو المشي في أماكن غير مأهولة بالسكان. عدم جعل الشكل يوحي بأي جاذبية وهذا أمراً عملته الكويتيات بالفطرة فالحزن الذي كان يع

القلوب كان أكثر مصاب فكن كنساء أشبه ما نكون في حالة حداد. الكل التف بعباءة سوداء وغطاء رأس أسود وجوه الأغلبية ما زارها قلم كحل أو أحمر شفاه. حتى كانت الزينة بالخاتم في تلك الفترة عار على صاحبتها. والفئة القليلة الصغيرة التي كانت تتصرف بتلقائية وبسذاجة فتخرج على طبيعتها كنا نهمس في آذانها حتى في الأماكن العامة بأن هذا الشكل المقبول قد يعرضها للإغتصاب. إن العزوف عن الزينة بشكل عام عند المرأة الكويتية كان واضح وقد آثار تساؤل الجندي والمخابرات العراقية فلديهم تصور واضح عن مدى اهتمام المرأة الكويتية بشكلها. وهذا التساؤل والإستغراب كان يطرح علينا في الشارع من باب الفضول أو التحرش. حين ذهبت إلى مخفر السالمية لأخذ بطاقتي المدنية كرهينة حتى أحضر بطاقة السياقة التي كنت نسيتها سألني الضابط: «كل هذا شرف وعفة في الكويتيات. كنا نراكم في التلفزيون والشعر السارح». أخبرته أنه يقصد حفلات العيد الوطني وهؤلاء طالبات وحفل وطني وأمام الأهل والمسؤولين فنحن ليس لدينا فرق رقص نسائي في الكويت.

هذا الضابط وغيره كان يدرك أن عدم التزين احتجاج وعلامة حزن. لكنها في ذات الوقت كانت واقية من جعل المظهر العامل مشجع على الإغتصاب.

بدأ أمر عدم التزين أسهل الأمور. لكن أمر خروج الفتاة والمرأة كان هو الصعب. فلقد كان هناك خوفاً شديداً على الشباب والرجال من الخروج لأنهم مستهدفين في الإعتقال بدرجة أولى. ولم يكن أمامنا إلا نصيحة المرأة بالخروج عند الضرورة وبصحبة طفل أو كبير السن رجلاً أو امرأة. لكن ذلك أيضاً لم يكن يفلح دائماً ولكنه عنصر وقاية أفضل من خروج المرأة وحدها. كان هناك توجيه صعب ولكنه مثل الدواء المر لا بدَّ من شربه مع جمعية الإغتصاب في أمريكا كانت إحدى النتائج المعروفة أن المغتصب في

الغالب يأتي إلى عملية الإغتصاب وهو يعلم بأنه سيفعل ذلك ولن يوقفه شيء. وأي مقاومة من الضحية سوف تجلب لها أذى جسدي ولفظي وسيقوم بالإغتصاب. بل إن كثيراً من المغتصبين يرى في مقاومة الضحية عنصر مهم في إثارته الجنسية حتى أن البعض منهم يشجع الضحية على إبداء مقاومة ليلقي عليها قدراً من الأذى الجسدي. وكذلك يرى التوصيف العنفي للإغتصاب بأن كثير من المغتصبين لا ينتشي جنسياً إلا بفعل ذلك الصراخ الصادر من الضحية. بل إن كثيراً منهم يهدف للإغتصاب من أجل نشوة التعذيب والسيطرة على إنسان ضعيف. في أيام التدريب والدراسة تعلمنا كمتدربات للوقاية من الإغتصاب أن نأمر الضيحة بالاستسلام وعدم المقاومة حين يكون الوضع حسب تقديراتها حادث ولا مفر منه. من أجل أن تكون نسبة الأذى أقل ما يمكن وإن كان أذى الإغتصاب النفسي هو الأذى الأكبر. لكن النصيحة العلمية من مختصة كانت تواجه بروح المرأة العربية ذات الشيمة التي ترى الموت ضرباً وهي تقاوم أسهل عليها من إقامة الأمر عليها وهي مستسلمة. ولعل أكبر مفاجأة أذهلتني في فترة الإحتلال وجود مراهقات صغيرات في عمر الورد لو رأوا عصفوراً مجروح لأغمى عليهن. ولكنهن مدركات حجم هذا الفعل إن وقع. كانت كل واحدة معلقة في صدرها موس حلاقة ملفوف بقطعة قماش وأقسمت أن كان الإغتصاب سيحدث فبيدنا نقطع أرقابنا وننتحر.

2) منشورات

كانت الكلمة المكتوبة في فترة الإحتلال سلاح أدرك النظام العراقي مدى فاعلتيه. وكان عقاب من يمسك وبيده منشور من الإعدام. ولكن علم كثيرين من الذين ينتمون إلى ما يمكن أن نطلق عليه المقاومة الإعلامية تأثير تلك الكلمة المكتوبة على الإنسان الراضخ تحت يد الإحتلال وعلى الجندي العراقي وكلا عمل حسب قدرته فرادي وجماعات.

لمسنا خاصة في الأيام الأولى أن كثيراً من تلك الأيدان النحيلة والوجوه الذابلة المرتدية بدلة عسكرية وتحمل سلاح في الشوارع هي في الواقع فئة مدفوعة إلى هذا الإحتلال لكنها مسلوبة الإرادة مرعوبة من ظلها. تلك الأفراد كلنا سمعنا من بعضهم كلمة اعتذار وجملة تبرير ورغبة واضحة في الفرار. ولكن أين المفر، فإن لجئوا للكويتي سيقتلهم ومعه حق فهم يمثلون العدو، وإن ثاروا على النظام سيقتلهم. كانت في الأيام الأولى تطل علنا من داخل تلك البدل بقايا انسان يريد الرفض وغير قادر. جندي جاء منهكاً من حرب حرمته من عائلته من حضن أمه وفراش زوجته ومجالسة أطفاله.

ورأينا بفطرة الإنسان، الشرقي أن تلعب مع الجنود لعبة نفسية تضرب فيها على وتر الشرف لعلنا نكسبه. باستصراخ نزعة الشرف لديه بمنشورات كان بعض الشباب يلقيها في عتمة الليل بكم يضمن وصول الورقة إلى يد الجندي. كلها عبارات نستصرخ فيها شهامته كأخ وشريف بأن لا يتعدى على شرفنا كأخوات وأمهات وتذكره بأن في العراق له أخت مثلها وأم مثلنا فهل يقبلها على نفسه.

البعض كان أكثر شجعة إذ كان يلقي هذه الوريقات مع دشداشة وغترة تسهل هروب الجندي العراقي. وبالفعل كان هناك شيئاً من النجاح فكثيرون هربوا إلى الحدود السعودية، إلى بعض الأسر الكويتية، وكثيرون لقوا مصرعهم على أيادي المخابرات في محاولات هروب فشلت. بعد فترة تغيرت تلك الوجوه الطيبة وامتلأ الشارع بفئة يبدو عليها أمران الجشع والشراسة. عرفنا فيما بعد أنهم ليس ذلك الجندي المتعب أو فرد الجيش الشعبي المقهور إنهم كلاب النظام البعثي وفرق عربية أكثر شراسة وحقد على الإنسان الكويتي. وهؤلاء لا يوجد لديهم قلب يستقبل نخوة ولا ضمير يسمع صرخة. وباتت تلك الطريقة غير مجدية بعد ذلك.

في ذات الوقت كان هناك أيضاً المنشور المطبوع والمقصود وصونه للنظام

العراقي. وهذا المنشور كانت له جهات متعددة حيث أن الرعب الذي كان يسيطر على الأجواء ما كان ليسمع بحرية التواصل متعددة حيث أن الرعب الذي كان يسيطر على الأجواء ما كان ليسمح بحرية التواصل مع كل الجماعات التي تؤدي نشاط إعلامي. وبالتالي فكثيراً من المنشورات كان بعض مَن يخرجها يجهل البعض الآخر. ولكنها في النهاية كانت تؤدي وظيفة واحدة. ولعل حسن تصرف البعض بأخذ لآلات السحب والتصوير من المدارس قبل سرقتها من قبل النظام العراقي سهل كثيراً حكاية الإستنساخ والتصوير. وإن كانت قوة الإرادة والإندفاع بالعمل جعل البعض فرادي وجماعات يقوم بعملية نسخ يدوي ولساعات من أجل إخراج منشور يوزع.

كانت هناك قناعة لديَّ بأن التعامل السيكولوجي مع المعلومة المدونة في المنشور ضرورة لأجل أن يؤدي دور فعال. وبالتالي هناك سعي لطرح بعض السيكولوجيات الخاصة بالعراق بمنشور إعتقدت لحظتها بأنه مفيد للإنسان الكويتي تحت الإحتلال. وللعراقي جندي أو إنسان عادي. وبدأنا بكتابة سلسلة عن سيكولوجية الطاعة عند العراقيين، سيكولوجية المرأة العراقية بلا رجل، الإعتداء على الشرف وعقابة الديني والدنيوي على الإنسان. وكيف أن مَن يعتدي على حرمة الآخرين يتم الإعتداء على حرماته. إن النسا في تلك الفترة رغم حذرهم الشديد إلا أن حدة الحدث كانت تجعل البعض يكشف أسراره أو أسرار غيره بصفاء نية ومن خلال محادثة تلفونية مثلا. أنا شخصياً لزمت حذر شديد بحيث كنت أتعامل فقط مع شخصين كلا يمثل جهة أو خلية مختلفة تعمل بشرط ألا يطرح اسمي.

في البداية كانت تلك الكتابات يطبعها زوجي بالكمبيوتر وتسلم مجهولة الهوية. ولكن حين تعطل الكمبيوتر لم يكن بدا من خط اليد. ومن ضمن ما تمت كتابته سلسلة عن سيكولوجية صدام حسين وبالذات تحليل اختلال مفهوم الشرف الذي صبغه على الجيش العراقي من منطلق

اختلال الشرف عنده في تربيته. وبالذات القاء الضوء على تعدد الزيجات في حياة أمه وتورم عقدة أوديب عنده. وهذا الموضوع أجزيناه شرحاً في كتاب «الدرس الأول ... رؤية نفسية لأزمة الثاني من أغسطس». لكن هذه الأوراق الأخيرة شاءت الأقدار أن تقع في يدهم ويذهب بها أبرياء أعزاء ما زلنا نجهل مصيرهم وإن كان من حضر التحقيق بشأن هذه الأوراق يؤكد بأنها أحدثت في نفوس مسؤوليهم أثراً سيئا.

بعد فترة وجدنا أن خسارة الروح أغلى من أي تأثير يصل. ووقف القلم حزناً على مَن راح.

3) حالات الإغتصاب

أ) أثناء الإحتلال

كان الإغتصاب رعب عام يسيطر على الجميع أثناء الإحتلال. ولم يكن الموت هو ما يخيف. ما زلت أذكر كلام أحد الغائبين الأعزاء والذي ما زال في يد العدو العراقي لهذه اللحظة حين قال وهو يعلم بأن نشاطه مع مجموعة الفنانين المرابطين كفيل بإعدامه لو تمَّ القبض عليه: «أنا يا فوزية لا أخاف الموت. فلو كانوا هؤلاء بشر يؤمنون برصاصة في الرأس أو القلب كعقاب لهان الأمر. لكنني لا أحتمل ألم سحب رجولتي أو خلع أظافري. وكل تلك العذابات التدريجية التي تمارس قبل الموت».

لكن الإحتياط لم يكن يكفي وحده لإيقاف حوادث الإغتصاب الجارية في المعتقلات وفي المخافر والمنازل وفي بر الكويت.

بدأت بعد فترة وجيزة من الإحتلال بتلقي مكالمات من بنات وشباب لا أعرفهم. مكالمات مجهولة تطلب بعضها النصيحة النفسية. والبعض يريد

فقط أن يبكي ويقول ما حدث. وبعضها يطلب بحكم معرفتي بهذه الأمور اسم دكتور قادر على المساعدة في مثل هذه الظروف. مكالمات يقول أصحابها بأنهم تعرضوا لإغتصاب أو للتحرش. والبعض منها يقول لديه إنسان أو إنسانة تعرض لإغتصاب أو تعذيب جنسي. ناهيك عن التحذيرات من إحتمال وجود كمين إلا أني وفي حساباتي إن هذا الإنسان الذي أمسك بدليل التلفون وأخرج الرقم لا بدَّ أن يكون عالم بأن هذه المتخصصة قد تعطي مساعدة. رغبة الحياة ورغبة المساعدة والواجب انا يتطلبون قدراً من الحيطة مع إعطاء المساعدة. لقد كنا نعطي النصيحة الهادئة عبر الأسلاك والنصح بزيادة طبيب أو طبيبة ذات ثقة في مستشفى أو مستوصف. وهناك أمراً كنا نشدد عليه هو أخذ رقم تليفون الضحية ورد المكالمة بعد ترتيب موعد فحص مع طبيب نثق به. لكن الضحية تريد أن تتحدث، تبكي، تنفس عن طريق التليفون وهذا بحد ذاته خطر. ولأن الوضع آنذاك يحتاج حيطة وحذر كبيرين كانت خطوة أخذ التليفون والعنوان والزيارات الخاصة بعد التأكد بأن هذا الإسم والعنوان نفسه في دفتر التليفونات ولأسرة كويتية. كثيرات لم يردن زيادة لأن ما حدث لهن قد حدث بدون علم الأهل. ولا تريد أن يعلم به أحد. اعتقالها وما حدث به ترى أنه عار أن تشيعه أو أنها خائفة على قلب أبوها أو عقل أمها من الإنهيار في مواجهة حقيقة ما حدث. كثيرات فضلن السكوت والموت والبقاء مجهولات. ولم يكن باليد، إلا الاستسلام لرغبتهن وإعطاء تعليمات نفسية من خلال الهاتف.

كانت هناك بعض المكالمات الباكية أو المتباكية أو المطردة بالشرح أو ذات نبرة البرود من تحكي عن تجربة اغتصاب أو تعذيب جنسي من خلال الهاتف. كان في تلك الأصوات شيئاً ما يجعل ضوء الكذب التخصصي في ذهني يضيء. كان التفاعل واجب ولكن بحدود.

على المستوى النفسي فإن فترات الإضطراب النفسي الشديد التي تطرأ

على الإنسان في الأزمات أو حتى بعد زوال الأزمات قد تخلق فئة «تتضاحى» أو تدعي بأنها ضحية أو كما يطلق عليها Victimization. وهذه الفئة تريد لفت الإنتباه لها والتعاطف مع التوتر الذي تعيشه بإدعاء أمراً مهول حدث لها. وهل هناك أكثر هولاً من حدث الإغتصاب.

البعض قد يأتي صوته فاتراً بارداً في شرح ما حدث له. ولكن فتور الصوت قد لا يعني الكذب ولكنه يعطي نموذج بتجمد المشاعر من هول صدمة الإغتصاب. فكما أن هناك فئة منهارة في شرح ما حدث توجد فئة تشرح بهدوء ما حدث لها وتنهار طمأنة وتأهيل نفس عبر الهاتف تعطى. كانت كذلك هناك فئة من استطاعت التحامل على نفسها والقدوم شخصياً لي أو مَن سمحت بزيارة لها وهي عبارة عن ست حالات فقط. الأغلبية رأت بأن الحديث يكفي طالما لم يحدث حمل. والحمل كان في تلك الفترة هو المهم الأول بعد حدث الإغتصاب. إن القلق القاتل في انتظار موعد الحيض القادم كان هو العذاب الأكبر الأطول. وفرحة ضحية الإغتصاب بالحيض كانت لا توصف ويسبقها نذور وتوسلات ربانية كثيرة. لكن المعضلة الحقيقية الفعلية هو وجود حالة حمل.

كانت هناك صعوبة بإحداث الإجهاض في ظروف الإحتلال. الأطباء كانوا شديد الحذر من أي فعل قد يجر عقاب النظام. وكان يكفي الشرفاء منهم كويتيين وغير كويتيين خطر العمل الروتيني في تلك الظروف. إلا أن المساعدة اللازمة كانت تؤدي بشكل أو بآخر بظروف مدروسة طبياً وشرعياً مراعيةً وبالدرجة الأولى ظرف الإغتصاب تحت الإحتلال.

البعض من الأطباء كان يتصارع بين الخوف من رجال المخابرات الموجودين في المستشفى أو المركز الصحي، وبين الخوف الديني من حكاية الإجهاض المحرمة، وبين خوف إذاء الضحية بحدوث مضاعفات مثل نزيف الدم. أحد الأطباء كان له شرط في إجراء الإجهاض هو أن تقسم

الضحية الحامل على القرآن بأنها اغتُصبت. ورغم أنه موضعياً قد يكون ذلك حق له خاصة أنه وضع هذا الشرط أساسياً وضرورياً لحالات الإغتصاب الغير كويتية إلا أن سخونة الإحداث جعلتنا لا نتقبل رأيه في تلك الأوقات الحرجة.

وللأمانة التوثيقية نذكر أن بعض الأطباء الغير كويتيين رأى في ظرف الإحتلال الإذلالي للكويتيين ورأى في ظروف حمل الإغتصاب الأشد صعوبة والذي تسير به الضحية نحو الخطر كلما تقدم الوقت رأى في تلك الظروف فرصة للغنى جيدة وبعيداً عن الإنسانية أوالمهنة العظيمة والقسم طبي. كان البعض يمارس الإبتزاز في تلك الظروف. أحد الأطباء طلب ألف دينار كويتي ترقيم قديم. وفي تلك الظروف كان صعب توفير هذا المبلغ فالترقيم القديم أغلبه قد راح من بين يدي الناس لأجل العيش وما سمح لهم أخذه من البنوك أو من التداول هو ترقيم جديد أعلنت الحكومة في المنفى أنه قد تمَّ الغاءه وهذا الإنسان بدون شك قد درس احتمال عودة الكويت وعدم بقاءه فأراد هذا الغناء على حساب كل الظروف.

أحد المصاعب التي كانت تواجهنا أن الضحية قد لا تكون متفاعلة معك مباشرة. هناك وسيط أو إثنان وحتى نصل إلى اتفاق يعني استهلاك للوقت وتطور الحمل. أحياناً كان يتم الأمر بتفاني ويجمع المبلغ ببيع بعض الممتلكات مثل السيارة أو الفيديو والتلفزيون على أدنى تقدير.

ومن الأساس كانت فكرة الذهاب إلى طبيب غير كويتي في تلك الفترة من قبل الحامل أو أي مريضة أخرى أمراً يمارس بكثير من الحذر الشديد. فلقد وردت حالات كان يتم اغتصاب أو تحرش بالنساء في العيادة من بعض أطباء المخابرات أو أطباء غير كويتيين.

كان الحل الأمثل هو ترحيل حالات الإغتصاب الحوامل إلى خارج الكويت المحتلة لإجراء الإجهاض المبكر بظروف أكثر صحة وسلامة لِمَن

تسمح له ظروفه بالسفر. وبطبيعة الحال كانت هناك حالات غير قادرة على السفر، بسبب ظروف تتعلق بأهلها. خاصةً الحالات التي أصرت على عدم إعلام أهلها بما حدث. وحالات منعت من السفر كغيرها وأعيدت من الحدود. وكما إن هناك حالات اغتصاب حدثت فيما قبل التحرير بفترة وكانت ظروف الخروج من الكويت مستحيلة آنذاك.

لقائي مع بعض الحالات كان يتطلب قدراً من السرية حتى بعد التحرير. وللأمانة فلقد اضطررت تحت رغبة البعض حتى من عدم ذكر قصصهن ولو كان الذكر بوضع القصة مجهول شخصية صاحبتها. وكان لهم ما أرادوا وهذا ما يجعلني أؤكد أن ليس كل ما دون هو كل الحقيقة. والحقيقة أن روح التكاتف التي تميز بها الإنسان الكويتي كانت في أوجها. ما كان أحدنا يعمل وحده، بل إنك حين تجد إنسان أو إنسانة في مأزق تجد حولك كثرة ترغب في المساعدة وتسهيل المهمة بأي صورة. وللأمانة هناك أشخاص عملوا معي وكانوا يمثلون عون جيد في حل ومساعدة ضحايا الإغتصاب ونشر معلومات الوقاية منه. وبطبيعة الحال نقول هناك فئات وجماعات أخرى تقوم بدور مشابه.

ولعل صورة التكاتف الأعظم تجلت بوجود مجموعة من الشباب الكويتي الذي تطوع بالزواج من الكويتيات المتعرضات لإغتصاب نتج عنه أم لم ينتج. وهذه الروح ما كانت انفعال لحظة الإحتلال بل بذات الروح جاءت الرغبة عند الكثيرين بعد التحرير.

وللأمانة التوثيقية أقول إني تلقيت بعد التحرير رسائل ومكالمات من دول عربية ورجال عرب ومسلمون ممَن يرغب في الزواج من ضحية كويتية. كما تلقيتُ عرض من جهات وأفراد أمريكيين ومن جمعيات أجنبية كثيرة ومن وفود رسمية مبعوثة من قبل سفاراتها مثل السفارة الألمانية. لكن بطبيعة الحال بعد التحرير كان الأمر مختلف.

ب) بعد التحرير

بعد التحرير كانت هناك قضية لحظية عاجلة تستلزم قرار وخطوة سريعة هي التعامل الصحيح مع حالات الحمل الموجودة. الحق يُقال أن من استطاعة وزارة الصحة التوصل معهم تصرفت تجاههم بشكل سليم إذا كان الوضع الصحي يسمح بالإجهاض. وبسرية تامة مع الفئة المتأخرة بالحمل والتي كانت مؤهلة للإنجاب. وكانت هناك ترتيبات بتحويل الطفل بعد أخذ رغبة المرأة الحامل إلى دور الرعاية الإجتماعية وهذه خطوة إنسانية رائعة فهذا الطفل هو الآخر ضحية.

إن معرفة الرأي الديني في هذا المجتمع المسلم وبقضية حساسة مثل الإجهاض أمراً كان لا بدَّ منه. ولعل رأي دكتور مثل الدكتور خالد المذكور الحائز على ثقة عامة بما يدلي من رأي ديني كان بالنسبة لي شخصياً أمراً أوقفني ولفترة. فما قاله الدكتور المذكور ساعتها بشأن الإجهاض هو رأي إسلامي صحيح وصرف. لكنه في اعتقادي هو رأي لم يؤخذ به اعتبار ظرف الحمل القائم على ضحية بظروف تعذيبية ومن قبل عدو. البعض الملتزم راعى مدة الحمل كما يراها الدين التي صرح بها الدكتور المذكور. البعض الآخر إتخذ قراره لوحده وحسم الأمر فقط من وجهة نظر طبية معتمداً على مدى الخطر الصحي على الضحية من وجهة نظر طبية.

ثم انفتح باب آخر يرى حق الطفل المولود بالرضاعة وبالحضانة وهلما جرا. الحقيقة إنني رغم ضرورة سماع وجهة النظر الدينية إلا أنها في تلك الفترة الحرجة خلقت عند بعض ضحايا الإغتصاب شوشرة في اتخاذ القرار. إضافةً إلى الشوشرة النفسية والإضطراب العام الذي تعاني منه مما أخر حالة الحمل إلى درجة متأخرة يصعب معها الإجهاض. ودخلت إحدى الضحايا التي كنت إعالجها بدوامة عقاب الله كحرمان الطفل من الرضاعة ومعايشة مركب نفسي أكبر تعقيد في القيام بدور أمومة مكروه يذكرها كل لحظة بالإغتصاب.

كما سبق القول الصحافة العالمية كانت شرهة لتدوين حوادث الإغتصاب بالذات. ووجود جو التكتم الشعبي والرسمي وجعلنا كفئة مختصة هدف للسؤال. رأي الشخصي كان للمسؤولين من البداية بضرورة خروج رد رسمي وعدم ترك الأمور يبتدعها عقل صحفي أو يشوهها مدعي تجربة. لكن الصمت الطويل أدى ببعض الصحفيين العرب والأجانب ليضعوا بعض الحقائق التي قلناها بزيادات من ما سمعوا وأضافوا على لساننا كمتخصصين عشنا تلك الظروف وعايشنا حالات إغتصاب وكان الإسم العلمي والتخصصي كفيل بخلق ثقة وثقل لما هو مدون تحته حتى كان الرد النهائي الرسمي على لسان وزير الصحة.

بقيت حقيقة مرة بشأن حالات الحمل المتأخر لغير الكويتيات. فقانون دور الرعاية في قسم دار الطفولة يتولى أمر الطفل مجهول الأبوين أو في ظروف الكويتيات المغتصبات. أما ولادة طفل من غير كويتية في تلك الفترة فلقد خلق مشكلة إنسانية في ضرورة احتفاظ الأم بالطفل وإن كانت هناك مساعدة لها حتى تتم ولادتها.

العلاج النفس لحالات التعذيب الجنسي والإغتصاب

لقد تمّ إعطاء العلاج والإستشارة النفسية اللازمة لضحايا الحرب المعايشة من اضطراب نفسي نتيجة الإحتلال من ثلاث جهات أساسية:

أ) الفريق النفسي الطبي في الجمعية الكويتية للدفاع عن ضحايا الحرب

بعد التحرير مباشرة قمت كمعالجة نفسية والدكتور طالب عبد الأمير (طبيب عام) بتأسيس الفريق النفسي الطبي المنطلق من لجنة مناهضة التعذيب في الجمعية الكويتية للدفاع عن ضحايا الحرب. ثم انضم الينا بعد ذلك زملاء آخرون. كان الفريق يقدم مساعدة طبية ونفسية ويتعاون مع جهات رسمية أخرى كالمستشفيات المتخصصة طبياً مثل الطب النفسي حين يستلزم إقامة الحالة فيها أو يتطلب وضع الحالة العقاقير اللازمة لبعض الحالات النفسية.

لكن بقي العمل يسير بجهود تطوعية نظراً لعدم وجود أي مساندة رسمية له.

ب) مستشفى الطب النفسي

استقبلنا بعض الحالات في العلاج في مستشفى الطب النفسي. الذهاب للطب النفسي كان بالدرجة الأولى لإعتباره جهة رسمية قادرة على إعطاء ورقة رسمية للمراجعة وتوفير الدواء. لكن بقيت تلك الوصمة القديمة حاجز دون حضور الكثيرين للعلاج في الطب النفسي.

ج) مركز الرقعي لعلاج ضحايا الحرب

حين دعونا لتأسيس مركز الرقعي كان هناك عوامل جديدة بخلق روح تشجع على بذلك جهد لتأسيس مركز علاجي قوي. منها:

* الحاجة الفعلية لمركز رسمي يقوم بالعلاج ويبذل فيه مادة كفيلة

بجعله مركز يجذب الضحايا خاصةً أن جمعية ضحايا الحرب لا تحمل صفة رسمية والطب النفسي ما زال يعاني من فكرة نفور الناس منه مبنى وسمعة.

* الوعد بجعله مستقلاً عن الطب النفسي إلا إدارياً أو شبه إدارياً.

* الوعد بجعله مركز حضاري لا في الديكور والمبنى فقط ولكن في روح العلاج والتنظيم المهني.

كل شيء بدا في أوله على صيغة «كما ترين»، «على أمرك». ولكن ما استمر الحال طويلاً ونحن في طور التأسيس. وقررت تلك قافلة أعرف طريقها جيداً من خبرة الطب النفس. المركز أدى دور، ولكنه ليس بحجم ما كان متوقع. وليس بحجم ما صرف عليه. ويعود ذلك للأسباب التالية:

* كان ملحق للطلب النفسي إدارياً ومهنياً. وبالتالي حمل رغم جماله الشكلي كل روح الطب النفسي معه. وهذا أمر توقعناه كمتخصصين وأدركه الناس بتلقائية بعد ذلك.

* في البداية لم يعطي الإعلام الكافي الصحيح عن دور المركز وماذا يمكن أن يقدم. وارتأت الإدارة العمل بصمت واتباع اسلوب الناس سوف تعلم. وبعد اتضاح قلة المراجعين بدأت الحملة الصحفية بصورة ليست مدروسة مثل إظهار نماذج تقوم بالعلاج منذ سنوات ولكثيرين موقف منها.

* الاعتماد على الخبرة الأجنبية التي جاءت للتطوع فأصبحت موظفة. وحسب معايشتي فإنه تلك الخبرة الأجنبية في مجال ضحايا الحرب لم تهتم بالفعل الإستفادة من خبرتها كما يجب لأسباب عديدة على رأسها ضعف اللغة الإنجليزية عند بعض الخبراء وعند أغلب القائمين بالعلاج وعند ضحايا الحرب بالذات. وإن كان الرقم الدفاعي الذي يعرضه مركز الرقعي عند عدد المراجعين قابل لنقاش علمي طويل.

****

وإذا كان ضحايا الحرب المعانية من اضطرابات نفسية عامة قد عانت من التشتت والإنتقال بين هذه الجهات الثلاث وغيرها فإن حظ ضحايا التعذيب الجنسي كالإغتصاب كان أسوأ.

إن فضول المختصين قد لا يختلف كثيراً عن أي فضول آخر بشأن التعذيب الجنسي والإغتصاب. الكل كان يريد أن يتخاطف حالات التعذيب الجنسي وحالات الإغتصاب. وإذا كانت هناك بالفعل نية مساعدة عند البعض إلا أن البعض كذلك أراد مادة تدخل في سجله التجريبي أو العلمي بغض النظر عن قدراته العلاجية. على المستوى المهني أغلبنا كمتخصصين نفسين مؤهلين لعلاج الإضطرابات النفسية العامة. لكن هناك بعض الإضطرابات تحتاج متخصصين وإلا فإن بعض الإجتهاد التلقائية قد يؤدي دور عكسي. وهذا أمر عانينا منه، فمثلاً متخصصين أطفال يريدون الخوض في علاج رجل متعصب وهم لا يملكون حتى خبرة التعامل مع الأنا الذكورية كأساس.

حتى بعد التحرير، هناك كثيرون وكثيرات ما زالوا رافضون لأي جهة تتعامل مع ما حدث لهم بشكل التواجد في جو متخصص وتفضل جلسة بعيدة وسرية من كل تلك الأجواء من منطلق رغبة السرية التامة بها كحالة ومن منطلق عدم الثقة بأي جهة.

كثيراً من الخطأ حدث وما زال يحدث لأننا نندفع أحياناً كمعالجين بواعز النية الصافية برغبة المساعدة، بالفضول، بالغيرة أو بجهل أو تجاهل ضرورة التخصص إلى ممارسة علاج ما لسنا نجيد به علاج. هذا إذا تجاهلنا حقيقة أكيدة أنه ليس كل مَن يحمل درجة علمية في علم النفس معالج. وبحدود معلوماتي أن مَن يحمل لقب معالج نفسي رسمياً في الكويت فقط ثلاثة. الحقيقة إن انطباعاتي هذه كانت حتى عام 1992وأتمنى أن تكون المسارات العلاجية قد تحسنت بعد ذلك.

الفصل الثاني

القائم بالتعذيب

التعذيب وظيفة قديمة

العنف جزء من شخصية الإنسان. ولعله يكفي أن يكون في تركيبة الإنسان منذ وجوده شر وخير حتى نصل للنتيجة الحتمية وهي أن هذا الشر الذي يمثل جزء من الإنسان قابل لأن يصدر على شكل عنف.

إن الإطلاع على تاريخ الإنسان يؤكد أنه مخلوق شرير بقدر ما هو مخلوق طيب. إن قصص الشر ولتي يُعتبر العنف أحد إنعكاساتها تجعلنا ندرك أن السبب الأول في ظاهرة العنف الإنساني هي اختلاف المصلحة ابتداءً من قصة قتال الأخوين هابيل وقابيل وانتهاءً باحتلال الكويت من قبل العراق كحدث يهمنا. فحين تختلف المصالح وتتضارب يسعى الإنسان للعنف حتى يجعل الأمور تسير كما يريد. بالطبع هناك أسباب للعنف أخرى غير إختلاف المصالح مثل العنف وليد الصدفة أو العنف وليد الخلل النفسي ولكنها أسباب تأتي بعد سبب إختلاف المصالح.

وإذا كان البعض يعتقد أن العنف سمة العصر الحديث فإن العصور التي قبلنا ما كانت قط منزهة وما كان الإنسان خير فقط. وإن أردنا الإنصاف نقول أن ما جعل العنف في هذا الزمن جزء من حياتنا اليومية هو عوامل عديدة منها:

العامل الأول يعود لحرية التعبير عند الإنسان. إننا أصبحنا نسمي العنف عنفاً لفظياً مطلقاً صريحا. في حين أن كثيراً من صور العنف في الأزمان

الغابرة كانت تراه اسلوب عقاب مقبول. وإن كان الأمر لا يختلف كثيراً حالياً حيث ما زالت كثيراً من الأنظمة أو المنظمات الدينية والسياسية تعطي للعنف صفة تبرير.

لكن الوضع في السابق كان غير قابل للنقاش. أما في الوقت الحالي فنقاش العنف وتحليله يعرض بشكل أكثر صراحة والرأي فيه يخرج عاريا.

العامل الثاني أن العنف أصبح سمة العصر نتيجة تشابك المصالح بشكل أكبر. فمصالح الدول والمنظمات الدينية والسياسية والفكرية وتشابك المصالح الفردية أصبحت أوسع وأكثر تعقيد. وأمام ذلك التشابك أصبحت مساحة العنف كبيرة كنتيجة حتمية.

العامل الثالث تواصل وتداخل الدول والشعوب بعضها ببعض جعل درجة تشابك المصالح أكبر. وجعل معرفة درجة تشابك المصالح والعنف الجاري بسبب ذلك أوضح. ففي السابق كانت المعارك بين بعض الدول المتجاورة أما الآن فإن المصالح الإقتصادية والسياسية والعقائدية أصبحت تتعارض بين الدول والشعوب حتى القاصية عن بعضها البعض.

العامل الرابع هو تكنلوجياً الإعلام الحديث. الإنسان الآن يعرف ما يدور حوله من تضارب وعنف أكثر من السابق. يكفي الإنسان في أي بقعة من العالم أن يمسك بجريدة أو يفتح التليفزيون حتى يرى مواقع العنف في كل مكان. في السابق كان الإنسان لضعف وسائل الإعلام يسمع عن العنف بعد فوات أوانه أو يسمعه ضمن الروايات التي تحكي منقولة ومشوهة. وإن كان يجدر بنا هنا إلا نجعل الإعلام العصري نزيه في نقله فكثيراً ما ينقل الإعلام الموجه صور العنف مشوهة ولكن يبقى لتطور الإعلام الحديث سرعة النقل.

العامل الخامس هو وجود المؤسسات والمنظمات الشعبية والدولية المضادة

للعنف. فمع تطور الدول وجدت مؤسسات دولية وشعبية ترصد العنف وتعلن عن وجوده مثل هيئة الأمم المتحدة ومنظمة العفو الدولية وغيرها. هذه المؤسسات جعلت معرفة ما يدور من عنف في العالم أمراً واضحاً للبشرية. وإن كانت هذه المؤسسات والمنظمات قد كلفت نفسها بردع العنف إلا أن أرض الواقع تقول أن هذه المؤسسات والمنظمات بين القادرة وبين العاجزة وبين الموجه أيضاً وهذه نقطة خارج اهتمامنا هنا.

ما نريد قوله هنا أن العنف كان وما زال جزء من الإنسان. إن التعبير عن العنف له صور عديدة وأهم صورة تخصنا هنا هي التعذيب.

إن التعذيب أسلوب عنف قديم في التاريخ. صحيح أن بعض التعذيب كان وما زال يقع ضمن دائرة العقاب في بعض السياسات والأديان. إلا أن كثيراً من المصنفين يرون وجوب فصل التعذيب البشري العادي عن التعذيب العقابي في الأديان السماوية. يُعتبر حمورابي الذي ظهر في القرن الثاني قبل الميلاد أول من ابتدع اسلوب التعذيب المقنن كعقاب. وإن كان التاريخ يريد انصاف حمورابي فإنه ينظر للتعذيب المقنن من قبله بأنه تعذيب عقاب ولِمَن أخل بالنظام المرسوم آنذاك. ويبقى لحمورابي رغم كل تلك السنين أولوية سن القوانين حتى لو كانت تعذيبية النمط. وإذا كان حمورابي يقلع العين والسن وبالمثل كقصاص تساوي فإن الآشوريون تميزوا بوحشية استثنائية حيث ابتدعوا الخوزقة والتقطيع. حيث تتم عقوبة الشخص المراد عقوبته بطريقة الخوزقة بإجباره على الجلوس على خازوق وقطع يديه ورجليه. أما أوروبا فكانت في القرون الوسطى تعذب بأسلوب الحرق حياً. وقصص حرق الفلاسفة والسحرة بأمر الكنيسة مليء الأدب الإنجليزي والغربي عامة. أما سكان التبت فعرف عنهم سلخ الجلود البشرية (العلوي).

حين تكون سلطة الإنسان محدودة فإن ذاته يمارس التعذيب ليصل

لهدفه. فالمختل العقلي قد يفعلها خفية أو علانية والأب القاسي قد يؤذي أهل داره بالضرب أو الحرق بحدود سلطته عليهم. ولكن حين يكون للإنسان سلطة وتبعية فإنه يوجد أدوات بشرية منفذة. ويكون هناك في النظام وظيفة معذب. هذا ما يخبرنا به التاريخ فهناك أيادي تشعل النار في إنسان وأيادي تقوم بتجليس إنسان على خازوق أو سلخ جلدة رأسه أو قطع رقبته. الطاغية، الحاكم، الآمر، ألخ من المسميات قد يترفع عن القيام بالفعل وإن كان ينتشي بحدوثه. وإذا كان هناك رأي سائد ساخر يسمي بيع الجسد أقدم مهنة لا إنسانية في التاريخ فمهنة القيام بالتعذيب قد تكون أقدم منها. هناك في كل العصور توجد لبعض الأنظمة والتجمعات أدوات بشرية تابعة وظيفتها القيام بالتعذيب. بعضها يؤدي هذه الوظيفة طواعية وإيمان والبعض يؤديها كوظيفة يعيش عليها والبعض الآخر يؤديها مجبراً طائعاً من الخوف لا قناعة ولا رغبة في ربح. وأياً كان السبب فإن التعذيب وظيفة موجودة في التاريخ.

إن القصص التي ما زلنا نسمعها إلى الآن عن القاء القبض على بعض أتباع هتلر الذين قاموا بوظيفة تعذيب أو بعض أفراد المافيا لا تؤكد لنا فقط أنها وظيفة قديمة. ولكنها تعطي مؤشر حقيقي بأنها وظيفة خلقتها السياسة. وإن كان الأمر نفسه يجرنا لسؤال محير حول كيفية التعامل مع فئة المعذبين. هل سيعاقبون كمجرمين حرب أم كمجرمين عاديين. وهل قناعة البعض بأهمية الوظيفة التي يؤديها لخدمة حزبه أو الفئة التي ينتمي لها كفيلة بزيادة تجريمه أو تخفيفها. وهل حين يكون التعذيب وظيفة يعيش عليها الإنسان قد تخفف أو تزيد عقابه. لكها تساؤلات جديرة بالإهتمام والبحث عن إجابة جادة لها لأن مجرمي الحروب السابقة ما زال محاميهم قادرين على التلاعب. ومجرمي حرب الثاني من أغسطس ترغب بأن يأخذوا عقابهم بمقدار أفعالهم سواء أدوا وظيفة التعذيب عن إيمان وقناعة أو أدوها كمرتزقة أو حتى كمجبرين.

عوامل تشكيل شخصية القائم بالتعذيب

إن السؤال التلقائي البسيط الذي كان يظفر من الإنسان الكويتي سواء ضحية التعذيب أو شاهد على عملية تعذيب أو معايش لتلك المرحلة المتأزمة وهي الإحتلال هذا السؤال هو:

كيف يستطيع انسان أن يقوم بوظيفة بشعة مثل هذه؟

إن هذا السؤال البسيط الصعب يثيرنا كمهتمين بدراسة النفس الإنسانية. وإن الأجابة على هذا السؤال يدفعنا إلى الخوض في عوامل تشكيل شخصية القائم بالتعذيب. هناك إيطار عام يقع داخله كل الساديين والقائمين بالتعذيب سواء كان لذة خاصة أو وظيفة تؤدي. لكننا هنا سنحاول تفصيل الإطار على مقاس الفئة التي مارست علينا التعذيب فنسعى وبشكل مركز إلى تحديد العوامل التي تعطينا تصور عن شخصية الإنسان العراقي صاحب وظيفة التعذيب أو الذي يندرج التعذيب كإحدى مهام وظيفته العسكرية أو الحزبية. وليس ما سيأتي توصيف للإنسان العراقي عامة. وإن كانت ظروف التشكيل السادي مثل الوباء العام تطول الجميع بدرجة أو بأخرى.

أ) العامل التاريخي

إن تاريخ الإنسان السياسي، الإقتصادي، والإجتماعي هو الذي يشكل الشخصية المتميزة لكل شعب. وإن نمط الشخصية العامة المعروفة هو ما يجعلنا نعطي صفة أو انطباع عن كل شعب وكل فرد فيه. فنجد مثلاً على المستوى العام هناك حكم على الإيطاليين بأنهم اندفاعين سريعي الإثارة. وهناك حكم على الإنجليز بأنهم باردين الإعصاب في ردود أفعالهم. وهناك حكم على الهنود بأنهم طيبين إلى درجة الخنوع، ألخ. وهكذا نكون كبشر فكرة عامة عن الشعب هي في حقيقتها خلاصة ظروفه السابقة الذكر.

مع العراقيين كان لنا دائماً حتى في أيام الصفاء انطباع واحد. هذا

الإنطباع هو وجود العنف أو الصرامة كجزء من الشخصية العراقية. ولعلنا بعيداً عن دائرة التحليل العلمي نحكم على هذا العنف أو التجلد وبكل بساطة من التعامل الإنساني معهم. الإنسان العراقي بصوته الجهوري المعروف إنسان حاد وجاد ومتطرف حتى في عاطفة الحب. ولعل التطرق إلى الأغنية العراقية كنموذج لشخصية الإنسان العراقي يجعلنا نلمس كم الحزن والعنف الموجود فيها. وتراث الإنسان الموسيقي هو انعكاس عن شخصيته كذلك. إن الأغاني العراقية كلمات ولحن وأداء تحمل في طياتها أداء حزين وصارم. إن المفردات اللفظية اليومية في حياة الإنسان العراقي هي كذلك ألفاظ صارمة حتى الرقيقة منها تخرج مجلجلة. ولعلنا جميعاً من احتكاكنا بالعراقي الإنسان نلاحظ ذلك. إن نموذج المدرس العراقي على سبيل المثال وفي ذاكرتنا البريئة يجعلنا نفرق بينه وبين أي مدرس من جنسية أخرى إنه الأكثر حزم والقادر بصوته أن يجعل أوصالنا ترتجف. وإن كنا وقتها لم تختلف بأنهم الأحزم والأجدر في إعطاء العلم. كلنا من ارتبطنا بالإنسان العراقي صوت في شريط، أو مدرس في مدرسة، أو في علاقة لا نختلف بهذه الخلطة الحزينة الصارمة في شخصه. فلماذا هذا الحزن وهذه الصرامة في الشخصية العراقية؟

إن المطلع على التاريخ السياسي للعراق قد يلمس السبب بسهولة. ولعله يكفي القول بأن تلك الأرض وذاك الشعب عايش أنظمة سياسية وأنماط حكم أكثر من غيره من تلك الأنظمة التي تؤمن بالحكم عن طريق العصا والدم والعقاب. ويكفي العراق والعراقيين أن يكون حمورابي أول رجل في التاريخ سن قانون عقاب. ولعل حكاية حمورابي تدعونا لأن نسأل أنفسنا لماذا سن حمورابي قانون؟ هل سن القانون نتيجة وجود خلل وغوغاء تستلزم العقاب وبذلك فنحن من البداية ندين الشعب العراقي منذ تاريخه بالعنف. أم أن حمورابي كان أول نظام عنف للشعب العراقي وبعده تتالت الأنظمة

العنيفة التي شكلت الإنسان العراقي. يبدو السؤال هنا أشبه بمن قبل البيضة أم الدجاجة (ولو أننا كمسلمين نؤمن بأن الدجاجة قبل البيضة). لكن ما يهمنا هنا حقيقة أن أرض العراق توالت عليها أنظمة دموية تؤمن بالعقاب والقصاص في الحكم ابتداءً من حمورابي ومروراً بالحجاج الذي بدأ أول يوم حكمه بتقطيع الرؤوس التي أينعت وانتهاء بصدام حسين. والشعب العراقي من التاريخ ما عرف الإستقرار إلا لفترات وجيزة لا تُعد شيئاً من عمر الأنظمة والشعوب ومساحة القلاقل كانت في تاريخه هي المساحة الأكبر. وإن المطلع على تاريخ العراق السياسي يجد أن الأنظمة تأتي بالدم وتنتهي بالدم في غالبيتها. وإن الشعب العراقي لا رضى عن حاكم ولا رضا عنه حاكم. وإنه لم يوجد لديه حاكم مات موتة طبيعية فالإغتيال والإنقلاب العسكري هو الأسلوب الوحيد ليذهب حاكم ونظام ويأتي حاكم آخر بنظام آخر.

إن فترة كل حاكم في العراق هي فترة حكم بالعنف والسير تحت لسعات السياط لبقاء الأمن واستمرار القانون السائد لحظتها. هذا الأسلوب هو ما يعرف بنظام السخرة. إن نظام السخرة البشري يقوم على تسخير الإنسان بالعنف لإداء ما لا يرغب في إداءه. وإذا كان الشعب المصري قام في عهد فرعون وتحت نظام السخرة يحمل الصخرة في زمن لا أدوات رافعة فيه فإن الشعب العراقي كان يبني لكل نظام صرح ووجود السخرة كذلك. وإذا كان الشعب المصري بالسخرة خلق حضارة الفراغنة فإن السخرة التي مشى عليها الشعب العراقي بنت في داخله أهرام العنف فكان المزوج بالحزن هو أهراماتهم. ولأن الإنسان هو خريج جامعة تاريخه السياسي والإجتماعي في بلده، فإن منطق علم النفس يرى أن الإنسان الذي يتخرج من تاريخ كله عقاب وتعذيب وعدم استقرار يخرج لنا إنسان حزين يعاني من انكسار أو إنسان جلد قادر على العيش في أصعب الظروف أو

يخرج إنسان شارب متشرب لكل ما استسقاه من هذا التاريخ الشرس ويمارس ما مورس عليه نحو الآخرين وهو ما يعرف في علم النفس بعوارض الدراكولا. وعوارض الدراكولا هي مجموعة من الأعراض النفسية يقوم فيها الإنسان الذي كان ضحية تعذيب ما بإسداء ذات التعذيب الذي أُلقي عليه على الآخرين ليكونوا مثله ضحايا.

إن أسطورة الدراكولا كما تصورها الكتب والأفلام تلخص هذه الحالة كالآتي: حين يقوم دراكولا بغرس أسنانه في رقبة الضحية فيمص دمه تاركاً الضحية تعاني من ألم تعذيب الغرس والمص. وبعد أن تصحى تلك الضحية من الإغماء الناتج عن التعذيب تبرز لها أنياب مثل الداركولا ومع الأنياب يتولد إشتهاء التعذيب. ويبدأ الدراكولا الجديد والذي كان ضحية في البحث عن ضحية ليمارس عليها غرس الأنياب والتعذيب ويتركها ضحية. وهكذا تتوالد الضحايا والتي تصبح مصدر أذى أو مجرم تعذيب.

إن الإنسان الذي يعايش العنف كجزء من حياته قد يراه نمط مقبول وعام فيكون جزء فيه. وإذا افترضنا أن العنف كان النمط السائد في العراق بهذا التاريخ السابق الذكر إذاً حتى هذا الإنسان الذي كان ضحية تعذيب فإنه يخرج متأقلماً على هذا النمط وكأنه عادي.

لكن أيضاً هناك حقيقة أن الإنسان العراقي ما كان له في تاريخه سيطرة على حياته. حياته أمراً يسيره النظام. على المستوى النفسي حين يشعر الإنسان بأنه لا يملك سيطرة على حياته وإذا صاحب ذلك مقداراً من عدم الإستقرار الإجتماعي، الوظيفي أو النفسي ورأى أن تخطيط حياته أمراً بيد آخرين قد يتولد في هذا الإنسان نزعة اندفاعية رافضةً لذلك وتخرج على شكل عدوان (Prenky and Rnight 1986). وإحدى صور ذلك العدوان قد يكون عدوان جنسي كما ذكرا صاحبا البحث السابقين.

ولأن الإنسان بطبيعته حر ولديه اشباعات يريدها. فإنه حين يتواجه بأنظمة تشكله كمخلوق مطيع لإشباعاتها وليست لإشباعاته الخاصة فإن هذا الإنسان أما أن يثور ويفقد حياته أو أنه يلعب الدور المعاكس فيقوم بإبدال اشباعاته بالتركيز على إشباعات القوة الأكبر المتمثلة بالنظام والإكتفاء بهذا الإشباع البديل. وهذا ما يمكننا أن نحلل به سلوك القائم بالتعذيب فكثيراً منهم قد لا يجدون في التعذيب إشباع خاص. وهذا المعذب الذي يروي عنه بعض ضحايا التعذيب أنه كان يعتذر لهم عن عدم رغبته فيما يقوم به قد يكون إنسان بالفعل يخدم إشباع السلطة وليس إشباعه الخاص.

إن الإنسان الذي عاش كل هذا التاريخ المشحون بالجلد والضغوط لا بدَّ أن يكون قد تكون بداخله كما من الغضب يحتاج أن يخرج. إن هذا القائم بالتعذيب الجنسي تؤكد الدراسات بأنه غالباً بالضرب والجلد والسلوك السادي لا لأجل متعة جنسية بقدر ما هي عملية إخراج شحنة القلق والغضب الداخلي الناتجة من عوامل تراكمية وتاريخية (Siomoponlos and Gold Smith 1976).

كثيرون يطرحون هذا السؤال ببساطة: نفهم أن العنف يولد عنف ولكن كيف يستطيع إنسان أن يمارس العنف الجنسي خاصة إذا كان هذا الإنسان من بيئة تجعله يدرك معنى الشرف والجنس؟

إن الإجابة على هذا السؤال الساخن هي بكل بساطة: هذا السلوك أيضاً ضمن افرازات التاريخ. إن النظام والسلطة العنيفة إذا أخذت مساحة من تاريخ الإنسان فإنها تقضي على قيمه وتجعل عنفه يصل حتى إلى الأمور الحساسة مثل الشرف. إن الدراسات المهتمة بالإنحراف الجنسي والسادية الجنسية عند الإنسان تؤكد ذلك. إننا لو طبقنا نتائج بعض تلك الدراسات على الإنسان العراقي لوجدنا أن وجود فئة القائمين بالتعذيب الجنسي هي فئة خروجها حتمي نتيجة هذه الظروف التاريخية. ترى بعض هذه الدراسات أن

وجود الإنسان بإحساس عدم العدالة في المجتمع إذا تضافر مع قلقة في العلاقات الأسرية نتيجة عدم استقرار النظام الخارجي وإذا عاش هذا الإنسان ظروف فيها عنف كأن يقوم أبوه المعاني بضربه أو تحقيره فإن هذا الإنسان قابل لأن يصبح مجرم جنسي يقوم بالتعذيب الجنسي سواء كلذة ذاتية أو كوظيفة (Kalogerakis 1974; Malamuth 1986; Lengevin et al 1988; (Baker 1983.

إن الظروف التي رصدتها الأبحاث السابقة الذكر تعطينا تفسير لوجود المعذب الجنسي العراقي كخلاصة ظروفه التاريخية السياسية منها والإجتماعية.

هناك تحليل نفسي آخر للشخصية العراقية من منطلق التاريخ أيضا. إن توالي ظروف التعذيب القائمة على الإنسان العراقي والتي قابلها بعد ذلك بشيء من الخنوع قد تحدث لديه حالة عكسية لما يريد فيظهر تجاه ما يقام عليه شيئاً من التقبل يصل إلى الإنتشاء به من باب التعود ومن باب الإستسلام ولعدم قدرة الرفض وهو ما يُعرف بالشخصية الماشوسية. ولأن التربية السياسية بالذات في تاريخ البعث السياسي تعود الإنسان هناك أن يكون متقبل للألم المعطى له من قبل السلطة وتدفعه لأن يكون هو ذاته أيضاً مصدر ألم أي يكون سادي. أفرزت عندهم هذه التربية المزدوجة فئة معذبين هم الماشوساديين. فئة تستلذ بالعذاب مأخوذاً ومعطياً. وهذا العذاب قد يكون جنسي. هناك أيضاً قد يتولد لديهم عدوان لجنس الإنسان أي للذكورة والأنوثة. إن الهوية الجنسية ذكر وأنثى هي جزءاً من تركيبة الإنسان. إن الفئة القائمة بالتعذيب الجنسي وخاصةً الرجال، فئة فاقدة لهويتها الجنسية. وهذا الإحساس الغير لطيف للقائم بالتعذيب كرجل مسير من قبل السلطة لا يملك حريته ولا يملك حق القرار أو الرأي في حياته يجعله يتمادى بإسداء التعذيب من باب فش الغل والتنفيس من الرفض ومن

باب ألم الهوية المفقودة. فيكون التعذيب لرجال آخرون يجعلهم يشعرون بالذل كما يشعر أو للإناث اللاتي يكسر أنفتهم أو يكسرهم لأنهم مخلوقات ضعيفة تذكره بضعفه (Warren 1985; Langevin et al 1988; and Kasperv et al 1984).

أحد تلك التساؤلات البريئة الصادرة من عقل الإنسان الكويتي: هل يتكون شعب على هيئة جيش بكل هذا العداء الموجه بأبسط صورة له على شكل التبرز في المنازل والمؤسسات وانتهاء بالإغتصاب؟

واقعياً لا يمكن أن يكون الجيش الذي إجتاح الكويت كله قام بالتعذيب العام أو التعذيب الجنسي. لدينا قناعة بأن هناك مساحة من الخلل والإضطراب النفسي ليست بقليلة في هذا الجيش. إن هؤلاء الجنود عاشوا ظروف حرب متواصلة من حرب الثمان سنوات مع ايران ثم احتلال الكويت. وبعضهم حتى في فترة هدوء بين الحربين كان أسير انتقل بعدها من باص الإفراج كأسير عند الحدود العراقية الإيرانية إلى حرب الخليج مباشرة. إن ظروف الحرب كفيلة بخلق شخصية غير متوازنة نفسياً. إن أبسط خلل هو الغضب والذي لا يستطيع الخروج موجهاً إلى المصدر الطبيعي فيخرج موجهاً إلى مصدر بديل. ومن أفضل من شعب الدولة المحتلة لأنه ساعتها سيكون فش غله مثاب عليه وهكذا كنا نحن البديل. إن الدراسات تثبت أن ظرف الحرب قد يكون عامل جيد لإخراج شحنة العدوان والعنف التي يُعاني منها الإنسان (Coleman 1985) . والسؤال الذي يتبع ذلك التساؤل السابق هو لماذا يستخدموننا كبدائل فش غل أو ليس هناك عقل يميز وموقف. الإجابة بكل بساطة هي أن الإنسان حين يكون ذو تاريخ مثقل بالتعذيب والسيطرة ويدرك من النظام حوله أن قوله «لا» تعني الصوت له ولمن حوله فإنه يتصارع بين رغبة الحياة وخوف الموت له أو لمن حوله من علاقات. وأمام هذا الصراع تتغلب في العادة رغبة الحياة مدفوعة بسلوك عدواني شرس قد يكون عند البعض نمط حياة أو واجب أو وظيفة تؤدى (Molliger 1982).

ب) عامل القدوة

يلعب الإنسان «النموذج» أو «القدوة» دوراً كبيراً في تخليق اتجاهات وسلوكيات الآخرين المحيطين به. وكلما كان هذا «النموذج» أو «القدوة» يملك عوامل إشباعية للمحيطين به ويملك كذلك سطوة وسيطرة وجبروت كان أثره أكثر فاعلية في تشكيل الآخرين.

إن صدام حسين نموذج عصري للإنسان «القدوة» ويمثل نمط «كاريزمى». وبشكل مبسط تقول أن الشخص الكارزيمى هو قائد قد يكون قائد ديني، سياسي، فكري، عاطفي، ألخ فيه صفات يعتبرها التابعون خارقة قياساً لغيره ويملك قدرة تسير الآخرين بلمس احتياجاتهم أي كانت هذه الإحتياجات نفسية، عاطفية، عقلية، أو حتى مادية وجعلهم رهن يده ويمثلون جنود تخدم فكره إلى درجة الفناء بالذات. وسواء كان «الكاريزمي» بطل سلام مثل «غاندي» أو بطل حرب مثل «هتلر» يكون قادر على خلق اتباع تسير وراء خطه.

إن صدام حسين للأسف نموذج في هذا العصر. أما لماذا كان وما زال كذلك؟ فإنه يعود لحقيقة واقعة رغم مرارتها وهي أننا نعيش في عصر القوة، عصر السلاح. وندرك منذ زمن أن مقام الدول ومقام القادة ليس بقدر مسالمتهم ورفع يد بها غصن أخضر أو حمامة بيضاء. ولكن بقدر تشخيصهم للقوة العسكرية كقادة ومدى امكانية الدولة في التكنولوجيا الحربية. وهذا ما نطلق عليه أو نصفه دول عظمى ودول تابعة للعظمى.

هكذا نشرب جميعاً مع الحليب حقيقة أننا نعيش عصر السلاح والقوة على صفحات القرارات السياسية أو حتى على شاشة السينما. وإن كانت السينما هي انعكاس فكر الإنسان في زمانه. نعم إنتهى عصر الطابور لأجل فيلم رومانسى ونعيش نحن أرباح الملايين لفيلم رامبو أو أي فيلم يعطى

صورة للبطل العنيف. حتى الطفل بأفلام الكارتون ما عاد يستسيغ ميكي ماووس بقدر تلهفه لشخصية البطل العنيف مثل كرندايزر وغيره.

إن شخصية صدام حسين بما فيها من هوس تسليح وإيمان بالقوة وممارسة للعنف لكثيرين كانت قدوة ونموذج عصري. ولعلنا نتوجع حين نقر بحقيقة أن كثيرين منا ككويتيين كانوا يصفقون لهذا البطل الحربي العنيف حين كانت معاركه وعنفه خارج مسرح حياتنا. وكثيرون كان يرون عنفه ضرورة طالما أن ما يجنونه من هذا العنف ثمار جيدة. لكن حين انتقل عنفه إلينا وأصبحت أرض المعركة دارنا اختلف الإحساس وبدل القبول كان رفض.

نحن هنا لسنا بصدد عرض عوامل تشكيل شخصية صدام حسين كنموذج عنف. فلقد اسهبنا في ذلك في كتاب للكاتبة تحت عنوان «الدرس الأول رؤية نفسية لأزمة الثاني من أغسطس». كما إن هذا الرجل قد حظى بتحليل لشخصيته كطاغية في هذا العصر بما قد يفوق بعد زمن ما قيل وما حُلل وشرح عن كل عن شخصيات طغات العالم. إن ما يهمنا هو تفسير كيف استطاع هذا القدوة أن يكون له اتباع هي التي أصبحت أدوات تنفذ نزعاته العدوانية. إن الوصول إلى التفسير المطلوب يدفعنا إلى تصنيف هؤلاء الأتباع أو الفئات أو الخوض في سيكولوجية التبعية لصدام حسن والبعث. وهم كما نتصور ثلاث فئات.

1) الفئة الرومانسية

وهي الفئة التي ترى في عنف صدام حسين أمراً ضرورياً لأجل هدف سامي. إنها فئة تشبه الحبيبة الغرة التي تبرر عيوب حبيبها بإيعاز أن هذه العيوب إلى أسباب منطقية. هذه الفئة الرومانسية الحالمة في الغالب كانت من خارج العراق وقلة من داخل العراق. وهي فئة ترى بوجود صدام حسن كقائد وبطل ينتشلها من خيبات تاريخية كثيرة خاصة بما يتعلق بالعروبة.

هذه الفئة في الغالب ليست مستفيدة مادياً من عنف صدام حسين. ولكنها تلعب دور المؤيد وإن دعتها رومانسيتها وفي حالة اقتدارها على أن تمديد المساعدة المادية، المعنوية والنفسية لتثبيت هذه القدوة واستمرارها.

2) الفئة المثيلة

تمثل الفئة المثيلة عصب وجود صدام حسين كنموذج عنف. هذه الفئة من مجرمين ومنحرفين ومرضى نفسيين وعقليين تعامل معها صدام حسين بذكاء حتى أصبحت جدار قوى يحميه وقاعدة أساسية لوجوده وأدوات فعالة تقتدى به إلى درجة التوحد. إن فئة المجرمين والمنحرفين والمرضى تعتبر فئات منبوذة في كل المجتمعات وفي كل الأزمان.

صدام حسين، من باب التعاطف مع أمثاله حيث أنه يقع في نطاق توصيف هذه الفئات، قام على رفع هذه الفئة وتقريبها منه. ومع التعاطف هناك لغة التفاهم المشتركة بين شخصيته وهذه الشخصيات الغير سوية. فإذا كان الإنسان السوي العاقل الصحي يرفض العنف فإن هذه الفئات قادرة جداً على فهم العنف وتقديره. كما إن رفع صدام حسين لها وجعلها في مراكز قوة وسيطرة كان بمثابة رد اعتبار لها ضد شعور الدونية الذي يلاحقها في المجتمع الطبيعي. ولعل جعلها تنفذ انتقام من الفئة الأعلى مثل الأسوياء والمتعلمين كان عامل معزز لها حتى تتشبث به وتعمل مستميتة على بقائه. إن هذه الفئة هي التي يخرج منها في الغالب القائمين بوظيفة التعذيب. هذه الفئة التي كانت خجلة من إجرامها وإنحرافها. بوجود قدوة تؤيد الخلل والخطأ أصبحت تفخر بما يحتوي جوانحها من خروج عن السواء وتدعمه بزيادة ابراز السلوك الغير سوي.

كثيراً من الروايات تذكر أثابة صدام حسين لدرجات الإنحراف العالية عند هذه الفئات. حتى غدت هناك منافسة لإعطاء نموذج التعذيب المتميز

أمام صدام حسين في حفلات خاصة. ولعل حكاية حقيقية ومثال لهذا التجنيد. كما إن صدام حسين أطلق لهذه الفئة حق التنفيس عما فيها في هؤلاء الطبيعيين فكان اغتصاب المرأة المحجبة أو تقطيع أوصال المثقفين أمراً يستحق إعطاء الأوسمة لهم. وبالإضافة إلى إشباع نزعة الإنحراف هناك جني متعة التنفيس بالفئة الأفضل. هؤلاء المرضى النفسيون الذين يدعمهم مرضهم، المجرمون الذين يتم بلورة فن الإجرام عندهم، والمنحرفون الذين يثابون على إنحرافهم وجوداً في صدام قدوة. فكان استعدادهم الذي وجد قدوة مثلهم عامل أساسي في تشكيلهم كشخصيات قائمة بالتعذيب.

3) الفئة المجبرة

في العراق أمام الإنسان خيارين الموت أو الحياة. هناك الحياة تعني طاعة النظام طاعة عمياه والموت يعني مخالفته حتى لو بالإحساس. فئة قليلة مَن استطاعت الحياة بدرجة طاعة لا يصل أذاها للآخرين. الفئة الأكبر مطيعة مرغمة لأن تكون أداة أذية لذاتها وللآخرين حولها. إن نظام البعث يملك حل واحد لكل صور عدم الطاعة وهو الموت. إذا حملت إحساس ضد النظام أو حملت سلاح ضد النظام كلا الفعلين له عقاب الإعدام. حتى غدت الحياة صعبة والموت سهل. وأمام صراع الطاعة للحياة أصبح الإنسان هناك من الطاعة بحيث يجنب نفسه الموت بإسدائه لآخرين. إن نطام البعث نظام يشتهي قرابين بقاءه وهذه القرابين يجب أن يقدمها الإنسان العراقي للنظام وذلك بالإفشاء عن مَن هم ضد النظام أو بالقيام بتعذيبهم أو قتلهم.

الإنسان في العراق يُكافىء إذا لعب دور المفشي والقائم بالتعذيب والقاتل ويعاقب إذا حاول حماية حتى مَن يحب أو قال كلمة حق أو تعالى عن إعطاء الأذى لغيره. الإنسان هناك حتى العادي والذي عاش لفترة طويلة في ظل البعث لا بدَّ أن يكون مصاب نفسياً على الأقل بدرجة من درجات

البارانويا. وإحدى صور البارانويا شعور الإضطهاد ووجود الرقيب الدائم. وتكرار صور القبض على المخالفين نتيجة الإفشاء التي نتج بين أقرب الناس لبعضهم البعض جعل الإنسان العراقي يعايش هاجس الرقابة في لفظه وإحساسه حتى مع أهله وأقرب الناس له. وأمام هاجس الرقابة والإفشاء ومن نزعة حب الحياة والبقاء قد يسعى البعض شعورياً أو لا شعورياً على جعل أنفسهم طوع خدمة النظام وصنم النظام. إن من أمر ما يُقال عن العراقيين أن بعضهم يفشي عن أخيه وابن عمه. ولعل المحتك بالإنسان العراقي يدرك أن الأمر ليس إشاعة ولكنه واقع حادث. إن حب الحياة للذات قد يؤدي إلى تمني الموت للآخرين حتى لو كان بوظيفة قاتل أو قائم بالتعذيب.

ج) عامل الإستعداد النفسي والشخصية

يمكننا القول باحتمال كون المغتصب الذي يلتقط ضحية مجهولة هو إنسان عادي ولكنه نحى للسلوك الإجرامي الإنحرافي نتيجة ظروف محيطة. لكننا نجزم بأن هذا الإنسان الذي يقوم بوظيفة تعذيب جنسي هو إنسان لا بد أن يملك الإستعداد الشخصي كمجرم أساسي ومنحرف من الدرجة الأولى.

إن القائم بوظيفة التعذيب الجنسي لا بد ومن الأساس أن يكون انسان سايكوباثي. والسيكوباثي هو ما يُعرف مجازاً بالعدو الإجتماعي أو عدو المجتمع. وعلى الرغم من الجهد المبذول في رسم إطار محدد لشخصية السايكوباثي إلا أنه وبين علماء النفس ما زال الجدل قائم. إلا أن المثقفين عليه كون السايكوباثي إنسان يُعاني من خلل في حياته العاطفية والإنفعالية والإرادية مما يؤدي إنسان يُعاني من خلل في حياته العاطفية والإنفعالية والإرادية مما يؤدي بطبيعة الحال أن ينعكس هذا الخلل على كسر كثيراً من القيود الأخلاقية وغياب الضمير لديه. والسايكوباثي يتميز بأنانية تظهر على شكل استجابته لكل رغباته وميوله وإشباعاته متناسياً إحساس الآخرين

وحقوقهم. هو إنسان لا يشعر بالمسؤولية ولا بالذنب ولا حتى بالخجل. وتنعدم عنده قيم الإنسان الطبيعي مثل الأمانة. إنه إنسان كاذب، متصنع، مشاكس مثير للمشاكل. لا يستطيع ضبط نفسه من الخطأ أو الثورة. وكل علاقاته الإجتماعية تتميز بالفشل مثل علاقاته الزوجية والصداقة.

بهذا الإستعداد السايكوباثي يمكن أن يوجد شخص مؤهل لوظيفة المعذب الجنسي. والمطلع على بعض الحكايات والتقارير الخاصة بالبعث العراقي يدرك أن الموجودين بمنصب معذب هم في الأصل فئة لها تاريخ اجتماعي وقانوني يحمل في طياته شخصية السايكوباثي. ولأن النظام يبحث عن أدوات فعالة فليس أفضل من إحتواء هذه الشخصيات وإعطائها وظيفة. أغلبهم كان مفترض أن يكون سجين مجرم خلف قضبان فتقلد منصب سجان ومعاقب.

وهم ليسوا مجرمين عادين يمكننا أن نضعهم في إحدى خانات الإجرام حسب التصنيفات المعروفة. فحين ننظر على سبيل المثال إلى تصنيف «فيري» نجده يصنف المجرمين إلى خمسة أنواع (السراج 1990):

المجرم المجنون: مجرم يقوم بجريمته تحت تأثير المرض العقلي.
المجرم بالميلاد: مجرم مولود بنزعة إجرامية عامة أو خاصة كان يكون مجرم جنسي، مجرم سرقة، ألخ.
المجرم المعتاد: هو مجرم قام صدفة بجريمة فتعود بعد ذلك على ارتكاب الجرائم.
المجرم بالعاطفة: مجرم طيب وعطوف ولكنه في لحظة الإنفعال قد يقوم بجريمة ولكنه يندم. وإن كان لا يمانع أن يكرر الجريمة والندم.
المجرم بالصدفة: وهو إنسان خلقته الصدفة مجرما.

إن هذه التصنيفات كلها مجتمعة قد تكون متواجدة في شخصية القائم

بالتعذيب. فهو مجرم ذو خلل عقلي أو منذ ميلاده قد يكون قام بجريمته صدفة تحت انفعال عاطفي فأصبحت تلك عادة ثم تطورت لوظيفة.

وإذا كان يصعب علينا الجزم بوضع شخصية القائم بالتعذيب الجنسي تحت أي تصنيف متعارف عليه بسبب وصول هذا الإنسان إلى أشد درجات الخلل والإنحراف والمتمثلة بالقيام بهذه الوظيفة فإننا نجد أنفسنا نتعامل معه كوعاء يمكن أن تصب به كل صور الإنحرافات. نحن نجزم كما قلنا أن يكون القائم بالتعذيب الجنسي إنسان سايكوباثي ذو مواصفات اجرامية مركبة كما صنف وحداتها «فيري». ولكن ما يميزه كذلك أنه يقع وبشكل ضيق في دائرة السادية الجنسية. والسادية الجنسية هي نزعة التعذيب الجنسي والوصول إلى النشوة الجنسية بإسداء الألم الجنسي نفسياً أو جسدياً أو كلاهما للضحية. والسادي الجنسي قد يكون إنسان بدرجة إنحراف وأذى أخف من القائم بالتعذيب الجنسي. حيث أن السادية نزعة قد يمارسها الإنسان تحت الحاح معين بين فترة وأخرى. أما القائم بالتعذيب الجنسي فهو موظف موجود ومستعد لإسداء الأذى كوظيفة يعيش منها.

ولكن إن جاز لنا التعامل مع شخصية القائم بالتعذيب في إطار السادية كإستعداد نفسي يمكننا القول بأن هذا القائم بالتعذيب السادي هو في الغالب يملك الإستعداد الذي تم تثبيتة بعوامل وظروف محيطة فهو في الغالب إنسان يعاني من ضعف في العلاقات الأسرية والإجتماعية. هناك ضعف العلاقة مع الأم والأب. وقد تكون علاقته بأمه وأبيه فها من العنف الموجه له في مرحلة مبكرة من حياته (Lengevin et al 1988) ومع ضعف العلاقة مع الأم والأب وسوءها. هناك كذلك مؤشرات فشل في خلق علاقات اجتماعية حميمة مع الآخرين ومواجهة إحباط كونه مقبول إجتماعياً (Marshall 1989). وأمام ضعف العلاقات الإجتماعية ومعايشة شعور الفشل والإحباط يتوالد ويتضخم داخله شعور الفشل والإحباط يتوالد ويتضخم داخله شعور

السادية الذي يكون أساسه فشله في كونه انسان طبيعي حتى في التواصل الجنسي وليس فقط التواصل الإجتماعي. ويتكون لديه شحنة غضب وانتقام يستمتع في تفريغها في ضحية غريب. وقد تصل نقطة التفريغ إلى حد القتل أثناء سادية الجنس الموجة (Student and Drvota 1978).

من التقارير التي قمنا بقرائتها أو تدوينها شخصياً من ضحايا التعذيب الجنسي وجدنا أن مَن يقوم بالتعذيب الجنسي رجال ولم يرد تقرير فيه امرأة قامت بالتعذيب الجنسي. ولعل في الذكورة استعداد أكبر للقيام بهذا النوع من الإجرام. وقد يعود ذلك في الأصل وبالفطرة أن الجنس عند الرجال مرتبط بالعنف. في هذا المجال هناك أبحاث تؤكد أن خيارات الرجل الجنسية وتجنيده للعملية الجنسية يكون عنصر العنف عامل رئيسي فيها (Person 1980). تؤكد الدراسات كذلك أن السادي ليس مَن يقوم باغتصاب أو بضرب عنيف في مواقع جنسية فقط إنه إنسان يملك استعداد تنوعي يثبته تاريخه الجنسي. فهو إنسان ينوع من طرق اشباعه الجنسي بالإغتصاب أو القتل أو معاشرة الحيوان والشذوذ وغيرها (Dietz et al 1990).

إن السادي هذا الذي يعذب جنسياً كوظيفة أو يعذب جنسياً للوصول للنشوة الجنسية أو كلاهما هو بالطبع ليس إنسان طبيعي كما ذكرنا. إن هذا الخلل الذي يدفعه إلى القيام بالتعذيب الجنسي نتاج كما من الإضطرابات الشخصية والعقلية موجودة كعنصر أساسي في شخصيته. فهو إنسان أثبتت الدراسات أن إثارته الجنسية مرتبطة بالعنف وبارتفاع معدل الاعصاب عنده (Barnes et al 1984). وهو يعاني من هلاووس وهذيانات تظهر على شكل خيالات سادية لا يستطيع ضبطها وتدفعهم إلى تعذيب الضحية جنسياً. ولكن التحاليل والدراسات تؤكد أن الساديين ليسوا متخلفين أو غائبين عن الوعي وقت قيامهم بالتعذيب (Drvota and Student 1975; Anderson et al 1979). وهناك نقطة ضرورية أخرى هي أن هذا السادي الجنسي المولود

بفطرة الأذى والتي دعمت بظروف أخرى قد تكون السادية الجنسية لديه ليست بالضرورة مصدر اشباع جنسي ولكن الجنس إختير لأنه يسبب ألم للضحية شديد على المستوى النفسي والجسدي. أغلب الساديين يختارون التعذيب الجنسي برغبة إخراج شحنة غضب متراكمة داخلهم وبذلك يكون الجنس مادة لتفريغ الغضب.

.(Plummer et al 1984; Scully and Marolla 1985)

بالإضافة إلى الإشباع الجنسي وتفريغ شحنة الغضب هناك مكاسب أخرى يجنيها القائم بالتعذيب الجنسي منها شعور السيطرة والقوة على إنسان ضعيف لا حول له ولا قوة. شعور قدرة أجبار وإذلال انسان مرغم على القيام بأمر لا يرغبه. ولأن السادي يعاني من خلل في تحديد هويته الذكورية الأنثوية فإن إسداء العذيب الذي قد يؤدي إلى حدوث شرح في هوية الضحية أمراً يريح هذا السادي نفسياً يجعله يشعر بأنه ليس الوحيد المعاني .(Hobson et al 1985)

د) عامل التدريب

هكذا تختار السلطة العراقية الإنسان سابق الذكر بكل استعدادته السايكوباثية الإجرامية السادية. وتلمس من خلال عامل انخفاض الثقة بالنفس لديه، واحساس الهشاشة والضعف والرفض الإجتماعي واضطراب الهوية وضعف الإستبصار بالحياة ومن عدم تحديد العاطفة ووجود عجز الوصول إلى إشباع جنسي طبيعي. فتقوم سلطة البعث العراقي بتحضيرهم لوظيفة تناسب تركيبهم وذلك بتدريب يعزز الإنحراف وينوعه.

والتدريب على العنف أو القيام بوظيفة معذب أمراً ليس جديدا. فهناك في التاريخ كله وخاصة في ظروف الحرب فئة مختارة تدرب على القيام بعمليات التعذيب. إن الكوريين كانوا يمارسون أنواع من التعذيب المدروس

مع الأسرى الأمريكان وكذلك كان يفعل الأمريكان معهم في المقابل. الألمان في عهد النازية كان لبعضهم وظيفة تعذيب. ولعل الإعلام الصهيوني ربح الجولة وذلك في المبالغة في ايضاح أفعال التعذيب التي مارسه الألمان على اليهود. وغيرهم من شعوب أخرى كان فيها إنسان مدرب ليقوم بالتعذيب.

إن الفكر البعثي لم يفته وهو ينهج تدريب المعذب الجنسي أن يستسقي من التاريخ الإجرامي للدول. ولقد عرضت قناة B.B.C. البريطانية منذ فترة فيلم عن عمليات التدريب التعذيب التي يتلقاها بعض أفراد البعث العراقي من يختار إيفادهم إلى بعض دول أمريكا الجنوبية. إن الواضح من تقارير التعذيب التي أدلى بها الكويتيون أن بعض أساليب التعذيب يمكن اعتبارها نموذج مستسقى من بعض الدول ومن كتب التاريخ. فمثلاً الجلوس على قنينة زجاجية هو اقتداء بالتجليس على خازوق. كما إن تدريب القائمين بالتعذيب قد يتم على يد بعض المتخصصين بقدرات الإنسان النفسية والجسدية من علماء. إن بعض المعذبين يقومون بالتعذيب الجنسي باشراف طبيب يدرك موقع الألم وحجمه ومتى يكون مميت. إن استخدام الأطباء والمتخصصين العلمين كذلك ليس أسلوباً جديداً عند نظام البعث العراقي. فهناك دراسات أثبتت إن بعض الدول مثل الإتحاد السوفياتي كان يستخدم الأطباء النفسيين في عملية التعذيب (Faraone 1982). وأثبتت بعض التقارير والدراسات المسيحية أنه حوالي 30دولة في العالم تستخدم الأطباء بإرادتهم وبغير إرادتهم للتعذيب. وذلك بأخذ خبرتهم الطبية في أمور كثيرة. مثل كيفية التأثير على حواس الإنسان وأثر حرمانه من النوم أو التلاعب بدرجة حرارة جسمه أو حتى اعطاءه مواد منشطة ليهيج في جسده أمراً ما (Jonsen and Sagan 1978).

إن السؤال البريء الذي طرحه علينا بعض ضحايا التعذيب عن كيفية

وصول الإنسان إلى هذه الدرجة من البشاعة والشراسة واللاّ إنسانية؟ له إجابة. وأجابتنا على هذه السؤال هو أن الوصول إلى مرحلة قطع القضيب أو إدخال سيخ في فرج امرأة أو اغتصاب طفل أمام أهله أمراً لم يكن عند الفاعل هو الأول من نوعه أو المباشر. إن الفئة التي تقوم بالعنف الجنسي الشديد الدرجة تكون قد تدرجت في العنف في حياتها أو خلال التدريب. هناك مراحل أقل يبدأ فيها المتدرب على العنف ثم يتصاعد تحت أمر التحريض أو التدريب أو النزعة الذاتية حتى يصل إلى أقصى درجة. والساديون بالذات يسعون بشكل تدريجي إلى البحث عن درجة أكبر قادرة على إثارتهم (Bern 1985). ولعل الأنصاف يدعونا إلى التعاطف مع الإنسان العراقي المضطهد من قبل سلطته. حيث أن كل ما مورس على الإنسان الكويتي من تعذيب جنسي كان قد طُبق من قبل على الإنسان العراقي الشريف الرافض للوضع السياسي في العراق. وإذا كان الإنسان الكويتي قد عايش سبعة أشهر تعذيب فإن الإنسان العراقي الشريف ذاق من سلطة البعث كل ألوان هذه التعذيبات وأكثر منذ حوالي ربع قرن وما زال.

يُعتبر التعريض لنماذج عنف هو الآخر إحدى أساليب التدريب وعامل مساعد في تطبيع سلوك العنف. أخبرنا بعض المتعرضين للتعذيب إن إقامة التعذيب عليهم كان يتم بوجود فئة عرفوا من الحديث الدائر أنها متدربة وتتفرج. إن مشاهدة عملية التعذيب تعطي المعلومة في فن التعذيب بالإضافة إلى أنها خطوة لتقوية قلب مَن يشاهد هذا النوع من التعذيب. والدراسات تثبت أن هناك تدريب قد يتم من خلال كثرة التعريض لصور وأفلام أو مواد مكتوبة تربط الجنس بالعنف. وأثبتت تلك الدراسات أن هذا التعريض المستمر تدريب فعال لخلق شخصية سادية (Malamuth and Ceniti 1986)

إن التدريب متواكباً مع نزعة الإستعداد الإنحرافي قد يكونان كافيان لأن يقوم الإنسان بالتعذيب. إلا أن التعذيب الجنسي بالذات قد يحرك في

إحساس الإنسان قدر ولو ضئيل من الإنسانية. فهناك زاوية إحساس في الإنسان ولو صغيرة قد تنبض حين يتعلق الأمر بالشرف. إن أفضل طريقة لإخماد هذا الإحساس، بل ودفع الإنسان القائم بالتعذيب لأن يكون أكثر شراسة وتلذذ هي المواد المخدرة من مخدرات وكحول. إن الدراسات تثبت أن الكحول قد يكون سبب أو نتيجة السلوك السادي في الإنسان(Steele 1986; Snaffer 1984; Moore and May 1982).

شخصية الرموت كنترول

هل يمكننا إذاً أن نفترض أن القائم بالتعذيب الجنسي إنسان وليد ظروفه التاريخية السياسية والإجتماعية. وهو يملك النفسي والإستعداد الشخصي للتعذيب الجنسي. ووجد في صدام حسين قدوة. وأجريت عليه عوامل تدريب مختلفة تحت تأثيرات نفسية وكيمياوية جعلته مسير لتنفيذ أقصى درجات الإنحراف وهو الإنحراف الأخلاقي والتعذيب الجنسي. قد يذهب البعض كذلك إلى تصديق كون هذه الفئة تعرضت لغسيل دماغ بفعل التنويم المغناطيسي فأصبحت أداة تسير حسب الأوامر لتنفيذ أبشع الأفعال. لنحذف أمر التنويم المغناطيسي جانباً فهذا أمراً كان ولفترة هوس أمريكي سوفياتي في جعل الإنسان دمية تسير بلا أدنى درجة وعي أو إرادة لتنفيذ رغبة القائم بتنويمها. وإن كان هناك تجارب لم تثبت نسبة نجاح كبيرة إلا أنها كانت فكرة تراود الفكر الجاسوسي والبوليسي. ووجدت فيها السينما مادة جيدة لإثراء شركات الأفلام. إن الأبحاث الخاصة بالتنويم المغناطيسي لم تثبت نجاح كبير لجعل الإنسان مسير ومسلوب تماماً من إرادته. ولكن هناك بعض النجاح قد ثبت في غسل الدماغ وذلك يجعل الإنسان مقتنع بفعل وإتجاه الجهة القائمة بالغسل الدماغي له من جراء تكرار المعلومة ودعمها ببعض الحقائق وجعلها منطقية لمتلقي الغسيل الدماغي ومدعومة بالثواب حين تلقي

المعلومة وتشبعها ومدعوماً بالقصاص حين لا يتلقى المعلومة. هناك بالطبع ظروف كثيرة منها استعداد الفرد لغسل الدماغ ومساندة ظروفه النفسية والإجتماعية. وبدون شك هناك فئة تمّ غسل دماغها لتؤيد النظام البعثي العراقي وتعمل على خدمته. إنما الوصول إلى نقطة التعذيب الجنسي ليس الأمر المباشر فيه غسل الدماغ حسب قناعتنا العلمية بقدر ما هو الإستعداد الشخصي مدعوماً بالظروف السابقة الذكر.

إن القائم بالتعذيب الجنسي أو التعذيب بشكل عام مجرم يجب عقابه. وحكاية سلب الإرادة بادعاء الغسل الدماغي أو التنويم المغناطيسي لن تكون أمراً شافعاً. فلقد أثبت علمياً أن غسل الدماغ وحتى التنويم المغناطيسي وحده لا يكون كافي لإرتكاب الجرائم الجنسية (Gibson 1991). وبالتالي فهذا العذر لن يجد صدى حين تأتي لحظة المحاكمة العادلة لهؤلاء المجرمين.

تساؤلات حول القائم بالتعذيب

إن شخصية القائم بالتعذيب بما فيها من صفات وسلوك خارج وبدرجة خارقة عن نطاق الإنسانية تستفز نزعة التساؤل عند كثيرين من

* معذبين،
* علماء،
* والعاديين من البشر.

تلك التساؤلات الباحثة عن تفسير وتحليل حول ماهية تحول الإنسان إلى وحش. بعض هذه التساؤلات تم الإجابة عنها ضمناً من خلال محاولة توصيف شخصية القائم بالتعذيب بذكر عوامل تشكيل شخصيته. وبعض تلك الأسئلة الحائرة التي جائتنا من بعض الذين تعرضوا لتعذيب

نوردها هنا لأنها أيضاً تغطي بعض الجوانب الأخرى في شخصية القائم بالتعذيب.

1)إذا كان الجنس أمراً خاصاً وجميلاً بين رجل وامرأة فكيف يستطيع القائم بتعذيب الإغتصاب أن يصل إلى النشوة والطرف الثاني يبكي أو يصرخ أو يقاوم رافضا؟

إن هذه الشخصية في الأصل مريضة وكما قلنا تجد صعوبة في التفاعل الجنسي العادي نتيجة هذا الإضطراب النفسي والخلل الموجود في الشخصية. بل إن هذه الفئة غالباً لا تستمتع بالمعاشرة الجنسية الطبيعية القائمة على الحب والتودد والتدرج. وتكون إثارتها فقط من هذا العنف والصراخ والأذى. هذه الفئة قد تكون قادرة على الإنتصاب والإنتشاء من الجنس بمقاومة ورفض وعنف مع ضحية أكثر من كونه أمراً متشاركاً وقائماً بود ومحبة (Earls 1988).

2)كيف استطاع المعذبون الجنسيون العراقيون ابتداع كل طرق التعذيب الجنسي هذه الغير معروفة في كل العالم؟

من تجميعنا لأقوال مَن تعرضوا لتعذيب جنسي وجدنا أن كثيراً من طرق التعذيب الجنسي سبق أن قام بها مجرمون ومنحرفون وقائمين بالتعذيب الجنسي. في دراسة قام بها (Homstrom and Burgess 1908) وجدوا من بعض التقارير التي أوردها بعض مَن تعرضوا لإغتصاب هو قيام المغتصب بعدة صور ايلاج من المهبل والشرج والفم. وهناك حالات يقوم بها المغتصب بالتبول على الضحية. وهناك حالات ترغم فيها الضحية على لعق القضيب. كذلك وردت حالات يتم فيها اغتصاب مشاهدة أصحاب المغتصب الذين قد يتناوبون إغتصاب الضحية بعد ذلك.

وإذا كانت بعض التقارير التي دوناها عن بعض أساليب القائمين

بالتعذيب الجنسي من العراقيين تؤكد وجود بعض الأمور المستجدة فإن ذلك لا يغدو كونه أكثر من ترك النفس المنحرفة تبتدع حسب معطيات الخبرة الخاصة والظرف العام والدراية بالأذى الواقع على الضحية.

3)هذا المجرم القائم بالتعذيب هل يندم بعد فعلته؟

وردت بعض الروايات من تقارير المتعرضين لتعذيب إعتذار القائم بالتعذيب لهم بعد فترة من وقوفه عن الفعل. ومن خبرتي من مجرمين الإغتصاب في أمريكا هناك البعض يشعر بالندم ولكن ذلك لا يوقفه عن تكرار فعلته. وباختصار يعود ذلك إلى أن نزعة المرض أكبر من نزعة الضمير. هذا بشأن المغتصب العادي. القائم بوظيفة التعذيب وخاصة التعذيب الجنسي إنسان قد وصل إلى درجة أن تكون لقمة عيشه ومعيشة مَن هو مسؤول عنهم القيام بالتعذيب الجنسي. إن الوصول إلى مستوى أن يكون هذا الفعل وظيفة وواجب يؤدي لا يترك مجالاً للتفكير بوجود ندم في الضمير. والجدير بالذكر أن التقارير المتوفرة تفيد أنه في المخابرات العراقية هناك شخص وظيفته مغتصب. هذا هو مسماة الوظيفي وتخصصه العلمي فكيف نتصور وجود ندم. بالطبع هذه الفئة لا تندم وفي اعتقادها أنها تقوم بوظيفة والسلام.

4)هل لديهم عائلات؟ وكيف يتعاملون معهم؟

كثيراً من مجرمي الإغتصاب لديهم أسر. ومن خبرتي مع مجرمي الإغتصاب أنه حين القبض عليهم نتواجه في الغالب مع أسرة محترمة عادية. وتتعرض الزوجة والأولاد لصاعقة بهذا الخبر. فالمغتصب زوج عادي ومخلص وأب وحتى مع جيرانه حمل وديع. هذا يقودنا إلى حقيقة أن كثير من الساديين والمغتصبين وحتى القائمين بالتعذيب لديهم حياتين. حياة الجريمة والإنحراف بكل مواصفات الشخصية فيها وحياة خاصة بما فيها من واجبات

وقيم. وقد لا نستغرب أن نجد هذا الذي يحرق جهاز جنسي لرجل أو يقطع ثدي امرأة لا يحتمل في حياته الخاصة جرح صغير في أصبع ابنه. إنها ازدواجية حادة فاصلة لحياتَين مختلفتين تماماً لإنسان واحد. وقد يحمل المجرم السادي ذات الشخصية في حياته الخاصة وإن اختلفت الدرجة.

اسئلة كبيرة أخرى قد نحتاج لإجابتها إلى الرأي الفلسفي أو القانوني أو الديني. فتشخيص القائم بالتعذيب جديرة بأن تشبع توصيف في كل المجالات.

ويبقى لنا بعد ذلك ومن الإطلاع على مصنع الجريمة المعروف بحزب البعث، يبقى لنا أمام كل الوجع والكآبة أن نعطي أنفسنا حق الإبتسامة حين نذكر أن «المركز العربي لمكافحة الجريمة مقره في بغداد»!؟

الفصل الثالث

الأعراض النفسية للمعذبين جنسياً

الصحة النفسية للإنسان هي بناء متكامل متوازن وحدوث خبرة مؤلمة ولو واحدة تؤدي إلى حدوث شرح نفسي كفيل بصدع الجدار النفسي والإحداث خلل فيه. إن حجم هذا الخلل يتحدد بمقدار تلك التجارب المؤلمة والإستعدا النفسي للإنسان. وكذلك الصحة البدنية هي الأخرى بناء متكامل ومتوازن وحدوث عطب أو خلل في عضو واحد كفيل بهز البدن كله.

هناك أيضاً توجد حالة التظافر النفسي وحالة التظافر البدني معاً كبنائين يكونان الإنسان ويتأثر خلل أحدهما بالآخر. وهذا هو ما عبر عنه الإسلام بقول للرسول محمد (ص) وبملخص فلسفي عظيم إذا اشتكى منه عضواً تداعى له باقي الأعضاء بالسهر والحمى. إن كلا من البناء النفسي والبناء الجسدي متلاحمان حتى نكاد نجد صعوبة في فصل الجسد عن النفس بما يخص حالة الإستجابة والتظافر لأي ألم يصيب بناء أحدهما.

أردنا من تلك المقدمة أن نمهد إلى حقيقة وهي أن كل صور التعذيب النفسي قربت أو بعدت عن التعذيب النفسي الجنسي تؤثر على سلوك وإداء الإنسان جنسيا. وإن كل التعذيب البدني بعد أو قرب من التعذيب المباشر للجهاز الجنسي فهو في نهاية الأمر يصب في المقدرة البدنية للإداء الجنسي عند الإنسان.

وهذا الإيضاح أيضاً يبرز سبب ذكرنا للتعذيب النفسي والجسدي عامةً ومن ثم التعذيب الجنسي في الفصل الأول. ونحن بذلك نريد أن نقفز إلى

فرضية هي تأثر حياة ضحية التعذيب الجنسية، النفسية منها والجسدية، بفعل أي تعذيب نفسي أو جسدي قرب أو بعد عن حياته الجنسية. إن هذه الفرضية أثبتت صحتها من خلال ملاحظاتنا ولفترة على مَن تعرضوا لأي نوع من أنواع التعذيب.

ولأننا في كتاب «الدرس الأول ـ رؤية نفسية لأزمة الثاني من أغسطس» أسهبنا في ذكر الآثار النفسية للإحتلال والتي تندرج تحت الأعراض النفسية بعد الأزمات Post Traumatic Stress Syndroms والتي أطلقنا عليها في الكتاب السابق الذكر «إختلال ما بعد الإحتلال» فإننا لن نكرر ذكر هذه الأعراض العامة.

وإذا كانت الفئة التي مرت بأزمات تعاني من جملة الأعراض السابقة فإن فئة المتعرضين للتعذيب النفسي أو الجنسي لديهم ذات الأعراض بشكل أعمق مع أعراض أخرى مستجدة كلا حسب نوعية التعذيب الذي تلقاه. وفئة التعذيب الجنسي على وجه الخصوص تكون الأعراض لديها أكثر عمقاً. وكذلك ومن باب عدم التكرار فإننا لن نذكر الأعراض النفسية العامة لضحايا التعذيب النفسي والجسدي وسوف نقوم مباشرةً بذكر الأعراض النفسية للمعذبين جنسياً بالتحديد وهم موضوع الكتاب.

من الجدير بالذكر أن هذه الأعراض قد تتضح مباشرةً بعد انتهاء التعذيب، ثم تخف قليلاً بعد فترة استيعاب أن التعذيب إنتهى. أو إن هذه الأعراض تخف بمساعدة العلاج. في حين أن بعضها يزداد بعد العودة من التعذيب. وبعضها الآخر لا يظهر إلا بعد فترة طويلة من انتهاء التعذيب. والبعض الآخر قد يخبو ويظهر حسب مساندة بعض الظروف النفسية الأخرى. هذه الأعراض قد تظهر كلها على ضحية التعذيب الجنسي. وبعض المعذبين جنسياً يظهر عليهم عدد قليل من تلك الأعراض. وكل حالة لها تركيبتها بطبيعة الحال.

وفي ما يلي الأعراض النفسية العامة للمعذبين جنسيا:

1) الكآبة

يعتري ضحية التعذيب الجنسي حالة كآبة واضحة. هذه الكآبة قد تكون منذ بداية حدوث التعذيب الجنسي من إحداث ألم في العضو الجنسي أو اغتصاب، أو خلافه. إن البعض من الضحايا يعيش في الفترة الأولى بعد التعذيب حالة انشداه كامل جراء صدمة الحدث وبعد ذلك يدخل مرحلة الكآبة. وتتضح الكآبة بأعراض جسدية. منها: حالة إنطفاء تام وانعدام حيوية في وجه المعذب جنسيا. نزول هيئة جسده وخاصة الكتفين إلى الأسفل (Long et al 1984). ومن دراسة الكآبة على ضحايا إغتصاب وُجد أن الكآبة تكون أشد عند ضحية التعذيب الجنسي كلما كان هناك عنف وتحقير أكبر أثناء عملية التعذيب. فالحالات التي تعرضت لإغتصاب عادي كآبتها أقل من تلك التي ضُربت وأُهينت بكلمات والإغتصاب واقع عليها (Becker et al 1984).

إن الضحية المصابة بالكآبة تفقد حماسها لأي أمر مثير. ومحاولات الآخرين في اسعادها وانتشال الضحية من هذه الكآبة أمراً لا يفيد. بل إن بعض تلك المحاولات قد تزيد من الكآبة. وتزداد الكآبة بوجود ظروف مشجعة تعيد التفكير في التجربة مثل الليل والفراش ولمسة يد الزواج .. الخ. والكآبة أيضاً تزداد كلما كان المقربين بالضحية مصابين بكآبة جراء الحدث مثل الأب والزوج وغيرهم.

إن الكآبة قد تستمر عند بعض الضحايا لسنوات عديدة ولربما قد يعتادها مَن يعيشون حول الضحية كنمط شخصية. لكن الدراسات إن ضحية الإغتصاب قد تصل كآبته بعد فترة إلى نقطة لا يستطيع حيالها إلا الشروع في الإنتحار (Barash 1986).

2) شعور بالخوف وانعدام الأمن

الضحية تبقى لديها إحساس الخوف وانعدام الأمن الذي كان يصاحبها لحظة التعذيب الجنسي مستمراً حتى بعد انتهاء التعذيب وزوال الخطر ووجوده بين أهله ومَن يحميه. هذا الإحساس هو امتداد للحظات الرعب والخوف المصاحبة في أحاسيسه قبل حدوث التعذيب الجنسي وبعده. وخاصةً إذا كان الضحية قد تعرض لفترات متقطعة من التعذيب يبقى داخله هاجس توقع التعذيب. هذا الهاجس يتمثل بحالة خوف شديدة تظهر على شكل خوف من أي أمر يذكره بلحظة التعذيب. فالفتاة التي تعرضت لإغتصاب قد تخاف من أي رجل حتى لو كان أخوها أو زوجها. وقد تخاف من الخروج في الشارع إذا كان الإغتصاب قد تمَّ خارج البيت. وحالة الخوف هذه وانعدام الأمن الداخلي تصحب معها كثيراً من الأعراض التي سنذكرها لاحقاً مثل التوتر والعصبية. بعض الحالات يكون الخوف لديه مجرد إحساس داخلي قد يستشعره أو لا يشعر به الآخرون المحيطون به. إن ضحايا التعذيب الجنسي من النساء قد يظهر الخوف وانعدام الأمن عليهن جلياً وقد يصل عند البعض إلى حد التشبث بملابس مَن يثقون به حولهم. إنها حالة نكوص طفولي وشعور باللا حلية والضعف وفقدان الأمان. الدراسات تثبت إن المرأة المتعرضة لإغتصاب يعتريها خوف من الرجال يلازمها لفترة طويلة. وهذا ما يجعلنا كإخصائيين جنسيين لا ننصح بأن يكون المعالج لحظتها رجل وننصح أي رجل حتى لو الزوج بالإبتعاد عن الضحية إذا بدر منها خوف ناحيته (Colao and Hunt 1983). ولعل أكثر إنعكاس لحالة الخوف هذه هو توجس الخطر الدائم الذي تعيشه الضحية.

3) انسحاب

الإنسحاب أو العزلة أو الإبتعاد عن الآخرين أحد الأعراض الواضحة على ضحية التعذيب الجنسي.

إنها حالة إستعادة لتلك الخبرة المؤلمة حين تقوقعت الضحية على نفسها والتصقت بجدار وحدها في زنزانة أو معتقل بعد تعذيبها جنسيا. إن خبرة لملمتها لملابسها وهي تسير جسدها، هذه الخبرة تبقى في داخلها مستمرة. إن أحاسيسها التي كانت تعتريها حين تقول بينها وبين نفسها لمعذبها اتركني بعد فعلتك لوحدي. هذا الإحساس وتلك الرغبة تبقى ملازمة للضحية حتى بعد انتهاء التعذيب وعودتها إلى أهلها.

إن شعور الخجل والعار الذي يلازم الضحية رجلاً كان أم امرأة هو الذي يدفعه إلى هذه العزلة رغبة في تحاشي نظرات الآخرين المشفقة أو المتسائلة عن ما حدث. وقد يتصرف المحيطين بالضحية بتلقائية فيريدون اشراك الضحية في الحياة الإجتماعية رغبة منهم في مساعدته وتكون ردود فعله أقوى في رفض العلاقات والتجمع. إن أحاسيس المعذب جنسياً فإنه يكون موجود جسدياً أما الروح فليست موجودة معهم إنها مسحوبة إلى عالم الألم والتجربة الخاصة واجترار ذلك الكابوس (Koss 1983).

إن الوحدة التي يسعى إليها المتعرض لتعذيب جنسي قد تتمثل بكونه أو كونها غير قادرين على خلق أي حالة تواصل لفظي مع أي إنسان. وقد يصل الأمر عند البعض إلى إحساس بعدم قدرته في خلق أي علاقة بأي شكل مع أي إنسان آخر. وخاصة العلاقات العاطفية والجسدية مما يجعل ضحية الإغتصاب المتزوجة مثلا تجد صعوبة في التفاعل مع الزوج. ونحن كمعالجين جنسيين ننصح الأهل بعدم المشروع بتلقائية في نقل المعذب جنسياً رغم عنه إلى الحياة الإجتماعية حيث أن الأمر يحتاج بالفعل خبرة

مهنية في تدرج نقل المعذب الجنسي من عزلته وانسحابه وعدم رغبته بخلق علاقات إلى التواجد والمشاركة مع الآخرين. وحالة الإنسحاب هذه يختلف توقيت ظهورها من معذب إلى آخر. فبعض المغتصبات تشعر برغبة انعزال حال عودتها وتخلصها من حدث التعذيب الجنسي. البعض قد يقوم بفعل معاكس فينخرط في حياته الإجتماعية مقاوماً رغبة العزلة عنده وقد ينجح وقد لا ينجح حيث أن هذا الإنسحاب المؤجل قد يظهر بمناسبة تذكره بأيام التعذيب. أحياناً وبدون أي مناسبة يظهر الإنسحاب بشكل مفاجىء وقد يظهر بشكل خفيف أو حاد (Halmstrom and Burgess 1975).

4) فقدان الثقة بالآخرين

إن حالة فقدان الثقة بالآخرين تعتري شخصية التعذيب الجنسي نحو المقربين والمجهولين. فالضحية المعذبة إذا كان اغتصابها أو تعذيبها تم عن طريق أخذها من بين يدي مَنَ تعتقد بأنهم أولى بحمايتها مثل الحالة التي اغتصبوها أمام زوجها أو الدها أو التي سحبت إلى المعتقل أمام أعين أهلها. هذه الحالة يخامرها إحساس بأنه يجب أن يفعلوا شيئاً لها. صحيح أنها في حالة التفكير المنطقي تدرك أنه ما كان لهم حول ولا قوة ولكنها في حالة وقوعها في شبكة الذكريات واسترجاع ألم التجربة وبشاعتها تحمل لوماً لهؤلاء الآخرين الذين ما استطاعوا وقف ما حدث لها. ولقد عايشت حالة إحدى ضحايا الإغتصاب التي أقتيدت إلى المخفر أمام والدها والذي كان عاجز عن حمايتها، كيف أنها كانت وما زالت تحمله جزءاً كبيراً من مسؤولية ما حدث لها.

إنعدام الثقة بالغرباء أمراً ثانياً يلازم ضحية الإغتصاب أو التعذيب الجنسي حيث كون القائم بالتعذيب الجنسي كان شخصاً غريباً. هذا الإحساس بعدم الثقة متواكباً مع مرارة التجربة قد يخلق حالة عداء لكل إنسان غريب وقد تصل إلى العنصرية.

5) ضعف الثقة بالنفس

إن التعذيب الجنسي بما فيه من إهانة وهدر لكرامة الإنسان في أعز ما لديه وهو شرفه وخصوصية أحاسيسه الجنسية يترك الضحية إنسان محطم النفس أكثر من أي تعذيب آخر. إنه يفقد الثقة بنفسه وبقدرته وبإنسانيته. وكثيرون بعد التعذيب الجنسي يشعرون وهم مع الآخرين غير قادرين على التصرف بقوة وبكرامة أو حتى رفع أعينهم بالآخرين لأنهم من الداخل يعايشون ويسترجعون لحظات التعذيب حين لم يكن لهم حول ولا قوة وكانوا مجرد شيء ضعيف يلعب به دون أن يكون قادر على الدفاع عن نفسه (Agger 1989). وفقدان الثقة بالنفس يكون عند الرجال الذين تعرضوا لتعذيب جنسي أكبر منه عند النساء. ففي داخل الرجل إنه كان يجب أن يدافع عن نفسه يقاوم هذا التعذيب الحادث عليه حتى لو أدت هذه المقاومة إلى قتله. إن شرخ الجنس في نفسية الرجل يسبب عطب كبير قد يعصب علاجه. أخبرني في لحظة انهيار أحد الضحايا المتعرضين لتعذيب جنسي بأنه ما عاد يشعر بأنه رجل لا مع زوجته ولا مع أصدقائه.

وفقدان الثقة بالنفس يصاحبها عدم رغبة الحوار والجدل والتفاعل مع الآخرين. إن فقدان الثقة بالنفس قد تظهر على شكل المعذب جنسياً فيبدو بهيئة عديم الثقة بالنفس من اكتاف متدلية ورأس مطأطأ وعيون تحمل الذل والعار (Riherman 1984).

6) التوتر

التوتر صفة ملازمة لكل مَن أخذ رهينة. إن حالة الترقب للأذى أثناء الرهن أو الإعتقال فيها درجة عالية من التوتر قد تنسحب على الإنسان حتى بعد زوال المؤثر. في دراسة على الكويتيين الذي اختطفوا في طائرة اتضح أن حالة التوتر استمرت فترة طويلة حتى بعد الإفراج عنهم (Thompson 1981).

أما في حالة التعذيب الجنسي فإن درجة التوتر تكون أقوى لأن فعل التعذيب الجنسي أقوى من فعل الإحتجاز فقط. وقد يظهر هذا التوتر على شكل عصبية شديدة وإستجابة على شكل استثارة من أي مؤثر خارجي حتى لو كان صرخة طفل، صوت بوق سيارة عالي أو حتى صفعة باب قوية (Allodi and Cowgill). وقد يظهر هذا التوتر على شكل عصبية شديدة في التفاعل مع المحيطين بالضحية.

7) الشعور بالذنب

تعايش حالة التعذيب الجنسي رجلاً كان أو امرأة احساس الشعور بالذنب ولفترة قد تطول. فالضحية تظل تعيد ما حدث لها في خيالها وتحاول صيد مبرر مقنع لما حدث وحين تفشل تتجه إلى ذاتها وتمارس عليها اللوم. كثيراً من الحالات الإغتصاب التي تعاملت معها من ضحايا الإحتلال العراقي أو من خبرتي مع ضحايا الإغتصاب في أمريكا وجدت لديهم إحساس الذنب. إحدى حالات الإغتصاب بقيت تلوم نفسها لأنها خرجت من المنزل فإعتُقلت وإغتُصبت ولفترة كانت تردد من باب لوم الذات «لماذا خرجت من المنزل». والمعذب أو المعذبة قد يزداد إحساس الذنب لديهم بوجود ظروف أخرى مثل لوم المحيطين فيهم المتألمون مما حدث. والضحية قد تلوم نفسها بفعل أمور مترتبة للتعذيب الجنسي كأن تفقد الفتاة عذريتها أو ينتج من الإغتصاب طفل. والأنثى المعذبة جنسياً حسب الدراسات توجه اللوم لذاتها أكثر من الرجل (Carmen et al 1984).

8) العدوان

إذا كان الإنسحاب ولوم الذات وفقدان الثقة بالنفس هو غضب موجه للداخل عند المعذب جنسياً فقد يحدث عند المعذب جنسياً ردة فعل غاضبة في توجيه العدوان للخارج. هذا العدوان قد يكون نحو

أشخاص يعتقد بأن لهم علاقة بما مر به الضحية من قريب أو بعيد أو حتى نحو أشخاص ليس لهم علاقة بتاتاً بما حدث للضحية من تعذيب جنسي ويكون قدرهم فقط أنهم متواجدين حول الضحية في حالة إحتياجه لتفريغ الغضب الداخلي عنده. إن هذه العدوانية نتيجة حالة الغضب المتصاعدة داخل الضحية من ألم تجربة التعذيب الجنسي. وقد لا يكون العدوان رغبة في إذاء الآخرين بقدر ما هو سلوك لحماية الذات من الإنهيار العصبي. إن هذا الغليان الداخلي الدائر في نفس المتعرض للتعذيب الجنسي يستشعر بأنه سيدفعه إلى الإنفجار وحالة العدوان هي أشبه بصمام امان لتسريب الغضب للخارج. ويختلف شكل العدوان من صرخة إلى ضرب إلى إسداء تعذيب أو أذى جنسي. وقد يكون للعدوان نحو الآخرين صور عديدة على رأسها إذاء النفس حتى يتأذى الآخرين مثل الإنسحاب والكآبة أو إدمان الخمر والسهر والخروج من المنزل لأجل خلق حالة قلق عند المحيطين به أو بها (Wayfeld and NOel 1982; Gallers et al 1988).

إن حدوث العدوان قد يتم بفعل استمرار اجترار الضحية لخبرة التعذيب الجنسي وشعور الرفض بكونها حصلت وعدم وجود منطق ومبرر لسبب حدوثها له أو لها. وإحساس الضحية بعدم إحساس الآخرين به أو بها. وتكون للضحية رغبة بأن يعاني هؤلاء الآخرين أياً كانوا من ذات معاناته. ثم تتصاعد الرغبة بكونه الرغب في إسداء الأذى لأنه أدرى به. كل هذه الأحساسيس المتصاعدة مع وجود خبرات مؤلمة وإضطهادات سابقة ليس لها علاقة بالتعذيب الجنسي ووجود عامل محرض أو محرك لصمام الإنفجار. وفجأة يتوجه هذا العدوان إلى أحد ما حول الضحية أو غريب في مكان ما (Gallers et al 1988).

9) اضطرابات النوم

ضحية التعذيب الجنسي تنتابه أنواع مختلفة من اضطرابات النوم. في الغالب، إن الضحية الواحدة تصاب بكل هذه الإضطرابات.

إحدى صور إضطرابات النوم هو الأرق فالضحية تشعر بعدم قدرتها على النوم. عيونها مبحلقة في السقف، تشعر بالإرهاق والتعب لكنها غير قادرة على النوم. إن حالة الأرق قد تكون حالة مستمرة من أيام التعذيب الجس ومن جراء خوف تكرار حدوث التعذيب الجنسي عليه أو عليها وهو أو هي في حالة نوم. وقد يكون الأرق حالة هروب من النوم شعوري أو لا شعوري لأن النوم يجلب الكوابيس. إن الأحلام المزعجة والكوابيس هي أيضاً من صور اضطرابات النوم. فالمعذب جنسياً يحلم بتجربة التعذيب والتي تظهر في أحلامه كشريط مسجل يقوم بعدها منزعجاً في الصباح أو يقوم على صرخة بالليل.

الكوابيس ذات العلاقة القريبة والبعيدة بما حدث هي الأخرى ضمن اضطرابات النوم. إن التأثير النفسي للكوابيس على الضحية قد يكون أشد من تجربة التعذيب بما تحويه تلك الكوابيس من صور تعذيب بشعة تعزز تجربة التعذيب الجنسي الفعلية وتكررها في مسرحية النوم ليليا.

إن التقلب في النوم وسرعة الإستيقاظ نتيجة مثير خارجي حتى لو كانت خطوات أقدام أيضاً من صور الإضطرابات في النوم التي تؤثر على الضحية وتجعله يبدأ صباحه الثاني منهار القوى ومشتت الذهن (Horowitz 1985).

10) اضطرابات القدرات العقلية

ضحية التعذيب الجنسي بكل ما في هذه التجربة من ألم وأوجاع وقسوة وعدم قدرة الضحية على الوصول لمنطق يبرر به ما حدث له يعاني بعد زوال التعذيب من إحدى صور اضطراب القدرات العقلية. ولعل أشهر ما

لاحظناه على ضحايا التعذيب الجنسي هو النسيان وعدم القدرة على تذكر بعض الأحداث وبعض الأسماء كخبرات قديمة وعدم تذكر المواعيد والأوامر كخبرات جديدة. عدم القدرة على التركيز هو إحدى الإضطرابات العقلية الملحوظة. فنجد مثلاً ضحية التعذيب الجنسي لا تستطيع التركيز على حوار دائر أو لا تستطيع متابعة برنامج أو فيلم بشكل مركز. وحتى القراءة تعيدها وتكررها لأنها تفقد الفكرة بعد سطرين أو أكثر.

التفكير المنطقي قد يختل عند ضحية التعذيب الجنسي. أمور منطقية بسيطة قد تبدو عليه أو عليها صعبة. حتى المسائل الحسابية البسيطة يجد الضحية صعوبة في حلها في حين كانت سهلة عليه أو عليها قبل التعذيب. البعض ممن لديه مشكلة في قدراته العقلية قبل حدوث التعذيب الجنسي تزداد حاله سواءً نتيجة لتجربة التعذيب التي تلقاها (Punamaki 1984) .

11) أعراض سيكوسوماتية

ضحية التعذيب الجنسي تعاني من إحدى الإضطرابات السيكوسوماتية.

تأتي إضطرابات الأكل على رأس الإضطرابات السيكوسوماتية ويتمثل اضطراب الأكل بعدة صور منها فقدان الشهية. إن فقدان شهية الأكل والهبوط المفاجىء في وزن ضحية التعذيب الجنسي وخاصةً عند المغتصبات أمراً إعتياديا. بعض الحالات يظهر اضطرابها على شكل استفراغ مستمر. إحدى الحالات التي تعاملت معها كانت تعاني من الإستفراغ لأن إحدى صور تعذيبهاجنسياً كان الإرغام على لعق قضيب القائم بالتعذيب وتفريغ المادة المنوية في فمها. الإتجاه المعاكس في الإضطرابات هو شراهة الأكل والذي قد يكون سلك لخفض التوتر وشغل الذهن بالأكل عن التفكير بتجربة التعذيب.

يُعتبر الإسهال، الصداع، ضيق التنفس، سرعة ضربات القلب، وحالة

التعب العام من صور الإضطرابات السيكوسوماتية (Daly 1976; Sloan and Leichner 1986).

هناك علاقة كبيرة بين الأعراض السيكوسوماتية وبين وجود خلل بدني فعلي عند الضحية. فعلى سبيل المثال نجد ضحايا الإغتصاب والتعذيب الموجه في المهبل من النساء يعانين من التهاب وجروح. وقد يخشين من الموت والعلاج من تلك الإلتهابات والجروح ولكن يبقى العرض السيكوسوماتي موجوداً نتيجة حالة الإضطراب النفسي الشديد المصاحب للتجربة. ولعل العلاج النفسي مواكباً للعلاج الجسدي أفضل في هذه الحالات.

إن الإضطرابات سيكوسوماتية قد تطول أو تقصر والبعض من الحالات قد يصبح عرض صحي أبدي.

12) الإضطرابات الجنسية المباشرة

تعتبر الإضطرابات الجنسية ذات العلاقة المباشرة بأعضاء الإنسان الجنسية وبإحساسه وتفكيره الجنسي أشهر اضطرابات تعكس الخلل الناتج من التعذيب الجنسي. ولأن الحياة الجنسية للإنسان أمراً متضافراً ووظيفة مزدوجة بين النفس والجسد فإن الإضطرابات النفسية تؤدي إلى إضطراب القدرة الجنسية. وخلل الجسد يخل بالإداء الجنسي رغبةً وتفاعل. إن صور الإضطرابات الجنسية لضحية التعذيب الجنسي عديدة. ويمكننا تصنيفها كالآتي:

أ) رفض الهوية الجنسي

كلا من الرجل والمرأة ضحايا التعذيب الجنسي لا بد أن يمر بإحساس رفض هويتهم الجنسية كذكر وأنثى. الرجل قد يعتريه غضب كبير بحدوث ذلك التعذيب الجنسي عليه كرجل. قد يتمنى أنه ما كان رجل وإلا لما حمل العار لهذه الدرجة. وخاصةً إذا كان التعذيب الجنسي إغتصاب فإن

حالة الإهتزاز الرجولي عنده تصبح عالية. تزداد حالة رفض الرجل لهويته إذا عرف الآخرون بالإغتصاب. إذا كان مصاحباً للتعذيب حالة تحقير وإهانة له كرجل، وهذا ما يحدث في الغالب، فإن كرامته كرجل تنتزع ويتمنى أنه ما كان رجل أو يشعر بأنه ما عاد رجلاً. المرأة كذلك تكره أنوثتها. تلك المغتصبة المعذبة تشعر لأنها امرأة والمرأة ضعيفة حدث لها ما حدث. إن نتيجة هذا الإحساس المتصاعد ضد أنوثتها لا تعد المرأة تشعر بأنوثتها ولا بكرامتها ولا بشرفها المهدور في ظروف التعذيب.

إن حالة رفض الهوية الجنسي عند الضحية رجلاً كان أم امرأة نتاج الشعور بالذنب وإنعدام الثقة بالنفس سابقة الذكر قد يؤدي إلى خلل وعطب خطير في الهوية الجنسية والدور الجنسي للضحية في حياته الجنسية أو حياته العامة.

ب) ضعف وتلف الأعضاء الجنسية

كل أنواع التعذيب الجنسي المباشر للأعضاء الجنسية الأولية والثانوية أو الموجهة للوظيفة الفسيولوجية الجنسية قابلة وبشكل أقرب للجزم بإحداث مرض أو ضعف أو تلف للأعضاء الجنسية. إن التعذيب بالإغتصاب سواء في مهبل المرأة الضحية أو شرج المرأة أو الرجل عادة لا يحدث إلا مصاحباً بعنف مما يؤدي إلى تمزقات في أغشية المهبل وجدار الشرج. إن التعذيب الكهربائي في قضيب الرجل أو في مهبل المرأة وثدييها قابل هو الآخر لإحداث عطب كبير جداً فيهما. إن تدخيل مواد في الشرج مثل القناني الزجاجية والعصى هو الآخر كفيل بإحداث عطب في فتحة الشرج. الحرق والتمزيق بأدوات حادة والضرب المبرح على الأعضاء الجنسية أمور قابلة لإحداث تلف ما إلى حد الإعاقة في العضو الجنسي. ولأن أغلب القائمين بالتعذيب يعرفون ما هم بصدده فهم يعلمون كيف تحدث الإعاقة وكيف يحدث العجز. إن إدخال سيخ تنظيف البندقية في رحم المرأة قد يؤدي إلى

تلف الرحم. وإن أسلوب نثر الزجاج المطحون في فرج المرأة هو الآخر قد يحدث تمزقات شديدة في المهبل والرحم يعصب علاجها إلا باستئصال وسلخ تلك الأغشية المحيطة بالمهبل. هذا إن عاشت الضحية. إن حرق الخصيتين بالشمعة أو حرق القضيب بماء مغلي كفيلة بإحداث عطب في العضو لا يمكن علاجه. قطع القضيب مباشرةً أو ربط القضيب بخيط وسحبه أو القيام بإخصاء الرجل وقطع جزء من مهبل المرأة هو تلف قد يكون تام. إن الضرب على ثدي المرأة أو الكهرباء الموجهة للحلمة أو ربط الحلمة بخيط أو شكها بشيء حاد مدبب قد يخلق هو الآخر تلف في الغدد الحليبية وتشويه لثدي المرأة.

أحياناً يكون التعذيب غير مباشر للعضو الجنسي ولكن لأعضاء وأجزاء مرتبطة به بشكل شديد بحيث يؤدي تلفها إلى تلف وظيفة العضو الجنسي. إن الضرب الشديد على الظهر ومنطقة العصعص كفيل بإحداث العجز الجنسي. الضرب على المثانة والتعذيب الموجه للقناة البولية من حبس البول بشد القضيب بخيط أو وضع مواد في المجاري البولية للمرأة أو الضرب على المبايض كلها تؤدي في النهاية إلى ضعف أو تلف الأعضاء الجنسية.

كل الصور السابقة الذكر كفيلة بإحداث عطب في العضو الجنسي أو في أحسن الأحوال إحداث ضعف فيه. هذا العطب أو الضعف هو الضربة المباشرة الدائمة للضحية ونقطة خلل في حياته الجنسية قد يصعب إصلاحها. إن إنعدام القدرة على الإنتصاب أو العيش بعضو جنسي مشوه أو عدم القدرة على الإنجاب هي إعاقات دائمة في حياة ضحية التعذيب الجنسي والذي إن استطاع التشافي نفسياً من خبرة التعذيب إلا أنه مع هذا التلف أو الإعاقة التي سيعايشها طال الوقت أم قصر سوف تنعكس على نفسيته بشكل عام وحياته الجنسية بشكل خاص.

ج) إضطرابات في الوظيفة الجنسية

هناك اضطرابات في الوظيفة الجنسية تحدث نتيجة كل صور السابقة الذكر في الفقرة (ب) أو في الفصل الأول. إن هذه الإضطرابات هي انعكاس لحالة الضعف الناتج من التعذيب للعضو الجنسي أو هي انعكاس لإضطراب نفسي نتيجة التعذيب. بمعنى أن هذه الإضطرابات أما جسدية بحتة أو نفسية بحتة أو الإثنين معا. من صور الإضطرابات في الوظيفة الجنسية عجز الإنتصاب سواء كان هذا العجز نتيجة إضعاف العضو أو نتيجة إضطراب نفسية الرجل من جراء التعذيب الجنسي خاصة إذا كان إغتصاب. آلام المعاشرة الجنسية أو آلام الإيلاج والتي تتراوح بين الخفيف إلى الحاد جداً عند الرجل وعند المرأة. وقد تصل هذه الآلام إلى حد الإغماء. هذه الآلام في المعاشرة أيضاً قد يكون سببه عضوي أو نفسي من خبرة تجربة التعذيب. إن الآلام المعاشرة لدى ضحية الإغتصاب من فئة المرأة المتزوجة أكثر من غير المتزوجة والرأي النفسي يميل في تفسيره إلى أنها حالة عقلية بحتة نتيجة وجود خبرات جنسية سابقة سارت مع رعب حدوث الحمل الذي صاحَب الإغتصاب (Thornhill and Thornhill 1991).

إن تعطل الحمل لدى المرأة التي تعرضت لتعذيب جنسي أمراً وارداً كذلك. هناك أيضاً علاقة كبيرة بين تكرار حدوث الإجهاض وحدوث التعذيب وخاصة الإغتصاب (Borins and Forsyth 1985). إن هذا الخلل الحاصل في الإخصاب أو الحمل هو الآخر اضطراب في الوظيفة الجنسية يعود لأمراً عضويا أو نفسيا. إن رعب الحمل الوارد من الإغتصاب يظل يعيش داخل المرأة فيستجيب الرحم برفض حدوث الإخصاب حتى مع الزوج وبعد مضي فترة من حدث الإغتصاب.

تأتي اضطرابات العادة الشهرية لدى المرأة من ضمن اضطرابات الوظيفة الجنسية. فتكون الدورة الشهرية متكررة بشكل غير طبيعي حتى يكاد النزف المستمر يؤدي إلى حالة اضطراب نفسي شديد. أو يحدث الإضطراب يتباعد

موعد الدورة الشهرية مما يجعل الضحية تعايش رعب وجود خلل أو حتى تتوهم حدوث حمل غير منطقي بعد أن مر الإغتصاب فترة طويلة أو حتى إذا سبق وحدثت أكثر من دورة شهرية بعد الإغتصاب.

إن جفاف المهبل عند المرأة، صعوبة القذف عند الرجل والمصاحبة بآلام تجعل وظيفة الأداء الجنسي صعبة جداً.

د) توهم الأمراض الجنسية

إذا كان توهم المرض، بشكل عام، عرض نفسي يعتقد المريض به إصابته بمرض ما مما لا يجد المنطق الطبي أو العلمي أي حقيقة لوجوده. وإذا كان لنا تعامل خاص مع المريض بتوهم المرض فإن حالات التعذيب الجنسي المعاينة من اضطراب توهم المرض الجنسي جديرة باهتمام أكثر خصوصية وعناية مختلفة عن غيرهم من متوهمين المرض.

إن ظروف التعذيب الجنسي قد تمت في أماكن وأجواء قذرة بشكل عام. فالضحية قد اغتصب في الحمام أو في أماكن تثير بها الأمراض. القائم بالإغتصاب قد يكون إنسان وسخ البدن والمظهر مثل الجنود وغيرهم. والضحية قد تكون عانت من بقائها متسخة بالسائل المنوي وأحياناً الدم ولفترة طويلة بعد تعذيبها جنسياً أو اغتصابها. بعض الضحايا يتم التبول أو البصق عليها من قبل القائم بالإغتصاب. إن كل ضحية في لحظة التعذيب الجنسي أو الإغتصاب يتساءل إذا ما كان الشخص القائم بالتعذيب أو الإغتصاب يحمل مرض جنسي أم لا. ضف إلى ذلك أن أنواع التعذيب الأخرى غير الإغتصاب بأدوات غير معقمة مثل قناني زجاجية قذرة وأدوات متسخة. في التعذيب يتم إستخدام نفس الأدوات على كثير من المعذبين ولفترة زمنية طويلة. إن الضحية وهو يعذب بهذه الأدوات قد يلاحظ آثار دماء وأنسجة لاصقة عليها وحتى يمكن أن تكون متعفنة مما تدفعه لتوهم المرض. بالإضافة إلى أن كل وسائل تعذيب الجهاز الجنسي تؤدي بعد ذلك

إلى آلام وحكة وتشققات وجفاف وكل صور الإخلالات السابقة. كل هذه الأمور مجتمعة وإن شفي منها الضحية بعد فترة من العلاج إلا أنه يظل أسير فكرة تراوده هي إصابته بمرض جنسي. ولعل أبسط سبب لتوهم المرض عند الضحية هي فكرة إن الأمراض الجنسية قد تظهر أعراضها بعد فترة من الزمن مثل مرض الإيذر.

بعض الضحايا يتسجيب لهذا الوهم ويطور في أعضاءه الجنسية مرض أو التهاب ربما من جراء حكة قهرية يقوم بها في أعضاءه أو من مجرد تفاقم الأمر لا شعوريا. إن ضحايا التعذيب الجنسي قد يعايشون هذا الرعب ويزداد أثره عليهم لخجلهم من طلب المساعدة. وبعضهم قد يندفع للطبيب بشكل متكرر شاكياً من أعراض المرض الجنسي الذي في حقيقته غير موجود. وأمام هذا الهاجس قد يسعى الضحية إلى قراءة الكتب الخاصة بالأمراض الجنسية وكيفية الإصابة بها. وإذا حدث واصطاد سبب منطقي شبيه لحالته مثل المعاشرة مع إنسان غريب فإن هاجسه يصبح كابوس قد يقضي على حياته عامة وحياته الجنسية بشكل خاص. وقد يطور توهم المرض هذا عند الضحية حالة وسواس النظافة (Romanik and Goodwin 1982). ومن خبرتي مع ضحايا الإغتصاب عايشت حالة طورت وساس النظافة المتثمل بالإستحمام الذي يصل إلى عشرين مرة في اليوم الواحد.

هـ) اضطرابات في الدافع الجنسي

يُعتبر اضطراب الدافع الجنسي والمتمثل بانعدام الرغبة في المعاشرة من الأعراض الواضحة على كل من الرجل والمرأة ضحايا التعذيب الجنسي. والعزوف عن المعاشرة هنا نفسي بحت مع وجود المقدرة العضوية والجسدية لذلك. ولعل تعذيب الإغتصاب بالذات هو الأكثر تأثيراً في انعدام الرغبة الجنسية عن سواه من طرق التعذيب مثل الحرق، الكهرباء، الضرب، واستخدام الأدوات. ورغم أن الدراسات في أغلبها تؤكد أنه لا إختلاف في

أثر الإغتصاب على نفسية المرأة والرجل على حد سواه (Mezey and King 1989) . إلا أني أعتقد أن هذه الأبحاث الخاصة بمقارنة نفسية ضحية الإغتصاب هي دراسات غربية تنطبق على الرجل والمرأة هناك. لكن في مجتمعنا الشرقي المسلم أجد أن تأثير الإغتصاب على نفسية الرجل أكبر منها على نفسية المرأة. ذلك لأن الرجولة في مجتمعنا الشرقي مغلقة بهالة لا يمكن قبول المساس بها ولكنها هالة سريعة الشرخ. إن المرأة المغتصبة قد يتم التعامل معها كمخلوق ضعيف سلب شرفه. وهي قد تجد التعاطف والتشجيع على التشافي وقد تجد شهم ينتشلها. وقضية إغتصاب المرأة لدينا بما فيها من جرح شديد إلا أننا بشكل أو بآخر نتوقع أن تكون الأنثى ضحية الإغتصاب قادرة على الإستمرار في الحياة.

مع الرجل لا نحمل نفس ذلك العطف بقدر ما نحمل شفقة وألماً لرجولته المخدوشة إضعاف ألمنا نحو المرأة المغتصبة. إضافة إلى أننا ننظر إلى أن صون الشرف هو مسؤولية الرجال وهم الذين يجب أن يدافعون عن أعراضهم ولا يسمحون لأي كان أن يمس نساءهم. كثيرون يعذرون المرأة المغتصبة لكن في حالة الرجل هناك تساؤل في عيون المحيطين. يتصور الضحية هذه النظرات شعورياً يتمنون لو أنه مات أو قتل بعد إغتصابه على أن يعيش مسلوب الرجولة. وهذه النظرة وتلك الأحساسيس يعرفها الرجل ضحية الإغتصاب فيحمل في نفسه ذات الإحساس بعدم رجولته.

وهكذا تأتي المرأة المغتصبة إلى حياتها الزوجية إن كانت متزوجة ويأتي الرجل المغتصب إن كان متزوجاً وما حدث لهم يدور في رؤوسهم مثل الفيلم الذي يُعاد شريطه فيرتبط الجنس لديهم بالألم وبالقذارة فلا تحدث رغبة فيه. وقد يلعب زوج أو زوجة ضحية الإغتصاب دوراً كبيراً في تدعيم حالة انعدام الرغبة حين يبدي علانية اقشعراره من إنسان ما عاد هو الوحيد الذي لمسه. أو حين يصاب أزواج الضحايا بحالة كآبة أو انهيار أو حتى

حين يبدون حالة تجاهل تامة لما حدث رغبة في تحاشي طرح الموضوع لكونه محرج ومؤلم في ذات الوقت. لذا ننصح كمعالجين بأن يكون شريك ضحية الإغتصاب جزء من خطة العلاج فهو ذاته ضحية وهو نفسه قادر على لعب دور إيجابي كبير في العلاج (Gilbert and Cunningham 1986)

وإذا كان العزوف عن المعاشرة الجنسية بين المتزوجين المعذبين جنسياً أمراً وراداً فقد يكون حال غير المتزوجين أصعب حيث إحتمال العزوف عن الزواج نفسه أو صعوبة بدء علاقة جنسية في زواج جديد.

إن الإغتصاب قد يكون العامل الأول في انعدام الرغبة الجنسية. لكن كل وسائل التعذيب الأخرى بما فيها من ألم التجربة الجسدي والنفسي قابلة لخلق هذه الحالة. ولعل التعذيب اللفظي القائم على التحقير والإهانة والشتم والسب واللفظ الجنسي المتدني يأتي في اعتقادي كسبب ثاني بعد الإغتصاب لحالة العزوف عن الجنس.

البعض من ضحايا التعذيب الجنسي يريد أن يساعد نفسه وينتشلها من هذا العزوف فيبرر بعقل ومنطق ما حدث له ويسعى لقناعة بكونه كان ضحية ويأتي لحياته الجنسية مؤهلاً نفسه لذلك ولكنه في لحظتها يشعر بعدم الرغبة. وحتى إذا أجبر نفسه لا يحدث لديه أي انفعال تلقائي مثل الرعشة الجنسية عند المرأة أو الإنتصاب والقذف عن الرجل (Rosenberg 1986; Lunde et al 1981). ذلك لأن فعل التعذيب على الرغبة الجنسية يحتاج مساعدة نفسية من مختص ولمدة طويلة.

13) رغبة الموت

«ليتني مت ولم يحدث لي هذا». هذه الجملة على فم الضحية تُعتبر إحدى صور التعبير عن رفض ما حدث من تعذيب جنسي. إن الضحية قد تقول وتصرخ برغبة الموت في بعض الأحيان من باب الرفض والألم.

إلا أن هذه الرغبة قد تختمر وتتفاعل مع ظروف كثيرة مثل الكآبة والخزي والعار وعدم القدرة على النوم وصعوبة خلق علاقات مع الآخرين والإحساس بعدم القدرة على التركيز في أي عمل، وشعور اللا شيء أو عدم الجدوى من الحياة فتقوم تلك الأمور مجتمعة بدفع الضحية إلى رغبة في إنهاء حياتها. البعض يندفع إلى رغبة الموت بفعل تلك التجربة التي تلاحقه في أحلام اليقظة أو أحلام النوم والتي تكرر تلك الأفعال الجنسية البشعة المكروهة التي حدثت للضحية. وحيال هذا الشبح الدائم تصبح الحياة مستحيلة. البعض يشعر بأن التعذيب أو الإغتصاب قد سلب روحه، انسانيته، شخصيته وهو الآن ناقص حي ولكنه ميت فيسعى لقرار الإنتحاء لأنه يعتقد أنه أصلاً مات بفعل ما حدث له من تعذيب جنسي والمسألة تحصيل حاصل. قد يعزم بعض المعذبين جنسياً إلى إنهاء حياتهم نتيجة لوم الآخرين لهم ودفعهم إلى دائرة الشعور بالذنب بتذكيرهم بأن انخراطهم في خلية مقاومة أو خروجهم من المنزل هو سبب الإعتقال أو التعذيب الجنسي. إن ضحايا آخرون يقد ينهوون حياتهم نتيجة إحساسهم بأنهم كانوا سبب في ألم الآخرين وخاصةً المقربين لهم. كما إن حالة العطف والتعاطف المبالغ فيها من قبل المحيطين قد تعطي المفعول العكسي فتجعل الضحية يشعر بأنه معوق قد فقد شيئاً لن يعود ولذا فهو يعامل بشفقة لم يعد يحتملها فينهي حياته.

البعض من الضحايا قد يبدو طبيعياً أمام الآخرين ويتفاجأون بحدث انتحاره. والبعض الآخر قد يكون قرار الإنتحار ولفترة طويلة يرفرف فوق رؤوسهم جلياً بتلك السوداوية والكآبة والإنسحاب الذي يعيشه. لذا نرى أن يلعب أهل ضحية التعذيب الجنسي دور في لمس شعور الفراق ورغبة الموت عند الضحية حتى يتم وقفها وبمساعدة معالج مختص.

وماذا عن العلاج؟

من ناحية تقييم نفسي يمكنني كإخصائية ومعالجة جنسية نفسية الجزم بأن التجربة الجنسية الغير سارة قد تكون العامل الأكثر قدرة على خلق شرخ في النفس الإنسانية. وإذا وضعنا في إعتبارنا إن هذه التجربة الغير سارة كانت مصحوبة بظروف إحتلال ومصحوبة بدرجة من العنف الجسدي واللفظي فإنه وبدون شك تكون التجربة ندب غائر في نفس صاحبها ويتطلب الأمر ساعتها خبرة متخصص ومجهود متميز لمد يد العلاج.

كثيرون وببساطة يعتقدون أن هناك مبالغة في طرح ضرورة علاج ضحية التعذيب الجنسي ويرى البعض أن الزمن كفيل بلئم الجرح وإن النفس الإنسانية تملك قوة التشافي. في الرأي السابق مقداراً من الحقيقة لا يمكن نكرانها. نعم إن النفس الإنسانية تملك قوة تشافي حين يكون الألم بسيط. إن الجرح النفسي الغائر مثل جروح التعذيب الجنسي النفسية يحتاج أصاحبها مساعدة من متخصص ذو خبرة في العلاج. إن بعض ضحايا التعذيب الجنسي ابتعدوا عن العلاج من باب الخجل أو الخوف من الفضحية أو من باب الإهمال أو حتى المبالغة في مقدرتهم على مساعدة أنفسهم بدون عون متخصص نفسي. الدراسات السابقة لضحايا التعذيب الجنسي في ظروف الحروب والإحتلال تؤكد أن ما حدث من تعذيب جنسي أياً كانت صورته هو جزء من التاريخ الجنسي للضحية والذي سيبقى جرح نازف وإن لم يظهر حتى تمتد يد متخصصة لعلاجه (Renshaw 1989). إن تجاهل التحدث عن تجربة التعذيب الجنسي يؤدي إلى انعدام الإستقرار وإنعدام التكيف في حياة الضحية العاطفية والجنسية والإجتماعية بشكل عام. إن التعذيب الجنسي بكل صوره أفضل أن يعلن فيه الضحية حاجته للعلاج. الضحية قد تبدي عدم الحاجة للعلاج، ساعتها يجب أن يكون هناك

متخصص أو مسؤول يوضح له أو لها مدى هذه الحاجة. إن الأبحاث تؤكد على مدى ضرورة وحاجة ضحية التعذيب الجنسي إلى المتابعة المتخصصة التي تمتد لسنوات عديدة حتى تعود الضحية إلى توازنها النفسي. وفي الدول التي يدرك المعالجون فيها حجم التلف النفسي الحادث من التعذيب الجنسي يرون ضرورة أن يأخذ العلاج سنوات وليس أشهر. لقد وجد أن هذا النوع من التجربة القاسية قد تظهر آثاره وحتى بدون مقدمات بعد مدة طويلة بأي عرض نفسي على الضحية سواء كان عدوان موجه للذات أو للآخرين (Damroch 1985; MacGregor 1985).

إن كلا من العدوان الموجه للذات أو للآخرين أمراً يجب أن نضعه باعتبارنا كأثر من آثار الإحتلال بشكل عام وأثر من آثار التعذيب الجنسي. إن إصدار العدوان قد يكون من قبل ضحية التعذيب نفسه أو المحيطين الملتصقين به أو حتى من قبل أفراد المجتمع المتألم الغاضب لتعرض أفراده لهذا النوع من التعذيب. ولعله يجدر بنا أن نذكر بأننا قلنا وكتبنا وبالخط العريض هذا التحذير صراحةً في سلسلة مقالات «إختلال ما بعد الإحتلال» التي نشرناها في جريدة الوطن بعد التحرير مباشرة. لقد كان تحذيرنا متمثلاً بضرورة معالجة الإنسان الكويتي بعد الإحتلال مباشرة وتوقع حدوث عنف خارج عن الطبيعة المسالمة للإنسان الكويتي. لقد حدث ما توقعناه وما زال يحدث. إن هذا العنف الملموس الذي نعايشه أمراً ليس مستجداً في مجتمعنا. إن الدراسات التي طبقت على مجتمعات مرت بظروف شبيهة بظروفنا تؤكد أن الوقت وحده وبدون مساعدة متخصصين غير كفيل بالعلاج. وإن معدل الجريمة والعنف يزداد في المجتمعات بعد أزمات الحروب (Archer and Gartner 1979).

وحتى نسعى إلى سلامة الإنسان الضحية من أذية نفسه أو إسداء الأذى لغيره وحتى نتجنب واقع علمي يؤكد أن إهمال ضحية اليوم قد يولدها

كمجرم الغد، نؤكد بضرورة علاج ضحايا التعذيب الجنسي (Charny 1973; Sugar 1985) .

إن التعامل مع ضحايا التعذيب بشكل عام ومع ضحايا التعذيب الجنسي بشكل خاص والذي تم في الكويت وفي بداية التحرير بالذات إرتكب به أخطاء مهنية كبيرة. وعلى رأسها خطأين:

أ) عدم التعامل السري مع تجربة الضحية.

ب) قيام فئة الغير متخصصين بلعب دور المعالج.

وإذا وجدنا للنقطة (أ) عذراً بكون الوضع كان وضع توثيق اختلطت به أمور كثيرة وكان له ظروف خاصة. فإن النقطة (ب) ظلت مسؤولية كثيراً من المتخصصين النفسيين بدرجة معالج علمي والذين سمحوا أن يجلس على كرسي المعالج فئة لا تحمل بكلوريوس بعلم النفس وهو أضعف الإيمان. وحتى لا نجحف الكل نقول أن هناك فئة اندفعت للمساعدة بحماس انساني وفئة كانت راغبةً في تقديم العلاج من قناعة خاصة بقدرتها في ذلك وإن لم تحمل التخصص. وتبقى النية شيء والقدرة العلمية شيئاً آخر. هناك فئة جاءت كذلك مدفوعةً بنزعة الفضول ولم يردعها أحد عن ذلك.

ولعل ما يؤلم أنه وبعد مرور أكثر من عامان على التحرير من الإحتلال هناك تخبطات ما زالت تمارس في مجال علاج ضحايا التعذيب بشكل عام وضحايا التعذيب الجنسي بشكل خاص.

***

بعد تلك المقدمة والتي تلت تساؤل بدأنا به «وماذا عن العلاج؟» فإن السؤال التلقائي الذي سيطفر في عقل القارىء هو «وكيف يكون العلاج»؟

إن الخوص في علاج ضحايا العنف الجنسي وضحايا التعذيب الجنسي

وحتى ضحايا الإغتصاب العادي هو خوض ليس سهل من ناحية نوع التداول ومن ناحية كم الكتابة العلمية. هذا الكتاب كان في أساسه وثيقة للجريمة الجنسية للجيش والمخابرات والشرطة العراقيين في دولة الكويت أثناء إحتلال السبعة أشهر. وثيقة أردنا بها وبلغة سهلة أن نرصد الجرائم الجنسية ومن تجربة ذاتية مع ضحايا التعذيب الجنسي أثناء الإحتلال وبعد التحرير. لقد راعينا في هذا الكتاب الذي نفضل أن نسميه «وثيقة» عرض الجرائم الجنسية التي حدثت، وصف شخصية القائم بالتعذيب الجنسي والآثار النفسية لضحايا التعذيب. إن العلاج يحتاج لغة متخصصة وعرض لتكنيك العلاج علميا. وإن كنا نرتئي أن نضع في إعتبارنا أن فئة ضحايا التعذيب تحتاج إلى تزويدها بطريقة علاج ذاتي بلغة يفهمها ويطبقها حتى مَن هو غير متخصص في علم النفس.

نعم إن علاج ضحايا العنف الجنسي موضوع سنفرد له كتاب لوحده آملين أن يكون مرجع علاجي. كما كان أملنا أن يكون هذا الكتاب وثيقة تاريخية نفسية ضمن وثائق الإحتلال العراقي لدولة الكويت.

من ملفات ضحايا التعذيب

الفريق النفسي ـ لجنة مناهضة التعذيب

الجمعية الكويتية للدفاع عن ضحايا الحرب

الملاحظات

1) رقم الملف المدون هو الترقيم الواقعي للملفات الخاصة بضحايا التعذيب في الجمعية الكويتية للدفاع عن ضحايا الحرب.

2) ثم معاملة وتعذيب فئة «البدون» من قبل الجيش والمخابرات العراقية على أنهم كويتيون وبالتالي فكل حالة بدون تعامل كضحية تعذيب كويتي.

3) معظم المعلومات المدونة في الملف نُقلت كما هي حسب تدوين المتطوعين الغير مدربين بعد التحرير مباشرة. وقد عمل على بعض منها تعديلات لغوية بسيطة.

4) الأعراض المدونة هي بعض الأعراض النفسية والجسدية التي دُونت حين مقابلة الضحايا بعد التحرير بفترة ليست طويلة.

الملف	الجنسية	الجنس	التعذيب	الأعراض المدونة
6	لبناني	ذكر	تعليق من اليد؛ خلع الأظافر؛ ضرب بالسوط؛ التعليق من الرجل؛ فلقة؛ تعريته؛ ربط قضيبه برباط محكم أدى إلى نزف؛ صعقات كهربائية قوية في الأذن جعلته يعض على لسانه؛ سب.	اكتئاب؛ صعوبة نوم؛ كوابيس بالأحداث التي مر بها؛ أسى نتيجة التعذيب الجنسي؛ ضعف سمع؛ آلام في الركبة.
7	كويتي	ذكر	ربط العين بقوة؛ فلقة؛ حرق الجسد بالسجائر؛ تهديد بالإعدام؛ نتف اللحية؛ ضرب بالمسدس على الرأس؛ سب وشتم؛ مشاهدة أجساد كويتية أكوام تأن ومغمى عليها من شدة التعذيب.	آثار تشوه القيود على اليد والقدم البول مخلوط بالدم؛ تشوه اسفل العين.
9	بدون	ذكر	ربط بالسرير وضرب على كل أجزاء الجسم؛ حمل الإبن وعمره خمس سنوات وتعليقه من رجليه كالبندول؛ تعليق الإبن من أذنيه؛ ضرب الأب الكبير.	شعور بالحزن؛ شعور بالألم على الطفل الذي تعرض لهذه التجربة.

الملف	الجنسية	الجنس	التعذيب	الأعراض المدونة
1i	كويتية	انثى	إجبار على خلع الحجاب والملابس والبقاء في الملابس الداخلية؛ رأت غيرها من كويتيات فقط بملابسهن الداخلية؛ ضرب؛ شد شعر؛ الحرق بأسلاك وبسيجارة؛ استخدام حديدة مدببة لخدش الجلد؛ رأتهم يثقبون قدم رجل كويتي؛ رأتهم يسخنون حديدة دائرية لحرق كويتيين.	
14	كويتي	ذكر	استخدام الكهرباء على الجسم؛ الكي بحديدة مدورة؛ حرمان من الطعام؛ ربط اليد والعينين؛ ضرب الأطراف بواسطة الرشاش والمسدس؛ وضع في غرفة حمراء محجوبة عن الشمس؛ التعليق والضرب؛ كهربة الجهاز التناسلي.	عدم توازن؛ احساس دائم بالدوران؛ عصبية شديدة؛ آلام في المعدة.

الملف	الجنسية	الجنس	التعذيب	الأعراض المدونة
15	كويتي	ذكر	ضرب بالعصى البلاستيكية على الكتف والظهر؛ ضرب على الجهاز الجنسي؛ فلقة؛ ربط القضيب بخيط بلاستيك والإرغام على شرب كمية من الماء ومنع الذهاب للحمام؛ التعليق على ارتفاع قليل من الأرض؛ ضرب على المثانة؛ سجن انفرادي؛ تهديد بالإعدام	عدم قدرة على التركيز؛ انخفاض قدرة التذكير؛ رجفة شديدة في اليد.
16	كويتية	انثى	ضرب الجسم بأشكال مختلفة باليد والعصا والعصا المكهربة؛ صب بنزين عليها؛ تعذيب آخرين بالحرق أمامها؛ ضرب أولادها أمامها؛ قضاء الضباط أسبوع معها ومع أولادها؛ وضع كهرباء في جسمها وفي أجهزتها التناسلية مما أدى إلى نزيف في الرحم مرتين.	عصبية مع الأولاد؛ عدم قدرة على التركيز؛ اضطراب في النوم.

الملف	الجنسية	الجنس	التعذيب	الأعراض المدونة
17	كويتي	ذكر	سجن انفرادي؛ ضرب بعصا مطاط؛ تهديد بالقتل؛ تعذيب صديقه أمامه؛ تهديد بتدخيل اسياخ في الجسم؛ وضع شريط لاصق على الفم لمنعه من الكلام؛ سوء تغذية؛ وخز بالإبر؛ وضع حديدة ولفه بها بطريقة العصر، سحب الجسم بكماشات حديد؛ ضرب بالساطور على الكتف؛ وضع السلاح على الرأس ودعوته للتشهد على روحه؛ لف الساق بالعكس حتى تنكسر؛ رأى أصدقاءه يعلقون من أجهزتهم التناسلية ـ ويوضع سيخ فيهم.	اضطراب نوم؛ اكتئاب؛ كوابيس فقدان شهية؛ آلام في الجسم؛ توتر؛ حزن؛ انقباض؛ يشعر هناك من يفتح عليه النافذة ويصوب اليه السلاح؛ الشعور برجفة لرؤية دم؛ خوف من السياقة؛ يسمع أصوات التعذيب؛ يمشي حالياً على عكازات؛ يتضايق من نظرة الناس.

الملف	الجنسية	الجنس	التعذيب	الأعراض المدونة
18	كويتي	ذكر	سب؛ ضرب بالعصى؛ ضرب بالرأس وبالأرجل؛ انتابته حالة ضحك هستيري أثناء الضرب مما جعلهم يضاعفون ضربه؛ الركل بالقدم حين قيامه بالصلاة؛ وضع يده على طباخ غاز حار ليقسم على القرآن فتحترق يده؛ خلع لأظافر؛ كسر الأنف.	ضحك هستيري؛ سريع الغضب؛ آلام في الظهر؛ بتر الجزء الأعلى من اصبع السبابة نتيجة التشوه؛ تشوه في اليد نتيجة الحروق.
19	بدون	ذكر	استفزاز؛ ضرب بالحبل والخيزران؛ الحبس في اسطبل قذر؛ وضعه في مكان مدفيء رغم حرارة الجو مع تعمد اغلاق المكان؛ استخدام العصى المكهربة؛ رش سبريه حشرات في الأنف؛ الحبس في السيارة ورشها بسبري الحشرات وقفلها عليه لحد الوصول للإختناق.	

الملف	الجنسية	الجنس	التعذيب	الأعراض المدونة
23	بدون	ذكر	حرق الجسد؛ ضرب؛ اغتصاب جنسي شرجي؛ ضرب على الظهر؛ حرق الوجه والأطراف بالسجائر.	اكتئاب حاد؛ محاولتين انتحار؛ شعور بالذنب؛ كوابيس من معاناة التجربة؛ صراخ في الليل.
25	كويتية	انثى	ضرب مبرح على الوجه؛ سحب الحجاب من الرأس؛ إهانة وسب وشتم؛ توصيل وايرات السيارة على الظهر واللسان والرقبة والصدر؛ اعطاء حقن مخدرة لمدة عشرة أيام.	

الملف	الجنسية	الجنس	التعذيب	الأعراض المدونة
26	بدون	ذكر	ضرب باليد على أجزاء مختلفة من الجسم؛ ضرب بعصى خاصة بالقوات الخاصة؛ كي بالسجائر؛ ضرب بالخيزرانة على الوجه والرأس والأذن؛ تجويع ثلاثة أيام متتالية؛ إهانة لفظية؛ تعليق بالسلاسل؛ تغميض العينين؛ الباس كيس اسود تأهب للإعدام الوهمي؛ العقاب بالتعليق عند باب الزنزانة حين كان يصلي.	اجهاد؛ فقدان شهية للأكل؛ وفقدان متعة الاستلذاذ؛ تشتت ذهني؛ عدم القدرة على التركيز حين القيام بأعمال ذهنية؛ أرق كسر ضرس؛ كسر ضلع.
31	كويتي	ذكر	ربط اليدين والرجلين وتعليق بالكبلجة في اليد والضرب؛ ضرب بالخيزرانة وتوصيل الكهرباء على الثديين وعلى الجهاز التناسلي حتى الوصول للإغماء؛ غرس سيخ في الصدر؛ المسك من شعر الرأس وضرب الرأس الحائط؛ سلخ الساق.	كوابيس؛ احلام مزعجة؛ اكتئاب يشم روائح غريبة كالغاز؛ يتصبب عرق وهو يتذكر الأحداث والتعذيب.

الملف	الجنسية	الجنس	التعذيب	الأعراض المدونة
32	كويتية	انثى	ضرب مبرح على كل أجزاء الجسم باستخدام الهراوات والعصى؛ صدمات كهربائية على كل الجسم؛ سوء تغذية من ماء مالح وغيره؛ تعذيب أمام الابن البالغ من العمر 9 سنوات؛ ضرب الابن أمامها وتعليقه بالسقف وارغامه على مشاهدة كويتية تتعذب.	اكتئاب حاد؛ صعوبة نوم؛ معايشة الحالة النفسية للابن الذي تعرض للتعذيب وأصبح غاضب؛ غير مطيع؛ كثير الخروج من المنزل؛ لا ينام إلا والغرفة مفتوحة؛ تذكر خبرة الاسر مع طفلها البالغ من العمر 3 سنوات.

الملف	الجنسية	الجنس	التعذيب	الأعراض المدونة
33	كويتي	ذكر	الدخول عليه في البيت؛ حرق غرفة نومه وكتب تاريخ الكويت؛ إطفاء فوهة البندقية الساخنة في قدم طفله المعوق؛ شد شعر زوجته وضربها بالحائط وهي في قميص النوم ومنعها من لبس ملابسها، ضرب أحد أبناءه؛ ابتزاز أموال منه؛ تخريب ممتلكاته.	عصبي؛ كثير الشجار؛ قلق على أبناءه؛ زيادة في سكر الدم؛ لوم دائم للزوجة
34	بدون	ذكر	الضرب بأخمس السلاح على الكتف؛ فلقة؛ ركل الجسم؛ ضربه مطفئة السجائر؛ كي بالسجائر تهديد بالإعدام؛ أجبار على التوقيع على ورقة فيها تهم لم يقترفها؛ طلبوا منه أن يمارس الجنس مع خطيبته أمامهم؛ ربط رجليه وفتحهما عنوة؛ تعليقه وإدخاله بحوض ماء؛ إجبار الإعتراف بالجنسية الأصلية؛ ضغط على القصبة الهوائية لخنقه؛ سجن انفرادي؛ سوء تغذية؛ رش الجسد بالماء وتعريضه لصعقات كهربائية.	اكتئاب؛ ضيق تنفس؛ عدم القدرة على التركيز؛ صعوبة نوم؛ أحلام مزعجة؛ تشوهات على الظهر والرقبة والكتف التهاب في الكبد.

الملف	الجنسية	الجنس	التعذيب	الأعراض المدونة
35	بدون	ذكر	فلقة؛ تربيط؛ صعقات كهربائية؛ سكب ماء بارد على الجسم؛ تهديد باعتقال العائلة؛ حبس في قفص ضيق؛ تجويع؛ تعليق في المروحة من الرجل؛ غرس مسمار في بطن الرجل؛ سوء تغذية؛ تلطيخ الوجه بالبراز ووضعه في الشمس ليجف والإستهزاء به وبمكياج البراز على وجهه.	اكتئاب؛ قلق؛ خوف.
40	كويتي	ذكر	ضرب مبرح بالعصى على اليد والظهر؛ تهديد بالسلاح؛ صعقات كهربائية؛ وخز دبابيس على كل أجزاء الجسم؛ استخدام الفلقة؛ تهديد بالإعدام؛ إهانة وتوبيخ؛ سوء تغذية؛ حرمان من الذهاب للحمام.	تذكر الذكريات المؤلمة؛ ضيق واكتئاب؛ حروق دائمة في الجسم.
42	كويتية	انثى	اجبار الولادة في الشارع على مرآى من الجنود.	دوخة؛ آلام في الظهر والفخذين؛ عدم رغبة في الطفل المولود.

الملف	الجنسية	الجنس	التعذيب	الأعراض المدونة
43	بدون	ذكر	صدمات كهربائية؛ ضرب بالكيبل توصيل كهربائي في جهازه التناسلي؛ تركه عاري بلا ملابس؛ ضرب وترك ساعة ثم إعادة الضرب وتكرار ذلك؛ إهانة لفظية.	اكتئاب؛ عزلة ادمان؛ خمر.
44	كويتية	انثى	وضع الرأس بماء مكهرب؛ الإجبار على شرب ماء قذر؛ الضرب بكعب السلاح؛ اجبار النوم على الزجاج؛ حرق بالسجائر؛ الإجبار على مشاهدة كويتي يعدم.	آلام؛ احلام مزعجة.
51	كويتي	ذكر	شتم؛ ضرب؛ الحبس في غرفة مظلمة؛ سكب المشروب على الرأس؛ رمي القمامة عليه.	
54	كويتي	ذكر	فلقة لمدة أربع ساعات متواصلة؛ خلع أظافر القدم اليمنى؛ ضرب بالحذاء العسكري؛ ضرب بالسلاسل؛ صدمات كهربائية.	

الملف	الجنسية	الجنس	التعذيب	الأعراض المدونة
59	كويتي	ذكر	صعق كهربائي في الجهاز الجنسي؛ ضرب بالهوز؛ ضرب بهوز مملوء بالحصى.	
63	كويتي	ذكر	تهديد بالقتل؛ ضرب مبرح؛ حرق الجسم بالسجائر؛ شتم.	يشم رائحة عطب اسلاك كهربائية.
65	كويتي	ذكر	ضرب مبرح على كل أجزاء الجسم؛ تعليق في المروحة وتشغيلها لدرجة إغماءه؛ ضرب بالهوز والعصى؛ تعرض لصعقات كهربائية على الجسم؛ الإرغام على بلع عقاقير هلوسة.	الحديث غير مترابط؛ فقدان جزئي للذاكرة؛ رعشة حادة في اليد.
66	بدون	انثى	حرق سجائر بالنصف السفلي من جسمها للتأكد بأنها مشلولة؛ ضرب على الوجه؛ تحطيم الكرسي الخاص المتحرك بها كمعوقة؛ تركها تتبول على نفسها في أرضية المخفر لعدم قدرتها كمشلولة على السير.	ضعف نظر نتيجة الضرب.

الملف	الجنسية	الجنس	التعذيب	الأعراض المدونة
68	بدون	ذكر	اعتقال الزوجة وتهديده باغتصابها أمامه؛ تهديده بالإعدام؛ الضرب.	جرح عميق في الفخذ؛ تشتت ذهني.
71	كويتي	ذكر	ضرب بواسطة جسم صلب على الجذع والأطراف؛ ضرب على الأذن اليمنى؛ ضرب على العين؛ صدمات كهربائية في الجمجمة والجهاز التناسلي.	آثار ضرب على الجذع والأطراف؛ اصابة الأذن؛ اصابة العين؛ صداع مستمر؛ مشاكل سمع.
72	كويتي	ذكر	ضرب بعصى سميكة؛ تكحيل العين بشرطها بقطعة حديد أدت إلى جروح؛ حرق اليد؛ تلبيس حذاء كهربائي؛ خلع الأظافر؛ ضرب متواصل على الكوع؛ فلقة؛ الضرب على الظهر؛ إحضار زوجته الحامل والتهديد بفتق بطنها أمامه.	لا يسمع من الأذن اليسرى؛ لا يرى من العين اليسرى؛ فقدان ذاكرة جزئي؛ نسيان.
74	كويتي	ذكر	إجبار الجلوس على بطل في فتحة الشرج؛ الضرب؛ رؤية ناس تتعذب.	امساك؛ صرع؛ حكة شديد في الجسم؛ دوخة.

الملف	الجنسية	الجنس	التعذيب	الأعراض المدونة
78	كويتي	ذكر	الضغط على الأعضاء الجنسية بواسطة جهاز خاص بذلك؛ الضرب بسلسلة؛ تنتيف شعر الجسم خاصةً شعر العانة؛ القاء مادة تسبب حكة في الجلد.	تنميل في الجسم آلام في الظهر.
79	كويتي	ذكر	تعليق من اليد للخلف وضرب بكعب السلاح؛ الدوس بالأقدام على منطقة الرقبة والظهر؛ استمرار ضرب على اليدين بواسطة بايب بلاستيك؛ تهديد بزيادة التعذيب لحد الموت وتهديد بتعذيب الأهل؛ حبس انفرادي بغرفة مظلمة قذرة؛ إلقاء على الظهر وربط اليدين متباعدتين وسحبهما؛ ربط اليدين من الرسخ وتعليق بالسقف؛ الفلقة الشديدة على القدم ثم سكب ماء بارد عليها؛ ضرب على الأرجل باستخدام عصاه بلاستيكية؛ محاولة اغتصاب؛ سحب على الأرض والسلم (الدرج)؛ ضرب الرأس بباب الزنزانة؛ ضرب الجسم بالأسلاك؛ مشاهدة معذبين فقدوا عقولهم.	اكتئاب؛ عدم القدرة على التركيز؛ احلام مزعجة؛ كوابيس؛ قلق واضطراب في النوم؛ احتقان في الجسد.

الملف	الجنسية	الجنس	التعذيب	الأعراض المدونة
81	كويتي	ذكر	الضرب بخرطوم الماء؛ فلقة؛ ضرب بالأيادي والأرجل وربط وتعليق بالسلاسل؛ استخدام الكهرباء؛ تعليق على الباب؛ كسر اليد بمطرقة؛ تهديد بالإعدام؛ إعدام متهمين أمامه؛ توصيل الكهرباء بجهازه التناسلي؛ وضع جهازه التناسلي بين طابوق حتى يصل للنزف.	تشوه في يده المكسورة والمحروقة.
83	بدون	انثى	الضرب بواسطة خيزرانة، حرمان من الأكل والماء؛ ربط العين؛ رفس وضرب على الوجه وشنق زوجها وحرقه أمامها؛ الأسر مع الابن البالغ من العمر أربعة أشهر.	آلام في الأذن؛ اضطرابات نوم؛ ضيق تنفس؛ صرع خفيف.
94	كويتية	انثى	ضرب باليد والعصى اثناء الصلاة؛ حرق بالسجائر والسخان الكهربائي؛ تعليق من اليد في الحائط؛ اجبار السير على اسفنجة فيها مسامير؛ شتم وكلام جارح.	نسيان وصعوبة تركيز.

الملف	الجنسية	الجنس	التعذيب	الأعراض المدونة
99	بدون	ذكر	سرقة خاتم اليد وذلك باخراجه عنوة بطريقة ايذاء الأصبع لدرجة استلزمت قطعه بعد ذلك.	
102	كويتي	ذكر	ضرب في أنحاء مختلفة من الجسم؛ تهديد بالإعدام؛ شاهد زميله يتطاير أشلاء جراء قنبلة؛ حلق الشعر؛ اهانة بالشتم؛ رأى إخوانه يعذبون؛ حبس في الحمام؛ رأى نساء معذبات ومعتقلات؛ رأى كويتية تعمل خادمة للجنود.	
103	بدون	ذكر	ضرب بهوز مملوء بالرمل؛ حرق الأقدام؛ اجبار على شرب ماء قذر؛ ربط جهازه التناسلي بخيط نايلون في نهايته نقل وحذف الثقل إلى أسفل؛ اغتصاب فتاة عمرها 14 عام أمام عينيه.	اكتئاب؛ كوابيس؛ احلام مزعجة؛ عدم قدرة على التذكر

الملف	الجنسية	الجنس	التعذيب	الأعراض المدونة
105	بدون	ذكر	ربط العينين وتقييد اليد؛ ضرب وركل على الجسم وخاصة على الجهاز التناسلي؛ خلع الأضراس الخلفية؛ ضرب العين اليسرى بدرنفيس؛ ربط رجله أو بطحه على الأرض وارتماء جندي سمين عليه؛ حقن بالمورفين؛ التبول عليه؛ اغتصاب فتاة كويتية أمام عينيه؛	آلام في الظهر؛ عدم قدرة على المشي؛ التبول دم؛ كسر ضلعان؛ تجمع الدم في العين اليسرى؛ كسر الذراع اليسرى؛ كسر الساق؛
106	كويتي	ذكر	ضرب باليد؛ ضرب بالعصى؛ وضع الكهرباء؛ في أنحاء مختلفة من الجسم؛ ضرب على الوجه لدرجة تكسير الأسنان؛ وضع كهرباء على الجهاز التناسلي؛ اجبار على الجلوس على قناني زجاجية مكسورة في فتحة الشرج؛ التهديد بإحضار الزوجة والإعتداء عليها؛ وضع حلقات حديدية على الأذن والأسنان وتوصيل كهرباء فيها؛ خلع الملابس والإستهزاء به؛ تعذيب أهله؛ تعذيب كويتية أمامه.	فقدان جزئي من الذاكرة؛ اضطراب نوم.

الملف	الجنسية	الجنس	التعذيب	الأعراض المدونة
107	مصري	ذكر	تقبيل صورة مكهربة لصدام حسين؛ ضرب بالعصا المكهربة على جهازه التناسلي؛ تقييد اليدين والرجلين وضرب بواسطة مواسيير المجاري على الظهر والمؤخرة؛ شد الأصابع بمقابض حديدية؛ كسر الساق؛ وضع حلقة بلاستيكية حول الرقبة يجر منها حتي الإحتناق؛ اغتصابه جنسياً؛ غرس سجائر في سطل به بول وبراز وطلب منه تدخينها.	
108	بدون	انثى	سجن انفرادي؛ اهانة لفظية؛ بصق عليها؛ ركل بالأرجل على جميع أنحاء الجسم؛ الضرب بالسوط على الظهر؛ الحرق بالسجائر؛ شد الشعر؛ سوء التغذية؛ التعرض لصعقات كهربائية؛ توصيل اسلاك كهربائية مغموصة بالماء على كف اليد.	عدم قدرة على التركيز؛ نسيت اسم امها بعد الإفراج؛ صعوبة النوم؛ أحلام مزعجة؛ اكتئاب؛ تشعر بأنها قريبة من الجنون.
110	كويتي	ذكر	اجباره بمسك لغم أدى إلى تشوه يده بعد انفجاره؛ ضرب.	

الملف	الجنسية	الجنس	التعذيب	الأعراض المدونة
112	بدون	ذكر	الضرب بعصى، باسلاك، وبعصا كهربائية؛ تهديد بحقن ابر الإيدز؛ تهديد بتعذيب الأهل.	
115	بدون	ذكر	الضرب باليد على كل أجزاء الجسم؛ تهديد بالإعدام؛ حبس بثلاجة الأحياء؛ رش بالماء البارد في الشتاء؛ تعذيب اسرى أمامه بوضع الكهرباء في أجهزتهم التناسلية حتى فقدوا عقولهم؛ سوء تغذية.	قلق؛ خوف شديد؛ غضب؛ احلام مزعجة.
123	كويتية	انثى	ضرب مبرح على جميع أجزاء الجسم؛ توجيه اهانات وشتائم؛ تكرار محاولات الإغتصاب بتقطيع الملابس؛ صدمات كهربائية على اليد والقدمين.	احلام مزعجة بما حدث.
125	بدون	ذكر	ضرب على أجزاء مختلفة من الجسم؛ حرق الظهر بواسطة قضيب معدني؛ ادخال زجاجة مرطبات في الشرج وتعذيبات جنسية أخرى.	عدم ثقة بقدراته الجنسية.

الملف	الجنسية	الجنس	التعذيب	الأعراض المدونة
133	بدون	ذكر	ضرب بعصا جديد؛ استخدام الدرل لثقب الرجل؛ ضرب على الأظافر أدى إلى خلعها؛ تعليق من اليد المربوطة للخلف والضرب؛ وضع خوذة كهربائية وصعق كهرباء على الرأس؛ حرق اللحية بولاعة؛ شتم وإهانة لفظية.	نسيان مستمر.
134	كويتي	ذكر	إهانة؛ أمر إجباري بالوقوف على الرجل يوم كامل.	
135	كويتي	ذكر	خلع الأظافر؛ تمزيق الجسد بموس حلاقة؛ ضرب.	صعوبة بالنوم؛ صعوبة تركيز في القراءة.

الملف	الجنسية	الجنس	التعذيب	الأعراض المدونة
136	بدون	انثى	ضرب بالعصا والركل بالقدم؛ صعق كهربائي؛ تعذيب معتقلين أمامها؛ إدخال زجاج مطحون في الأجهزة التناسلية؛ رؤية شاب كويتي يجبر على اغتصاب كويتيات؛ اعدام كويتيات أمامها؛ اجبارها على مشاهدة كويتي يتم حفر جسمه بالدريل وحين صدت بوجهها ثم تهديدها بحرق وجهها؛ شاهدت كويتية يوضع في يدها قنبلة وتنفجر فيها؛ تهديد بقلع العين.	اكتئاب؛ عدم نوم؛ عدم القدرة على التركيز؛ التهاب في العظام؛ جفاف عام؛ تشنجات عضلية.
137	كويتي	ذكر	ضرب حتى الإغماء توصيل كهرباء على جميع أجزاء الجسم؛ توصيل الكهرباء على الأجهزة التناسلية	اكتئاب نفسي؛ فقدان شهية؛ فقدان حاسة الشم؛ توهم شم مادة غاز؛ خوف من فقدان القدرة الجنسية؛ شعور مستمر بالاجهاد.

الملف	الجنسية	الجنس	التعذيب	الأعراض المدونة
138	كويتي	ذكر	ضرب على الجسم كله؛ حبس في صندوق بضائع 6 أيام مع فئران؛ حبس في سجن به كلاب وغربان وخفافيش؛ سوء تغذية.	آلام وتشنج بالركبة؛ اضطراب في النوم؛ شعور بتعب عام؛ صعوبة التفكير أو التركيز؛ بكاء وانقباض؛ شم روائح غريبة؛ ضيق من مراقبة الناس له.
143	بدون	ذكر	كهرباء وعصا بلاستيكية للضرب؛ اجباره على رؤية كويتيون يعذبون؛ إعدام صديقه أمامه بالرصاص؛ رأى كويتي وقد وضع بايب في قضيبه وهو ممدد وحين ضغط على البايب انتفخ بطنه وجحظت عيونه وتغير لون وجهه؛ وجد ثلاث كويتيات عاريات معلقات وقد غرس دبوس بصدورهن وفيه ورقة تحمل اسماءهن؛ رأى شباب معلق في السقف ومقلوع العينين.	توتر؛ ضيق تنفس.

الملف	الجنسية	الجنس	التعذيب	الأعراض المدونة
146	كويتي	ذكر	الضرب بمؤخرة السلاح على الفم؛ الإرغام على وضع اليد في مجاري ماء الحمام ثم وضع اليد في الفم وحين التقيؤ يجبر على شرب ما تقيأه؛ الحرق بأعقاب السجائر على اليد والصدر؛ الضرب على جميع أجزاء الجسم.	
149	كويتي	ذكر	التعليق من الرجل والضرب بالهوز والعصا والأيادي؛ التعليق من اليد بالباب؛ الركل بالقدم؛ تهديد بالقتل والإعدام وذلك بوضع الرشاش في الرأس.	
153	كويتي	ذكر	حرق بالسجاير؛ ضرب بالفلقة؛ استخدام الكهرباء على اليد؛ وضعه في ماء مكهرب؛ تجليسه على قناني زجاجية مكسورة؛ ضرب زوجته وأطفاله.	

الملف	الجنسية	الجنس	التعذيب	الأعراض المدونة
156	كويتي	ذكر	ربط اليد في الباب والسحب من فتحات الزنزانة حتى كسر كتفه؛ ضرب حتى الإغماء؛ تعليق من الرجل في السقف؛ ضرب بالفلقة والكيبلات؛ تهديد بالإعدام؛ الوضع في صندوق السيارة.	اكتئاب؛ احلام مزعجة؛ ارهاق؛ آلام في الظهر؛ والكتف الأيمن.
157	كويتي	ذكر	ربط اليد من الخلف وتعليق بالمروحة وتشغيلها؛ وتعليق بالباب والضرب؛ ضرب وطعن بالحربة والسكين العسكرية؛ بصق في الوجه.	

الملف	الجنسية	الجنس	التعذيب	الأعراض المدونة
162	كويتي	ذكر	وضع زجاج مطحون على الظهر وضربه ليدخل الزجاج في الظهر؛ تعليق من اليد وهي مربوطة للخلف حتى ينكسر الكتف؛ صعقات كهربائية على الأذن والركبة والأجهزة التناسلية؛ تهديد بالجلوس على القناني المكسورة؛ القيام بتمثيلية إعدام وهمية بالرصاص؛ ضرب الزوجة أمامه؛ نزع شعر اللحية؛ الركض والضرب أثناء الركض؛ سكب ماء بارد على جسده في الشتاء؛ تقديم ماء شرب به دود.	فقدَ 30 كلغ من وزنه الطبيعي؛ ضعف سمع؛ آلام في الركبة؛ عدم تذكر بعض الأصدقاء؛ شهية للأكل قليلة؛ شعور بأن طعم الأكل مختلف؛ سرحان؛ تذكر خبرة التعذيب.
163	بدون	ذكر	غرس ابر مخدرة في العضل واليد؛ ضرب بهوز الماء والكيبلات.	
171	بدون	ذكر	صفع على الوجه؛ ضرب برجل السرير الخشبية؛ ضرب على البطن؛ فلقة؛ تسميعه صراخ أطفال؛ الإجبار على شرب سائل مجهول سبب له حساسية.	آلام مبرحة في الظهر؛ ضيق تنفس؛ تذكر دائم للأحداث.

الملف	الجنسية	الجنس	التعذيب	الأعراض المدونة
172	بدون	انثى	تعذيب على الرقبة والأذنين والوجه أدى إلى نزيف في الأذنين.	اختفاء الصوت لمدة اسبوع بسبب التعذيب؛ الصوت بعد مدة من الحديث يتغير ثم يختفي.
180	كويتي	ذكر	ضرب على الظهر والرقبة والعصعص والخصيتين؛ التعليق.	آلام في الرقبة وأسفل الظهر؛ خدور في الجانب الأسفل من الجسم؛ ورم في الخصيتين.
182	بدون	انثى	تعذيبها وهي حامل أدى إلى حدوث إجهاض.	ألم في الظهر؛ توتر؛ قلق؛ التهابات مهبلية.

الملف	الجنسية	الجنس	التعذيب	الأعراض المدونة
186	كويتي	ذكر	ضرب بالخيزرانة واسلاك الكهرباء والكابل على الأذن والظهر والجسم كله؛ استخدام كماشة للإمساك بالأنف والأذن والأطراف؛ سكب ماء حار مباشرة بالفم.	آلام في الرجل اليسرى والأذن اليسرى؛ يشم روائح غريبة من دخان وغاز.
187	كويتي	ذكر	ضرب بالخيززانة؛ اجبار على توقيع تعهد بالتعاون.	
188	بدون	ذكر	وضع اليد على مصحف حديد مكهرب، الإجبار على تقبيل صورة صدام حسين مكهربة؛ حين رفض التقبيل ضرب على الرأس بعصى في رأسها دبابيس؛ وضع قطنة مبللة بمادة على العين تفقد البصر بشكل مؤقت؛ ضرب على الأظافر أدى إلى التشقق والسقوط؛ اجبار الجلوس على أطراف الأصابع بطريقة القرفصاء في غرفة فيها ماء والتهديد بالإعدام لو لامس الماء كعب القدم، شاهد كويتية تُضرب على بطنها حتى ماتت؛ امروه بالمرور خلف ستارة وضربه وهو خلفها.	

الأعراض المدونة	التعذيب	الجنس	الجنسية	الملف
	ضرب مبرح من قبل كل جندي دون معرفته التهمة؛ استخدام الفلقة؛ حرق اليد بقطعة حديد حارة؛ تهديد بالصعقة الكهربائية وبالتعليق من الجهاز التناسلي.	ذكر	بدون	191
آثار حروق.	ربط اليد؛ ضرب شدي على الوجهن؛ حرق الجسم بالسجائر؛ اعدام ستة أشخاص أمامه؛ حرق شخص حي أمامه؛ ضرب الزوجة وطفلته البالغة سنة وخمسة أشهر أمامه؛ تهديد بالقتل؛ تهديد بإدخال زجاج في المثانة.	ذكر	بدون	197
	فلقة؛ ضرب بالهوز والوايرات الكهربائية؛ تعليقه من يده بجهاز العاب رياضية؛ تعريضه لرؤية كويتيون يُضربون؛	ذكر	كويتي	198

الملف	الجنسية	الجنس	التعذيب	الأعراض المدونة
199	بدون	ذكر	تعليق بالباب؛ ضرب مبرح؛ حرمان من الطعام لمدة ثلاثة أيام؛ تعليق ثقل بالرقبة يشده للخلف؛ ضرب بحديدة على الرأس؛ حبس في غرفة مظلمة.	تعب نفسي عام؛ تشوه في الجسد نتيجة التعذيب.
204	كويتي	ذكر	ضرب شديد على كل أجزاء الجسم إلى درجة نزيف من كل الجسم؛ صعق كهربائي على أماكن الجروح وعلى الرقبة والأذنين؛ تركيز الضرب على الرجل اليمنى؛ غرس اسلاك كهربائية وتمرير تيار كهربائي على الأفخاذ؛ ضرب بطابوق على اليد لتهشيم الأصابع؛ الإجبار على توقيع موافقة بإعدامه.	دوران؛ دوخة إلى درجة الإغماء؛ شرود ذهني.
206	كويتي	ذكر	فلقة؛ ضرب بحديدة وبلوح خشبي على الصدر والظهر؛ ربط اليدين والسحب على البطن بسيارة جيب؛ كي بالسجائر؛ رش الصابون بالعين والأنف والأذن؛ تهديد بقص زوائد اللحم في صدره؛ تهديد القتل بالرشاش.	

الملف	الجنسية	الجنس	التعذيب	الأعراض المدونة
208	بدون	ذكر	ضرب بالأيدي والأرجل وأخمس البندقية وبواسطة الهوز على كل أجزاء الجسم؛ وضع سلندرين غاز على الظهر في صندوق السيارة؛ ضرب بهوز محشو بحديد على الجهاز الجنسي.	
209	بدون	ذكر	قلع الأظافر؛ تمزيق الجسم بموس حلاقة وهو معلق ووضع ملح في الجروح؛ سكب شاي حار على الرأس؛ تهديد بالرمي بالرصاص.	أحلام مزعجة؛ غثيان مستمر؛ توتر وغضب؛ تنتابه حالات من الضحك والبكاء الهستيري.
211	بدون	ذكر	ربط العين؛ حرمان من الأكل والشرب لمدة 12 ساعة؛ ضرب بالخيزرانة؛ لسع بالعصى الكهربائية تحت الإبط والجهاز التناسلي؛ تقيده بعامود وسكب ماء طين عليه؛ تهديد بالإعدام بمسدس موجه للأذن؛ قضاء الحاجة بنفس الغرفة؛ وضعه في حجرة مكيفة في الشتاء؛ اعدام شخص أمامه.	نوم مضطرب؛ احلام مزعجة؛ سرعة غضب.

الملف	الجنسية	الجنس	التعذيب	الأعراض المدونة
213	كويتي	ذكر	ضرب مبرح بالعصى؛ صعقات كهربائية على الصدر؛ تهديد الشنق بالمروحة؛ تهديد القتل بالمسدس؛ إرغام على فتح الرجلين والهرولة بشكل مضحك؛ تعليق من الرجل بسلسلة في المروحة؛ إجبار على ابتلاع حبوب يجهلها؛ ضرب بحديدة على البلعوم للتأكد من أن الحبوب قد دخلت؛ القاء اعقاب السجائر في الفم؛ حين الشكوى من ألم الأسنان ثم وضع أعقاب سجائر وأعواد ثقاب في الفم وأمر بيلعها.	
224	بدون	ذكر	ضرب بالهوز؛ توصيل كهربائي على الأذن والرأس؛ تعليق ثقل مربوط بجهازه التناسلي بواسطة خيط نايلون.	آلام؛ كسور؛ نسيان؛ فقدان شهية الأكل.

الملف	الجنسية	الجنس	التعذيب	الأعراض المدونة
240	كويتية	انثى	كهرباء على الجسم وضرب مبرح بالخيزرانة؛ الضغط على الرأس بالحذاء؛ استخدامها كخادمة في المعتقل؛ اجبار على الوقوف في المطر الغزير وجمع ماء المطر وشربه؛ تعليق ابنتها أمامها؛ شطبها بالسكين.	
243	بدون	انثى	خلع العباءة وغطاء الرأس عنوة؛ رفع الرجلين خلف الكتف وربطهما؛ تكرار الإغتصاب وهي مربوطة؛ إهانة لفظية متكررة؛ إطفاء السجائر في فتحة الشرج وفي منطقة ما بين فتحتي الشرج والمهبل أثناء الإغتصاب؛ ضغط على البطن بالحذاء العسكري لإخراج السائل المنوي؛ الضحك والإستهزاء نتيجة خروج صوت من المهبل؛ ضرب بالواير واليدين مربوطتين.	اكتئاب شديد؛ بكاء مستمر؛ كوابيس وقلق نوم؛ جرح في الرحم؛ نزيف في الرحم.

الملف	الجنسية	الجنس	التعذيب	الأعراض المدونة
247	بدون	ذكر	تكبيل اليدين؛ ضرب شديد بالهوز والكبيلات؛ تهديد بالإعدام؛ الحجز في الغرفة الحمراء (غرفة فيها ضوء أحمر) لمدة ثلاثة وعشرين يوم؛ وضع الكهرباء على الأذن؛ تعليق بالونش؛ الحبس في غرفة أقل من متر X متر؛ التغذية بخبز معفن؛ الأخذ إلى الغرفة البيضاء (غرفة تعذيب).	دوخة؛ ألم في الأذن اليسرى؛ حرقان في العين؛ فقدان ذاكرة، نسيان؛ فقدان شهية الأكل.
248	بدون	ذكر	ضرب على كل الجسم؛ نتف شعر شاربه؛ حرق ملابسه عليه؛ الإرغام على شرب ماء المرحاض.	حرق في اليدين والرجلين؛ آلام في المعدة شديدة.
249	كويتي	ذكر	ضرب مبرح؛ ركل؛ كهرباء في الجهاز التناسلي؛ الحبس بغرفة ضيقة ومظلمة؛ أكل سيء؛ شرب ماء ملوث؛ تعليق بالمروحة.	تعب نفسي؛ آلام على الجنبين بحيث يصعب النوم.

الملف	الجنسية	الجنس	التعذيب	الأعراض المدونة
252	لبناني	ذكر	فلقة؛ ضرب مبرح على الجسم؛ تعليق بالمروحة من الأرجل؛ قلع الأظافر ووضع الأصابع في محلول ملحي؛ تجويع؛ تهديد بالإعتداء الجنسي على الأهل؛ تهديد باستخدام الكهرباء.	تذكر مستمر للتعذيب الذي حصل؛ شعور بالغضب؛ آلام في اليد؛ آلام في الظهر.

المصادر العربية

1) هادي العلوي: «من تاريخ التعذيب في الإسلام».

مركز الأبحاث والدراسات الإشتراكية في العالم العربي.

بيروت ـ لبنان.

2) د. عبود السراح: «علم الأجرام وعلم العقاب»

دراسة تحليلية في أسباب الجريمة وعلاج السلوك الإجرامي.

ذات السلاسل ـ الكويت؛ 1990

3) د. عدنان الدوري: «علم العقاب ومعاملة المذنبين»

ذات السلاسل ـ الكويت؛ 1989 .

References

1) Prentky, Robert A. and Knight, Raymond A. 1986

Impulsivity in The Life Style and Criminal Behavior of Sexual offenders.

Criminal Justice and Behavior

Jun, Vol 13 (2) 141-164

2) Siomponlos, V. and Goldsmith, Jeurett 1976

Sadism revisited

American Journal of Psychotherapy

Oct, Vol 30 (4) 631-641

3) Malamuth, Neil M. 1986

Predictors of Naturalistic Sexual Aggression

Journal of Personality and Social Psychology

May, Vol 50 (50 953-962

4) Kalogerakis, Michael G. 1974

The Sources of Individual Violence

Adolescent Psychiatry

Vol 3, Pages 323-339

5) Baker, Ronald 1983

Some Considerations Arising from the Treatment of Patient with Recrophilic

Revista de Psicaanalistis

Jan - Feb, Vol 40 (1) 157-173

6) Lengevin, R. ; Ben-Aron, M. H.; Wright, P.; Marchese, V.; et al 1988

The Sex Killer

Annuals of Sex Research

Vol 1 (2) 263-301

7) Warren, Virginia L. 1985

Explaining masochism

Journal for The Theory of Social Behavior

Vol 15 (2) 103-129

8) Kasper, C. James; Baumann, Roger C.; Alford, Jane 1984

Sexual Abuser of Children: The Lonely Kids

Transactional

Apr. Vol 14 (2) 131-135

9) Langevin, R.; Bain J.; Wortzman, G.; Hucker, S.; et al 1988

Sexual Sadism: Brain, Blood, and Behavior

Annuals of The New York Academy of Sciences

Aug, Vol 528, Pages 163-171

10) Coleman, Mary 1985

Shame: A Powerful Underlying Factor in Violence and War

Journal of Psychoanalytic-Anthropology

Win, Vol 8 (1) 67-79

11) Mollinger, Rabent N. 1983

Sadomasochism and Developmental Stages

Psychoanalytic Review

Vol 69 (3) 379-389

12) Marshall, William L 1989

Intimacy, Loneliness and Sexual Offenders

Behavior Research and Therapy

Vol 27 (5) 491-503

13) Student, V. and Drvota, S. 1978

Types of Sadists

Ceskoslovenska Psychiatrie

Apr, Vol 74 (2) 91-94

14) Person, Ethel S. 1986

Male Sexuality and Power

Psychoanalytic Inquiry

Vol 6 (1) 3-25

15) Dietz, Park E.; Hazelwood, Robert R.; Warren, Janet 1990

The Sexually Sadistic Criminal and His Offenses

Bulletin of The American Academy of Psychiatry and the Law

Vol 18 (2) 163-178

16) Barnes, Gordon E.; Malamuth, Neil M.; Check. James V. 1984

Psychoticism and Sexual Arousal to Rape Depictions

Personality and Individual Differences

Vol 5 (3) 273-279

17) Anderson, Wayne P.; Kunce, Joseph T.; Rich, Brice 1979

Sex Offenders: Three Personality Types

Journal of Clinical Psychology

Jul, Vol 35 (3) 671-676

18) Plummer, Diana L.; Jenkins, Jack O.; Hampton, Leonard A. 1984

Rape and Intervention Strategies

Crisis Intervention

Vol 13 (3) 104-113

19) Scully, Diana; Marolla, Joseph

"Riding The Bull at Gilley's": Convicted Rapists Describe the Social Problems

Feb, Vol 32 (3) 251-263

20) Hobson, William F.; Boland, Chevyl; Jamieson, Diane 1985

Dangerous Sexual Offenders

Medical Aspects of Human Sexuality

Feb Vol 19 (2) 104-119

21) Jonsen, Albert R.; Sagan, Leonard 1978

Torture and the Ethics of Medicine

Man and Medicine

Vol 3 (1) 33-49

22) Faraone, Stephen 1982

Psychiatry and Political Repression in Soviet Union

American Psychologist

Oct Vol 37 (10) 1105-1112

23) Bern, Elliot H. 1985

Domestic Violence: Some Theoretical issues Related to Criminal Behavior

Journal of Applied Social Sciences

Spr. - Sum.; Vol 9 (2) 136-147

24) Malamuth, Neil M. and Ceniti, Joseph 1986

Repeated Exposure to Violent and Non Violent Pornography:

Likelihood of Raping Rating and Laboratory Aggression Against Woman

Aggression Behavior

Vol 12 (2) 129-137

25) Earls, Christopher M. 1988

Aberrant Sexual Arousal in Sexual Offenders

Annuals of The New York Academy of Sciences

Aug, Vol 528, Pages 41)48

26) Homestrom, Lynda L. and Burgess, Ann W 1990

Sexual Behavior of Assailants During Reported Rapes

Archives of Sexual Behavior

Oct, Vol 9 (5) 427-439

27) Long, Gray T.; Saltan, Faye E.; Kiefer, Stephan A.;

Schrum, David M. 1984

The Psychological Profile of The Female First Offender and Recidivist

Journal of Offender Counseling, Services and Rehabilitation

Vol 9 (1-2) 119-123

28) Becka, Judith V.; et al 1984

Depressive Symptoms Associated with Sexual Assault

Jouranl of Sex and Marital Therapy

Fal., Vol 10 (3) 185-192

29) Barash, Dorthy A. 1986

Defecting Suicide: A Clinical Case Report

Bulletin of The Menninger Clinics

Jul, Vol 50 (4) 367-378

30) Colao, Flora and Hurt, Miriam 1983

Therapists Coping With Sexual Assault

Women and Therapy

Sum. - Fal., Vol 2 (2-3) 205-214

31) Koss, Mary P. 1983

The Scope of Rape: Implications for The Clinical Treatment of Victims

Clinical Psychologist

Sum., Vol 36 (4) 88-91

32) Holmstrom, Lyndra L.; Burgess, Ann, W. 1975

Assessing Trauma in the Rape Victim

American Journal of Nursing

Aug, Vol 75 (8) 1288-1291

33) Agger, Inger 1986

Sexual Torture of Political Prisoners: An Overview Journal of Traumatic Stress

Ju, Vol 2 (3) 305-318

34) Ritterman, Michelle 1985

Symptoms, Social Justice and Personal Freedom

Journal of Strategic and Systemic Therapies

Sum., Vol 4 (2) 48-63

35) Thompson, James 1991

Kuwait Airways Hijack: Psychological Consequences For Survivors

Stress Medicine

Jan-Mar, Vol 7 (1) 3-9

36) Allodi, F.; Cowgill, G. 1991

Ethical and Psychiatric Aspects of Torture: A Canadian

Canadian Journal of Psychiatry

Mar, Vol 27 (2) 378-383

38) Wayfeld, Bernard; Noel, B. 1982

Conflict, Aggression and Depression: Incidence of Manifest or Latent Aggressiveness encountered in General Practise

Psychologie-Medicale

Nov, Vol 14 (12) 1891-1900

39) Gallers, Johanna; Foy, David W.; Donahoe, Clyde P.;

Goldfarb, John 1988

Post Traumatic Stress Disorder in Vietnam Combat Veterans

Journal of Tranmatic Stress

Apr., Vol 1 (2) 181-192

40) Horwitz, Judith E. 1985

Sexual Abuse of Children: A Review of Victim Symptomatology,

Offender Behavioral Patterns, and Treatment Methods

American Mental Health Counselor Association Journal

Oct, Vol 7 (4) 172-179

41) Punamaki, Kaija-Leena 1984

Factor Affecting The Mental Health of Palestinian Children

Exposed to Political Violence

International Journal of Mental Health

Sum.; vol 18 (20 63-79

42) Sloan, G. and Leichanr, P. 1986

Is There A Relationship Between Sexual Abuse or Incest and Eating Disorder?

Canadian Journal of Psychiatry

Oct, Vol 31 (70 656-660

43) Daly, Rabent J. 1976

Lasting Damage in Torture Cases

Victimology

Sum., Vol 1 (2) 341-252

45) Borins, Elaine M.; Forsythe, Pamela J. 1985

Past Trauma and Present Functioning of Patients Attending

A Women's Psychiatric Clinic

American Journal of Psychiatry

Apr, Vol 1 (2) 341-342

44) Thornhill, Nancy W.; Thornill, Randy 1991

Psychological Pain of Rape Victims

Journal of Comparative Psychology

Sep, Vol 105 (3) 243-252

45) Borins, Elaine M.; Forsythe, Pamela J. 1985

Past Trauma and Present Functioning of Patients Attending A Women's Psychiatric Clinic

American Journal of Psychiatry

Apr, Vol 142 (4) 460-463

46) Romanik, Ronald L.; Goodwith, Jeun 1982

Adoption to Pregnancy Due to Childhood Sexual Abuse

Birth Psychology Bulletin

Jul, vol 3 (2) 2-9

47) Mezey, Gillian; King, Michael 1989

The Effect of Sexual Assault on Men: A Survey of 22 Victims

Psychological Medicine

Feb, Vol 19 (1) 205-209

48) Gilbent, Barbara and Cunningham, Jean 1986

Women's Post Rape Sexual Functioning: Review and Implications for Counseling

Journal of Counsling and Developments

Oct, Vol 65 (3) 71-73

49) Lunde, Inge; Rasmassen, Ole V.; Wagner Gorm; Lindholm, Jorgen 1981

Sexual and Pituitary-Testicular Function in Torture Victims

Archieves of Sexual Behavior

Feb, Vol 10 (1) 25-32

50) Rosenberg,m Marcia S. 1986

Rape Crisis Syndrome

Medical Aspects of Human Sexuality

Mar, Vol 20 (3) 65-71

51) Trbovic, Marko 1983

Aggressive Sadistic Form of Alcoholism

Psihijatrija Danas

Vol 15 (1) 119-120

52) Shaffer, Howard 1984

Glover's Contribution to Early Conception of Alcoholism: On The Etiology of Treatment

Journal of Substance Treatment

Vol 1 (2) 119-120

53) Steele, Clande M. 1986

What Happens When You Drink Too Much

Psychology Today

Jan, Vol 20 (1) 48-52

54) Moore, Stan L.; May, Michael

Satyriasis From A Contemporary Perspective: A Review of Male Hyper-Sexuality

Hillside Journal of Clinical Psychiatry

Vol 4 (10 83-93

55) Gibson, H.B. 1990

Can Hypnosis Compel People to Commit Harmful Immoral and Criminal Act: A Review of The Literature Comtemporary Hypnosis

Oct, Vol 8 (3) 129-140

56) Renshaw, Domeena C. 1989

Treatment of Sexual Exploitation: Rape and Incest Psychiatric Clinics of North America

Jun, Vol 12 (2) 257-277

57) Domrach, Shirley P. 1985

Nursing Student's Assessments of Behaviorally, Self-Blaming Rape Victims

Nursing Research

Jul-Aug, Vol 34 (4) 211-224

58) MacGregor, James A. 1985

Risk of STD in Female Victim of Sexual Assault

Medical Aspect of Human Sexuality

Aug, Vol 19 (8) 30-42

59) Archer, Dane: Gartner, Rosemary 1976

Violent Act and Violent Times: A Comparative Approach to Postwar Homicide Rates

American Sociological Review

Dec. Vol 41 (6) 937-963

60) Charny, Israel W. 1973

How Can Psychotherapy Contribute to A Cultural Press For Peace?

Voices Journal of The American Academy of Psychotherapists

Vol 9 (3) 70-78

61) Sugar, Max 1983

Sexual Abuse of Children and Adolescents

Adolescent Psychiatry

Vol 11, Pages 199-211. à la page 200

الوثيقة النفسيَة للجَريمَة الجنسيَة

دراسة وتحليل نفسي للجرائم

الجنسية التي ارتكبها الجيش العراقي

في الكويت

فكرة البحث المقدمة

لمؤسسة الكويت للتقدم العلمي

تُعتبر الجرائم الجنسية التي ارتكبها الجيش العراقي على الشعب الكويتي في فترة الإحتلال الغاشم على دولة الكويت من أبشع الجرائم التي مرت على العالم. بل إن هذه الجرائم تُعتبر سابقة تاريخية من حيث الكم والنوع.

إن مرحلة التوثيق الجارية للغزو العراقي بشقيها المادي والمعنوي أمراً ضرورياً. وهذا التوثيق يجب أن يكون كذلك للأفعال التي قام بها الجيش العراقي ولآثار تلك الأفعال.

إن هذا التوثيق ضرورياً لإعتبارات عديدة: -

١) الإعتبار التاريخي : لأن ما حدث يُعتبر تاريخ للكويت وللعالم.

٢) الإعتبار الإنساني : فعل الغزو ترتبت عليه أمور إنسانية كثيرة تحتم التوثيق.

٣) الإعتبار العلمي : ما قام به العراقيون من تدمير وتخريب مادي ونفسي له أبعاد علمية كثيرة... ونقصد هنا كل الأبعاد العلمية المتعلقة بكل أفرع العلوم.

٤) الإعتبار القانوني : الجاني والمجني عليه على المستوى العلمي لهما محاكمة حقوق وهذا الرصد والتوثيق يساعد كثيراً في تحديد العقوبة وتحديد الحقوق.

٥) الإعتبار الجغرافي : ما فعله الجيش العراقي بنا كدولة جارة يحتم علينا إعادة النظر في هذا الموقع الجغرافي الحتمي ويدفعنا إلى ضرورة فهم هذا الجار بفهم شعبه. إن دراسة السيكولوجية العراقية بات أمراً ضرورياً من أجل استجداد خطة مستقبلية لكيفية التعامل مع النفسية العراقية حكومة وشعباً.

من الأمور التي تركت شرحاً قد لا يرفقه الزمن بسهولة في نفسية الكويتيين هي الجرائم الجنسية التي ارتكبها الجيش العراقي على الشعب الكويتي.

إن الإطلاع على الملفات النفسية للجرائم الجنسية في العالم.. وفي التاريخ يجعلني كمختصة في المشاكل الجنسية أجزم بأن ما مورس على الشعب الكويتي من جرائم جنسية يُعتبر بالفعل سابقة من حيث الكم والنوع وأن الرؤيا المتخصصة في الحياة الجنسية تدفعنا إلى رسم بروتريه نفسي جديد في العالم عن مدى السادية المركبة في الجيش العراقي الذي يملك عقلية ونفسية ذات تركيب خاص تدفع به إلى ارتكاب هذا النوع من الجرائم الجنسية التي لا تحويها القواميس النفسية.

لقد تمَّ التطرق إلى كثير من جرائم الغزو العراقي بانفتاح شديد وكان هناك خجل من التطرق إلى الجرائم الجنسية.

ليس من المخجل كشف ذلك، إن الشعب الكويتي ضحية... بل إنه من الضروري جداً تعرية الإختلال النفسي الشديد الذي تعاني منه تلك الفئة التي قامت بالجرائم الجنسية.

إن هذا البحث: -

١) وثيقة تاريخية لمعاناة الشعب الكويتي.

٢) وثيقة إدانة لنظام البعث ومن أيده.

٣) وثيقة نفسية دولية تشخص الإضطراب في الشخصية العراقية.

٤) وثيقة مستقبلية تذكر الشعب الكويتي بجرح مس الأنا والبناء النفسي والأخلاقي.

وثيقة تجعل الكويتي في خططه المستقبلية يضع هذه التجارب نصب عينية.

إن هذا البحث سيقوم على:

١) رصد كل الجرائم الجنسية التي قام بها العراقيون وتصنيفها.

٢) مقارنةً هذه الجرائم بالجرائم الجنسية في التاريخ العالمي ومقارنتها بالإضطرابات النفسية العلمية المتعارف عليها.

٣) تحليل الشخصية السادية العراقية التي تقوم بهذا الفعل.

٤) دراسة وتحليل الكويتيون الذين وقع عليهم هذا الفعل.

٥) خطط علاجية للذين تعرضوا لجرائم جنسية.

القائم بالبحث : د. فوزية زيد الدريع

أخصائية نفسية اكلينيكية / مستشفى الطب النفسي

«تخصص ثقافة جنسية ـ علاج مشاكل نفسية جسية».

الكلفة المادية للبحث: أربعة آلاف دينار كويتي

من أجل المصادر العلمية ـ فريق لرصد الجرائم من

ملفات الأسرى ومقابلة أسر ورفاق الشهداء وبعض المسؤولين ـ اتصالات مع جهات علمية عالمية ـ احصاء الحالات ـ طباعة وترجمة.

مدة البحث: سبعة أشهر ابتداءً من ١٩٩٢/٤/١ إلى ١٩٩٢/١١/١.

مقدمته

د. فوزية الدريع

١٩٩٢/٢/٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان حول

جرائم الإغتصاب التي قام بها نظام البعث

في دولة الكويت

إن أزمة الثاني من أغسطس التي مرت بها دولة الكويت تُعتبر أزمة مستجدة على المستوى التاريخي والسياسي والإقتصادي والإجتماعي بشهادة العالم كله.

ولعل صور التعذيب النفسي والجسدي والتي تعرض لها الإنسان الكويتي خلال فترة الإحتلال على يد الغازي العراقي تُعتبر هي الإنعكاس الأشد على ضراوة وبشاعة هذه الحدث.

لقد كان من المتوقع ومن الطبيعي أن تكون قضية احتلال الكويت مثار وسائل الإعلام بكل صورها... سواء أثناء الإحتلال أو بعده...

بل إنه من الجدير بالذكر أن وقوف العالم كله بأمانة وصدق وموضوعية من قضية إحتلال الكويت وإبراز حقائق الجرائم البعثية بكل صورها إعلامياً كان له أثر إيجابي في توحيد الصف الدولي... مع كل التضليل الإعلامي الذي حاول النظام العراقي ومسانديه القيام به.. والذي باء ـ ولله الحمد ـ بالفشل.

فإذا انتهى الإحتلال فإن آثاره باقية.. وتلك الآثار أمراً واقعاً لا ضير من طرحه علمياً وإعلامياً من باب التوثيق التاريخي وتعريف العالم ببشاعة الجرائم العراقية التي عايشها الإنسان الكويتي.

إن جرائم الإغتصاب كانت من ضمن الجرائم التي أثارت الفضول الإعلامي.. وكان هناك سعي حثيث لطرحها إعلامياً وتناولها علميا. ومبدئياً فإن الجهات المسؤولية ترى بأنه لا ضير من ذلك طالما إن أسلوب وهدف الطرح فيها شيئاً من الحكمة والتقصي والموضوعية. والحقيقة أنه على المستوى الرسمي لم يصدر تصريح بشأن جرائم الإغتصاب.

لكن الفضول الصحفي استعجل طرح جرائم الإغتصاب بصفاء نية أو بغير صفاء نية مع أشخاص في غير موقع المسؤولية أو من ليس لهم يد فعلياً مع حالات الإغتصاب وبذلك خرجت كثيراً من المعلومات الناقصة أو المبالغ فيها أو الغير صحيحة.

ومع إيماننا بأن كثيراً من الصحفيين أرادوا بطرح حوادث الإغتصاب إشعار العالم ببشاعة الغزو العراقي إلا أنه كانت هناك عند بعض الصحف نوعاً من اللعب على نفسية القارىء بقلب الحقائق التي تحول اهتمام القارىء من الجريمة الحقيقية ومرتكبها إلى قضايا جانبية مشوهة حول وضع المرأة الكويتية المغتصبة في المجتمع الكويت... ولعل ما ورد في كلا من جريدتي الشرق الأوسط السعودية عدد الجمعة ١٩٩١/١١/٨ وما ورد في صحيفة النهار اللبنانية هما مثالان على ذلك.

وأمام هذا الطرح الإعلامي الغير موضوعي والغير مقتضي فإننا كمسؤولين نؤمن حالياً بضرورة طرح وجهة نظرنا حول جرائم الإغتصاب التي ارتكبها النظام البعثي على المجتمع الكويتي في النقاط التالية:

١) إننا لم نتعمد التعتيم من منطلق شعور العار والوصمة.. إن المرأة الكويتية بمواقفها البطولية كانت أخت الرجال... لقد كانت بطلة آنفة حاربت العدو بالسلاح وبالكلمة وبالموقف.. وتغطت من رأسها إلى أخمص قدميها في فترة الإحتلال حتى لا تترك العدو فرصة النظر إلا لبطولاتها... وكل تلك البطولة أودت بها أن تُعذب بعدة طرق ومنها الإغتصاب...

إن المرأة الكويتية كانت ضحية.. وكنا لها رجالاً وأخواناً نعينها على المحنة التي مرت بها ونساعدها بكل الوسائل.

٢) إن أسلوب التحفظ الذي تعمدنا به حول جرائم الإغتصاب كان من منطلقات عدة:

أولاً: راعينا التركيبية الشرقية وحساسيتها في تناول مثل هذه المواضيع ووجوب مراعاة مدى الألم والغضب الذي سوف يسببه الطرح الإعلامي للمجتمع الذي ما زال ينزف من آثار الإحتلال بكل صورة.

ثانياً: إننا اكتفينا القدر الذي عرض به الحدث عالميا... فالعالم كله علم بوجود جرائم اغتصاب وكانت هذه تكفي من وجهة نظرنا..

ثالثاً: ـ إننا ما زلنا نعيش جريمة الإغتصاب ونتائجها بوجود بعض حالات الحمل وبالتالي فإن وجودنا في معمعة الألم قد لا يؤهلنا لإعطاء المعلومة النهائية بشأنه.

٣) إن الجهات المسؤولة تعاملت مع حالات الإغتصاب بقدر عالي من الرحمة والتفاهم والسرية سواء أثناء فترة الإحتلال الحرجة أو بعد إندحار

العدو... مراعيةً بذلك على الإستناد الشرعي والطبي والإجتماعي والظرفي...

٤) إن الطفل الناتج عن جريمة الإغتصاب كان يتم التعامل معه برحمة شديدة ومن منطلق إنسانية الكويتي يعمل كيتيم مع سرية أصله وسبب حدوثه ويعيش في دار الأيتام في دولة الكويت.. فهذا الطفل من وجهة نظرنا هو الآخر ضحية نسعى إلى رحمته بالظروف القانونية والإجتماعية المسموح بها.

٥) إن بعض ردود الفعل السلبية والنادرة... من بعض الأقارب والأهل حول ابنتهم الضحية هو أمر شخصياً قابل للحدوث في أي مجتمع... ولعل المطالع على حالات الإغتصاب في العالم يجد أن هذا الموقف الفردي قد يتكرر في أي مجتمع.

علماً بأننا وجدنا من الأهالي الذين كانت المرأة عندهم ضحية اغتصاب قدراً من التفهم والمداراة...

والجدير بالذكر هو موقف كثير من الشباب الكويتي العربي الأصيل الشهم من حالات الإغتصاب وعرض الزواج من ضحايا الإغتصاب.

٦) إن الأرقام التي وردت في بعض الصحف حول عدد حالات الإغتصاب هي ارقام مبالغ فيها... ونحن نحتفظ بالأرقام الفعلية التي راجعت الجهات المسؤولة وإن حق الاحتفاظ بهذه الأرقام أمراً مقبولاً علمياً لكثير من المجتمعات وفي الكثير الدول حضارة تؤمن بسرية بعض الأمور لديها مراعيةً بذلك تركيبتها الإجتماعية.

ثم إننا نؤمن أنه حتى الأرقام التي لدينا لا تُعطي المؤشر العلمي الحقيقي لحالات الإغتصاب... فليست كل حالة اغتُصبت نتج عن الإغتصاب حمل.. وليس كل حالة حمل اتبعت الطريق الحكومي لعلاج مشكلة الحمل.. وليست كل واحدة اغتُصبت أخبرت عن اغتصابها.

إذا العلميّة تحتم علينا عدم الإعلان عن الرقم الموجود لدينا لأنه في الأساس الواقعي ليس هو الرقم الحتمي.

٧) إن التفكير العلمي وضرورة التوثيق التاريخي دعتنا إلى دراسة جرائم الإغتصاب التي ارتكبها نظام البعث...

والمتخصصون في الجهات المسؤولة بصدد تلك الدراسة الموضوعية... ويبقى خروج هذه الدراسة للعامة أو الإحتفاظ بسريتها أمراً يخص الجهات المسؤولة.

إن ما مرت به دولة الكويت.. وما مر به المجتمع الكويتي لحدث قاسي... ومن نعم الله على هذا المجتمع أن حباه بقدراً من الإيمان وصلابة العود والثقة على تخطي هذه الكارثة بقوة....

لذا كان رجائنا من أصحاب القلم والفكر... والعلماء أن ينحو إلى تقصي المعلومة الحقيقية والطرح الموضوعي ومخافة الله فيما يكتبون أو ينشرون.

د. إبراهيم العبد الهادى

مدير مستشفى الولادة ـ دولة الكويت

د. فوزية الدريع

مستشفى الطب النفسي ـ دولة الكويت



